



# الغزل عند الشعراء السود

رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها



٢٦٥١

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

أسعد علي

٢٣٢

Handwritten signature and notes

معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية - بيروت

اعداد الطالبة فوزية زهباري



٢٣٢



## — المقدمة —

ولد موضوع البحث شرارة من فكرة •• وفكرة من عشرات كانت تزدهم وتتغارب وتدور في رأسي ، إلى أن استقرت عند " الغزل عند الشعراء السود " •

فلم الغزل ، •• ولم الشعراء السود بالذات ؟ وهل هناك قضية تميز عنصرى كما قيل لى أكثر من مرة ؟ •••

هذه تساؤلات ربما كانت تعمل في مضمونها مفتاح الاجابة ، بل ربما قادتنا إلى سبب اختبار هذا الموضوع ••

فالغزل كما عرفه هو محادثة النساء ، والتشبيب بالشعر هو " ترفيق أوله بذكر النساء " (١) • والمرأة كانت ولا زالت موضوعا يستعق الدراسة ، لا سيما اذا كانت هذه المرأة طهحة الشعراء في حلالهم وترغالهم ، في أفراحهم وأتراحهم • ولا سيما اذا كان هؤلاء من أطارت المرأة كوا من قلوبهم ، وأرثت ما خمد من ذكرياتهم العزيدة أو المفرحة والمرأة - كما سئرى في هذه الدراسة - تأثير في حياة هذه الفئة من الشعراء وصفت بلونها الموروث عن أبوين - بشيين أو نوبيين ، أو من جهة الام فقط ، فكان هذا الارث سببا في خضوعهم للظروف واحدة ، ظروف عصبية هزت مشاعرهم بعنف ، كما هزت كياناتهم فباتوا تحت تأثيرها جماعة " سوداء " تصلح للخدمة أكثر من صلاحيتها للاجتماعية وكان هذا من أبرز الاسباب التي دفعتني إلى اختيار هذه الفئة ، لا سيما ابراز موقفهم من المرأة ، المرأة الحبيبة •

وإذا ط اعتبرنا أن الغزل وسيلة من وسائل التعبير عن الحب بين الرجل والمرأة ، وصورة من صوره الأكثر تأثيرا في النفوس فسراه عند الشعراء السود صورة واضحة عن حياتهم بوجهيهما القائم والمضي ، وكانت هذه الصورة من الاسباب التي دفعتني نحو دراسة اشعارهم الغزلية ، فكان هدفي اطلالة اللثام عن شخصياتهم ، وعين الظروف المحيطة بهم ، ثم الكشف عن ثروتهم الشعرية التي خلفتها تلك الظروف • وكان منهج الوصول إلى ذلك كله ، بايدين وخاتمة ، فالموضوع الرئيسي لهذه الدراسة وهو الغزل ، لا يمكن معرفة كنهه ومرامييه لدى احد الشعراء دون العودة إلى حياة ذلك الشاعر الشخصية والاجتماعية ، ثم الظروف المحيطة بذلك كله ، لذلك جعلت الدراسة في بايدين كان الاول منهما دراسة تاريخية لحياة الشاعر ، والثاني دراسة لشعره

عموماً والخزلي خصوصاً ، متهمة بتقديمه تظلمات على اجنواها الدراسة ومحتواها  
مذ ولادة الشاعر حتى وفاته ، مروراً بالاحداث المؤثرة في حياته .

فالباب الاول : كان مقدمة تاريخية لا بد منها للتصرف على الشاعر الاسود وحياته  
من خلال التعرف على قبيلته ، مولده ، نسبه ، سيرته الذاتية ، شعره ، ثم شخصيته ،  
ومن خلال ذلك كله كنت أتمسك بتبادل التأثير والتأثير بين هذه الظروف وبين شخصية  
الشاعر الاسود ، الامر الذي دعا الى التفصيل في الكشف عن شخصياتهم ومجتمعهم .

ففي الفصل الاول : تناولت شعراء الحقبة الجاهلية ثم المخضمة ، كعترة ، سحيب  
خفاف ، وعدة من الطيب من الذين عاشوا تلك الفترة ، وكان لهم مواقف مشهودة بغض النظر  
عن ايجابيتها أو سلبيتها ، ولان لهم تراثاً شعرياً حمل عواد مفهوم كلها ، ليست عواد طيب  
الحب والحشق فقط ، وانما عواد تبهر مجموعها عن طلب الحياة الكريمة ، وتلجج الى تحقيق  
نوع من المساواة والعدل وتكافؤ الفرص في مجتمع كانت تحكمه العصبية القبلية ، والطبقية ،  
اذ لم يكن من السهل على كثير منهم الاذعان للامر الواقع وتقبله على ما فيه من اجحاف وظلم  
بحق طبقة او اكثر من طبقاته .

لقد عاش الشاعر الاسود في ظل الجاهلية عدواً وريثاً أم أمة وأب عهد . . فكانت العبودية  
تلاحقه من كل جانب حتى حين كان أبوه من الاشراف ومن ذوى النسب الصريح ، كان هو عدواً  
غير معترف به يصير ويرعى الابل ، ولم يكن لتشفع له شجاعة ولا شاعرية ولا خلق كريم . وبمجيء  
الاسلام واعلاءه الثورة على المجتمع الجاهلي ، رفع الشاعر الاسود رأسه ، محاولاً تشيخ هواه  
الحرية التي جاءت بها تعاليم الدين الجديد ، ووقف بقوة الى جانب الدعوة ، وحمل السيف  
في مواقعها ضد الاعدام ، حتى ان بعضهم كان من صحابة الرسول الذين شهدوا فتح مكة  
كما شهدوا حديد ، والطف (١) ولكن . . رغم ذلك كله ، لم تستطع آثار الجاهلية بسزع  
الفضل والحقد نزاعاً تاماً من يدوس السادة ضد العبيد . وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثاني  
الى الحديث عن شعراء العصر الاموي من السود . وخصصت بالذكر نصيباً لانه الشاعر الاسود الذي  
ظهر في ذلك العصر وغالباً اكثر من تجربة مع المرأة ولا سيما المرأة البيضاء ، وفشل في  
أكثر من تجربة معها ، وسواده وعهوديته كانتا دائماً من وراء ذاك الفشل . . وقصد  
تحدث في هذا الفصل عن نسب نصيب وسيرته وشعره ، وأظهرت من خلال ذلك معالم  
انسانية توجست شخصية هذا الشاعر العبد الذي ولد من ابوين تويين ، وانطلق في رحاب

(١) انظر ص ٢١ من الدراسة .

الشعر يحدث نفسه بأمال عريضة ، فحمل شاعرية مكنته من الدخول الى عهد العزيز بن مروان ، كما رفعتة الى مصاف عظمائه لولا ان اعتذر هو نفسه عن ذلك متحلا بسواد لونه ووضيح نسبه ، ورغم الصعوبات التي لاقاها في طريقه الى الخليفة ، ورغم السخرية والهزء اللذين كانا يلاحقانه في تحركاته كليهما حتى العاطفية معها ، استطاع ان يحقق شيئا من آماله فيحرر أمه واخته والكثير من اقاربه . وبما ان تأثير انعكاسات التيارات السياسية للحالتين الاموية والعباسية قد اخذ في الظهور بين الشعراء عموما وشمل الشعراء السود ، فقد تناولت في الفصل الثالث الشعراء المخضرمين للدولتين المذكورتين هؤلاء الشعراء الذين عطلوا خلافات الحالتين الحاكمين الى جانب شكلاهم الشخصية الناتجة عن الواهبهم ونسبهم . فمنهم من وجدناه مواليا لاحد الطرفين منقطعاً إليهم معاديا لاعدائهم كسديف بن ميمون الذي انتطخ الى العباسيين ، وجدد لسانه للدفاع عن حقهم في الخلافة ومهاجاة الامويين بشكل ساخر وقاتل حتى اتى على البقية الباقية منهم . . . . . ومنهم من تذبذب بين الطرفين فلم يحدد هويته السياسية كأبي عمارة السدي وأبي نجيلسة ، اللذين وقفوا بين صفوف الامويين اول الأمر ، ثم اندسا بين صفوف العباسيين ، يقودهما في ذلك آمال التكسب والاعطيات . اما الشاعر الذي تفرد بشخصيته ، واختلف لنفسه طريقا لم يسلكه غيره من شعراء طبقتهم ، وجعل نفسه وظلته أساس اللعبة لعبة الاحتيال على الواقع الاليم بالسخرية والتهكم والحيلة ، فكان زيد بن الجون " أبو دلالة " لقد فتح عينيه فلم ير غير نسب وضيع وسواد منزل لحقه ولحق عائلته ، ولم ير من سعة العيش ما يستطيع ان يسد رفقته ورق من كان مسؤولا عن محيشتهم ، ولم يجد . . . حين ذاك . . . بدا من انتهاج اسلوب يؤمن له موردا من اعطيات القصر مقابل مزيد من النظر والدعاية فيبين الجد والهزل قضى اغلب ايام عمره ، وبين الجد والهزل قضى وطره منها . . . ومذهبه فسي ذلك " اليوم خمر وغدا أمر " .

والفصل الرابع : أفردته لمجموعة من الشعراء السود الذين عاشوا خلال العصر العباسي وما بعده . فلقد توصل اثنان منهم ، وهما ابراهيم المهدي واحمد الرشيد الساساني الى سدة الحكم ، وفرضا بذلك مخذورا لم يكن من السهل تقبله في مجتمع كانت ما تزال تعصف به رياح العصبية رغم ان واحدا منهما كان ينتمي من جهة والده الى السلالة العباسية الحاكمة ، وهو ابراهيم المهدي . لكن هذا المكسب المعنوي الذي حققاه للسود كان وبالاً عليهم في نهاية المطاف ، فابتدى الامر بالاول الى الهرب والثاني الى القتل والتمثيل به .

أما نصيب الأصغر مولى المهدي ، فلم ير أفضل من التكسب طريقا يستطيع منها الولوج  
الى حياة معقولة ليقينه بأن يديه صفر من الصبا والجمال والنسب المرغوب ، ولم يكن عطي  
بن جهلة أفضل حالا من نصيب حين زاد العمى ودائمة الشكل والسواد نصيب نصيبته ، فبدأ  
طاحا للرشيد ثم لأبي دلف العجلي ، ذائقا من اللعة الشيء الكثير ، وانتهى مقتسولا  
ومن بعد القتل تمثيل .

الباب الثاني : " النزل عند الشعراء السود " ، وهو الموضوع الاساسي الذي تفرعت  
عنه قضايا فرعية اخرى ، فكان لا بد من مقدمة عن طهية الحب تعتبر مدخلا الى عالم  
الجب والنزل بأفانيه ، وبيدت رأى الفلاسفة في الحب من افلاطون الى ابن عزم وابن داوود ،  
مرورا بمعانيه كما وردت في معاجم اللغة ، انتهت الى ابن السراج في مصارع العشاق والجاحظ  
في رسالة العشاق واللساء ، ثم مسيرة النزل ومكائنة المرأة عند العرب عموما - منذ الجاهلية -  
وعند الشعراء السود خصوصا . . . فلقد أحب العربي المرأة منذ عصوره الاولى ، وتغزل بها ،  
فكان غزله هذا تعبيرا عن ذلك الحب ، وتجسيدا لذاك الإعجاب ، ووسيلة للوصول الى  
قلوبها . . . وحتى عدت المقدمات الطللية المدخلة الى الموضوعات الشعرية المختلفة ، فاذا  
ط أراد الشاعر الصريح أو الفخر أو الوصف ، تنقل الى ذلك عبر مقدمة يفرغ فيها شحاته  
العاطفية من تذكروا للإعجاب ووصف للديار ثم للحبيبة .

فالفصل الاول ، كان دراسة لالوان النزل عند الشعراء السود . . . ابتداء من الوصف  
على الاطلاق ومخاطبة الديار وتحياتها ووصفها ، ثم وصف مشاهد التحل والارتجال  
الى ان يأتي الشاعر الى وصف الصورة التي رسموها لحبيبته من خلال وصفه لأعضاء جسمها ،  
الى وصف للجوانب الخلقية المعنوية كتساقتها وعيائها ومشيتها ثم أثرها النفسي  
فيه . . . واذا ط تحدث عن أثرها النفسي برز النزل الوجداني خير مظهر من هذا  
الجانب من الشاعر ، لان الشاعر فيه يقصر حبه على فتاة بعينها ، يبتسها لواهج حبه  
وشوقه فاذا ط تكبرت وشمخيت اذ عن وخذبح ، واذا ط صدت وتمصت شكى وبكى . . . وقد  
عدت الى دراسة تجربة السود مع المرأة من خلال غزلهم الوجداني ، لأرى مدى عمقها وفعاليتها  
وتأثيرها عليهم ، ومن ثم تأثرهم بهذه التجربة وانعكاساتها على حياتهم وأشعارهم . وكانت  
تجربة عنتره هي الخلية في هذا الميدان . فكل وجدنا عنده مهيئا لا يتضرب من شدة  
البأس والقوة والاخلاق كانت مدعاة للفخر ، وجدنا عنده كذلك مهيئا لا يتضرب من السب  
العميق لابتة عمه علة ، رغم الظروف المضادة لاستمرارية هذا الحب .

تميز شعرهم بالواقعية ، وهذه الواقعية التي ربطت ادبهم بواقعهم ، فكانت أشعارهم صورة  
لاطقة جلية عنه ، حين عاشوه بتفاصيله كلها . . .

وقد اعتمدت في دراستي هذه لفضول الشعراء السود على مصادر ومراجع امدتني بالماد  
الرئيسية ، وبال مواد المساعدة ، وساعدت في اظهار الصورة الحقيقية لهذه الفئة من الشعراء  
فكانت : مصادر قديمة ومراجع حديثة فال مصادر القديمة : امدتني بالطادة الرئيسية التاريخية  
الشعرية للشعراء السود . فال تاريخية منها هي التي ساعدت في مسح الباب الاول من  
الدراسة وهي التي ساعدتني في التعرف على الشاعر الاسود ضمن أسرته الصغيرة ،  
وضمن مجتمعه الكبير ، ثم حددت موقعه في أسرته وفي مجتمعه ، كما حددت المواقف  
المتبادلة بينه وبين هاتين الأسرتين . . . فعرفت بشخصية الشاعر الاسود منذ مولده حتى  
وفاته مروراً بتسميته ، وأهم الاحداث البارزة في حياته ، والمؤثرة فيها سلباً أو ايجاباً  
وال مصادر الحديثة : وهي التي امدتني بالمادة المساعدة للتعرف على هؤلاء الشعراء وعلى  
التوجه الشعري ، لا سيما الدراسات العلمية في علم النفس والمجتمع والاجتماع ، والتي  
ساعدت الى حد كبير في الكشف عن الصورة الاكثر اقتراباً من الحقيقة لهؤلاء الشعراء .  
وفي كلا النوعين من المصادر كان بعضهما ذا تأثير فعال في كثير من النواحي .

وجملة القول في هذه المصادر ، سواء التي نقلت اخبارهم وأشعارهم ، أم تلك  
التي كانت تبحث في النواحي المختلفة لحياتهم ، انها كانت من القلة بحيث كانت تتطلب  
جهداً مضاعفاً لجمع بعض المعلومات اللازمة للبحث ، لا سيما في مجال عدم توفر الدواوين  
الجامعة لا شذراً هولاً ، فلم يكن بين يدي سوى ديوان لعنترة وديوان لسعيد ، إضافة الى  
الكتب التي جمعت أشعار بعضهم أمثال غفاف وعده وطي ونصيب الاكبر . أما ما تهقني  
من الشعراء فكانت اعتمد على الطادة المنشورة في الكتب والمصادر المختلفة ولقد كسبت  
كتاب الاغاني للاصفهاني من المصادر القديمة الغزيرة الطادة لا سيما المادة التاريخية ، يلي  
ذلك خزائن الادب للشنداذي والشعر والشعراء لابن قتيبة وغيرها ، بحيث استطعت ان أقدم  
بناءً على ما توافق بين يدي من هذه المادة . . .

أما الحديث من الدراجع ، فقد كان قليلاً بل نادراً ، لا سيما تلك التي سلطت الضوء  
على هذه " البقعة السوداء " والتي ظلت لقرون عديدة طي اللسان ، حتى امتدت اليها  
اليها العناية مزقة ستار اللسان ورداء التعصب ، فكانت مصباحاً أنار كهف السود ، وعلموا  
ابرز مناقبهم وأشعارهم بعد طول ركود . . . وأخص بالذكر منها دراسة الدكتور عبده بسدوي

" الشعراء السود " والتعريف بخصائصهم وتبيان الخطوط الرئيسية التي شكلت الشخصية والسدى في حياة الشاعر وشعره ، فساعدتني في تحديد خطوط دراستي والسير فيها . . . إضافة إلى الكتب التي ساهمت في جمع وتحقيق أشعار بعض الشعراء السود ، رغم ما صاحب هذا الجمع من جهود وعناء بارزين ، حتى أنها كانت السبابة في إياطة اللثام عن بناء شعري متين . . . ولم يكن هذا البحث إلا لبنة صغيرة ساهمت مع ما سبقها في تجديد صرح الشعر العربي ، وإبراز وجه مظلوم من وجوهه .

وإذا كانت المصادر والمراجع التي اهتمت بالشعراء السود على قلتها قد شكلت أساساً في بناء هذه الدراسة ، فإن الأيدي الحانية التي امتدت ليبريقي وتساعدني خلال عطبي المتواصل ، أخص بالذكر طها استاذي المشرف الدكتور أسعد علي الذي عود دلائبه علمي عطائه الكثريرة ، عطائاً نقيماً ناصعاً من غير شوائب ، عطائاً من ذاته ، ومن نفسه ، ومن علمه ومن وقته ، ومن خلاصة تجربته في الحياة ، فكان خير مرشد لرسالة العلم ، وكان خير توجيه لرسالة الاخلاق . . .

وكذلك أخص بالشكر الاستاذ الدكتور محمد خير حلواني الذي شارك في الاشراف على بحثي اشرافاً فعلياً ، فتابعت معي الرسالة خطوة خطوة ، وفصلاً فصلاً ، منذ أن بدأت في التفكير باختيار الموضوع المناسب لشهادة الماجستير ، إلى آخر كلمة من هذه الدراسة ، فكان الناصح والمرشد والوجه ، وكان الأمين على عطبي العلمي هذا ، يدفعني إلى ذلك غيرة علمية وبذل اخلاق . . . وإذا كان العرفان بالجهد يدعو إلى الشكر فهو يدفعني دفعا إلى تقديم الشكر الخالص إلى المعهد الذي تعهد دراستي . . . مع مئات غيرها . . . بالرعاية والحمد والجهد ، إلى ان رأيت النور ، معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية ، مشكلاً بإدارته الحكيمة التي تجلت في شخصيته دديره السابق الدكتور الأب ميشال الأر . . . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته . . . الذي قضى نحبه في سبيل العلم ونشر رسالته العليا ، فكان الفداء الكريم لخير رسالة في العلم والايان ، كما تجلت في شخصيته دديره الجديد الدكتور الأب بوزيه الذي استلم مشعل العلم من سابقه متجشماً مصاعب نشر الرسالة ، وتعهداً طلاب المعهد المنتشرين في أنحاء الارض بالرعاية الابوية والعلمية ، حتى واواقفتني ذلك سرفاً شاقاً من بقعة إلى بقعة للاجتماع بهؤلاء الطلاب مسجلاً بذلك بادرة جديدة وسامية وملتفة للنظر . . . وعين . . . أتكلم عن المعهد بكامل ادارته ، لا انسى العاطفين نيههم بفضلتهم كلها فهم دائماً الجنود الساهرون في سبيل المصلحة العامة . . . والعرفان بالجهد لا ينسى . . . بالطبع . . . القائمين على كتابات جامعاتهم مشق وتشرين في اللاذقية

والمكتبة الظاهرية في دمشق ، لما قدمه لي من مساعدات أعجز  
عن تعدادها ووصفها ، كما أعجز عن رد جزئياتها . . . كما لا ينسى  
الأيدي الخيرة الطيبة التي تصهدت رسالتي العلمية هذه — طبعاً  
وتنسيقاً وإخراجاً — وأرجو ان اكون قد استطعت من خلال دراساتي  
هذه تحقيق جزء من آمالهم ، التي هي آمال النفس البشرية السامية متجلية  
بالعمل على دفع الظلم بشتى أشكاله - عنها . . .  
والله ولي التوفيق



## الباب الأول

مقدمة تاريخية عن الشعراء السود .....

الفصل الأول  
الجاهليون والمفضمون

عترة بن شداد

ولادته نسبه :

في فيافي صحراء نجد ، حيث بساطة النفس العربية وصراحتها ،  
شدة بأسها وجلدها على تعمل صلف الحياة وظلفها ، وبعيدا عن تسرف  
المدنية وصخب حضارتها ، هناك . . . ولد عترة ، وطش حياة الانسان  
العصامي ، الذي استطاع بما منحه الله من صفات خلقية وجسدية أن يجابه  
مجتمعا له كيانه المستقل .

ولد عترة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي ( ٦٠٠ م )  
أرى قبل اثنتي وعشرين سنة من الهجرة ، في قبيلة عريقة تدعى عيس  
بن بغيض التي ينتهي نسبها الى غطفان بن سعد بن قيس بن  
عيلان ، والتي كان لها شهرة كبيرة عند ظهور الاسلام . أما منازلها فهي  
ديار القصيم ونواحيه ، يجاورهم شمالا وغربا بنو أسد ، وشرقا بنو تميم ، وجنوبا  
بعض قبائل قيس بن عيلان من غنى وبني عامر . ( ١ )

أما نسب عترة . . . فهو عترة بن شداد ، وقيل : ابن عمرو بن شداد ،  
وقيل : عترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل :  
مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن الربيع  
ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ( ٢ ) . ورواية البغدادي تذكر  
انه عترة العيس بن شداد بن عمرو بن قراد ، قال الكلبي : شداد جده غلب  
على اسم أبيه ، وانما هو عترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه  
تكفله بعد موت أبيه فنسب اليه ( ٣ ) . وأمه كانت أمة حبشية يقال لها زبيبة ،  
وكان لها ولد عميد من غير شداد ، فكانوا أخوته لأمه . وكانت العرب في الجاهلية  
إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده ( ٤ )

(١) فارس بن عيس بن حسن عبد الله القرشي : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

(٢) الأظهي للأصفهاني ٢٢٥/٨ - طبقات فحول الشعراء : ١٥٢/١

(٣) خزائن الأدب عبد القادر البغدادي : ١٢٨/١ - الشعر والشعراء : ٤٠٤/١ - ٤٠٥

(٤) الأظهي / ٢٢٥/٨

سيرته :  
=====

كما تحددت الروايات في سبب عنصرة تعددت في ذكر ألقابه فقيل :  
عنصرة الفلحاء لتشقق في شفته السفلى (١) ، وقيل : عنصرة الفوارس (٢) ،  
كما كان يكنى بأبي المغلس (٣) .

وأبو المغلس هذا واحد من أغربة العرب الثلاثة مع خفاف بن  
ندبة ، والسليل بن السلكة (٤) والذي تجمع كتب الأدب عامة على أنه من  
أشجع أهل زمانه ، وأجودهم بط ملكت يده ، فقد شهد حرب داحس  
والخبراء وهمدت مشاهدته فيها (٥) وكانت هذه مع غيرها من مشاهد البطولة  
التي سجلتها كتب الأدب ، السبب الأول والأخير في اثبات وجود عنصرة بالرغم  
من عقدة اللون ، وعقدة الأم الأمة .

لقد استطاع هذا الشاب الأسود ، المفتول العضلات ، الضخم الجثة  
الصلب الخود ، الذكي الفؤاد ، السمح الخلق ، الكريم الشائل . . . استطاع أن  
يقلب وجه حياته التي بدأت بالقهر والذل والعذاب ، وأن يواجه مجتمعه  
بتحد صارخ ، ليثبت مكانته ، ويمسح عار الذل عن وجه أمه واخوته . وطمس  
هذا ، فحن نستطيع أن نتبين بوضوح شطرى حياة عنصرة منذ ولادته ، وحتى  
ودع حياته ، تاركاً خلفه من آثار البطولة والشاعرية ، ما يشرف صفحته فسي  
تاريخ الشجاعة والأدب . لقد طرقت عنصرة حياة الرق والعبودية بكل ما فيها  
من آلام نفسية وجسدية ، وهذا بالذات يمثل الجانب المأساوي في حياته . إلى  
أن استطاع بحد السيف أن يعلن عن نفسه ، وهذا ما يمثل الشطر الآخر من  
حياته ، والذي نستطيع أن نصفه بالجانب الأكثر تفاؤلاً . بالرغم من خيبة أمته  
في الحب ، وما جرت عليه من آلام معنوية كانت تظهر جلية في علاقته الموهودة  
مع علة .

فهو في بادئ الأمر . . . بيد وانساناً مقهوراً ، مغلوباً على أمره ، معزولاً  
عن أسرته الصغيرة ، إذ لم يعترف بوجوده والده ، وعن أسرته الكبيرة ، التي تشكل

(١) نوادر المخطوطات لأبي جعفر البناددي / ٣١٠

(٢) العقد الفريد : ابن عبد ربه الاندلسي ١١٧/١

(٣) المزهر للسيوطي ٤٢٦/٢

(٤) الاغانى : ٢٣٨/٨ الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٦-٢٠٥

(٥) خزنة الأدب ، ١٢٨/١

مجتمع القبيلة بكل ما فيه من عادات وتقاليد كانت بمجموعها تنقف ضده .  
 فهو بينهم غريب لا يشاركهم الرأي والمشورة لا يشاركهم الحروب، وفي هذا ملقصة  
 من قيمة الانسان الذي وهبه الله صفات البطولة كلها ، وهو الى ذلك ، محروم من  
 ممارسة ادنى الحقوق المدنية . . . هنا . . . نجد عنصرة بين خيارين : اما  
 الاذعان للأمر الواقع والاعتراف به على أنه سة، فهو ابن أمة حبشية تنتمي الى  
 الطبقة الثالثة من النساء في المجتمع العربي بعد طبقة الحرائر وطبقة السبايا،  
 والاعتراف بأبناء الاماء أمر لا يقره العربي ولا يجيزه (١) أو تحدى الأمر الواقع  
 ومقابلته بردود فعل قوية وبالوقت نفسه قيمته يتكسر شوكة العادات والتقاليد  
 البالية . وهنا تبرز الشجاعة، والبطولة، والكرم، والجدة واغثة الطهوف . وهذه  
 تعد الاساس الذي بنيت عليه قيم البدوى في صحرائنا  
 ومـــــــذا . . . يشكل الشطر الثاني من حياته  
 الشطر الذي تحدده جطة واحدة قالها له أبوه : " كروأنت حر " .

وقصة الاعتراف بوجود عنصرة، وادعاء أبيه له ، تناقلتها كتب الأدب  
 بأشكال متعددة، ولكنها ذات مضمون واحد . فبعضها يقول : " ان بعض أحياء  
 العرب، أغاروا على بني عيس فأصابوا منهم، واستاقوا ابلا . فتبهم العيسيون  
 فلحقوهم وقتلوهم عما معهم، وعنصرة يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كروأنت حر،  
 قال عنصرة : العبد لا يحسن الكروانط يحسن الحلاب والصر . . . فقال : كروأنت  
 حر فكرو وهو يقول :

أبا الهجين عنصرة      كل امرئ يحمي حصره  
 أسوده وأحمره      والشجرات المشورة

#### الواردات مشغرة

وقاتل يومئذ قتالا حسنا، فأداه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسيه " (٢) .

وهكذا نرى أن عنصرة قد سخر ما حياه الله من صفات البطولة وشدة البأس  
 في ملاقاة الأعداء، وسخرها لاثبات كيانه، والاعتراف بحقه في الحياة ليعيش فردا شي

(١) الشعراء السود = عدده بدوى / ٣

(٢) الاطلي ٢٧٧/٨ - الشعر والشعراء / ١ / ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ خزنة الادب / ١ / ١٢٨

اسرته الصغيرة، ثم في مجتمه، ثم أمام محبوبته، ثم ليحتل مكان القيادة، ويكون بعد ذلك فارس القبيلة على ما فيها من أجاد الفتيان، وعديد الفرسان، حتى يذاع صيته الى حد اقتران اسمه بالبطولة التي لا تقهر، وبالفرسية التي لا تبارى، وكانت هذه من الاسباب التي دعيت بعضهم الى انكار وجود عترة ادبي، والى اعتباره شخصية اسطورية يخلق عليها القصص والشعر المحسوس " ولقد كثر الحديث عن هذا البطل الجاهلي القديم، كما لم يكثر عن أحد من الابطال الذين عاصروه، وقيل مع ذلك ما يمكن الاطمئنان اليه من هذه الأحاديث التي طفت بها الاسفار الضخام، والتي أطاعت الناس وما زالت تعيبتهم على أن يتخففوا من أثقال الحياة، ويلقوا عن أنفسهم اعمارها اذا أقبل الليل وفرغوا لا سمارهم فلا بأس بأن تقبل باسمين ما يروى عنه من الأخبار والاساطير" (١)

الآن الواقع الذي سردته كتب الأدب عن سيرة عترة يحدثنا عن مشاهد ووقائع ثبتت شجاعة هذا البطل وفروسيته، ولا أدل على ذلك من القصة التي ذكرها الأصمعي، والتي تتضمن حديث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الحطيئة حيث قال عمر للحطيئة الحبسي: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم، قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا، وكان حازمًا فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عترة فكنا نحمل اذا حمل ونحجم اذا احجم. الخ فقال عمر: صدقت (٢) وكأنا بعنترة في قيادته الحربية قائد حكيم متمرس مفكر، خبر أمورها بمهارة ودقة، يحجم حين يكون الاحجام واجها ومعجبا، ويهجم حين يكون في الهجوم نصر مؤكد. . . . حتى عترة نفسه . . . اذا ما سئل: أنت أشجع العرب وأشدّها؟ قال: لا . . . وحين قيل له: فبماذا شاع لسك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عوط . . . وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما، ولا أدخل الا موضعا أرى منه مخرجا، وكنت أعتد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله . . . (٣) وفروسية كهذه كانت لا بد أن تستهوي قلب حامل لواء الاسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجعله يتمنى لو أن الله تعالى يمن على دعوته بفارس من أمثاله لتأخذ طول الأرض وعرضها حيث قال: " ما وصف لي اعرابي قتل فأحبيبتن أراه الا عترة" (٤)

(١) الحديث الاربعاء: طه حسين ١٤٥/١

(٢) الاغاني ٢٤١/٨

(٣) المصدر السابق ٢٤١/٨

(٤) المصدر السابق: ٢٤٠/٨

هذا ما حدثنا الرواة به عن البطل الذي ذاع صيته في الأوساط  
القبلية آنذاك، والذي ما زالت تدرس آثاره حتى يومنا هذا، كاشفة النقاب  
عنها بروح الإحياء والتحديث، وفي كل مرة تنتهي إلى جديد في قيمه الشعرية  
وقيمه الحياتية، التي كانت صورة واضحة طالما تشوق ويتشوق إليها الإنسان العربي  
في ماضيه وحاضره .

شعره :  
=====

إذا ما تحققنا شعر عنترة، وجدنا أن الفروسية هي الميدان  
الرحب الذي وجد فيه ضالته . والشعر الجاهلي - عامة - غني وحافل  
بالحديث عن الفروسية، وعن قيمها، وبواعثها، غاياتها، حتى غدت الطابع المميز  
للحياة الجاهلية، طالما أنها تعني : " مجموعة المثل الرفيعة والبطولات الحربية  
التي تردت ألسنة الشعراء الفرس، وتجاوبت أصدائها في أصراف الصحراء  
الواسعة، وامتدت محانيها استداد الرطل، فكانت أسلوب الحياة لمختلف الناس دون  
تميز . " ( ١ )

وعنترة . . . فارس بني عيس تتمثل في شخصه بطولة الفارس الحربية حيث  
توفرت فيه الحكمة الحربية، إلى جانب الشجاعة وشدة البأس مع ما يستلزمها من  
عفة وكرامة وجمدة وكرم . . . وما إلى هنالك من المثل العليا .

سهل مخالطني إذا لم أظلم	أثني عليّ بما علمت فأنسي
مرّ مذاقته كطمع العلقم	فاذا ظلمت فان ظلمي بأسل

.....

بالي وعرضي وأفر لم يكلم	فاذا شربت فأنسي مستهلك
وكما علمت شطائي وتكرمي	وإذا صحت فمأقصر عن ندي
تكو فريضة كشدق الأعلم	وحليل غائبة تركت مجدلا
ورشاش نافذة كلون العدم	سبقت يداعله بما رن طعنه

وكان لا بدّ من باعث قوى ليثير هذه الصفات الكامنة في أعناق الشاعر . . . وإذا  
كان السواد والرق من الأسباب التي أهاجت نفس الشاعر وأثارته، فلا بدّ

(١) الفروسية في الشعر الجاهلي نوري حمود، القيسي : ٢٥

أن نقرّح علم النفس أن الحامل العاطفي من العوامل الأساسية لتدفق  
الشعر، ولا سيما شعر عنتره •• حيث تتجلى عاطفة الحب بوضوح •• هذه  
العاطفة الكاملة والتي لا يبدّ من دافع يظهريها إلى السداح فهي تحسرك  
الإنسان في جميع الحالات تبوعي منه أو دون وعي للتبعية حاجة فيزيائية  
أو عقلية " فقد عرف الشعراء من غير شك أن الحب والكراهية والخوف هي  
القوى التي حركت الرجال والنساء • " (١)

لقد أثار حب علة في قلبه العواطف كلها ، حتى أسرته ، وطكمت  
عليه شفاف قلبه ، نجاشت نفسه غراما عفيفا رقيقا صادقاً ، تجاوز به كسل  
صور الحب المادى وارتفع إلى مستوى التجرد الروحي •••

ان كنت أزهدت الفراق فانا	زمت ركاكم بليل مظلّم
ما راعي الأحمولة أهلها	وسط الديار تسفح حب الخضم
اذ تستهبل باصلي ناعس	غذب مقبله لذيد الطعس
وكانت نظرت بعيني شادين	رشاً من الغزلان ليس يتوأم (٢)

وحكاية عنتره مع المرأة عموماً ، حكاية قائمة الظلال ، منذ أن فتح عينيه على  
وجودها أمّا ••• إلى أن تغنى بها حبيبة •• لكنها في الحالات كلها انطقته  
شعراً على ما فيه من لوعة وحسرة وألم ، شعر رقيق يحكس تاريخ حياته المليئة  
بالآلم الذي يسبقه دائماً الاخفاق •• فاذا استعرضنا دور المرأة الأم في  
حياته ، وجدنا أنه كان أقل ما يعت به من قبل الآخرين هو ابن السوداء • وأكثر  
ما كان يؤلمه من اليهودية والبرق ارت زبيبة أمه •• ولذلك نجد كتب الأدب قلما  
تتكلم عنها فهو يندعها بصفات يراها مناسبة " بحسب رأيه "

وأط ابن سوداء الجبين كأنها	ضبح ترعرع في رسوم المنزل
الساق منها مثل ساق نعامة	والشعر منها مثل حبال الفلفل

نفهم من هذا ان العلاقة الحميمية التي كان من المفروض ان تربط بين الأم وابنها ••  
كانت مفقودة عند عنتره وأمه ، التي كان لا حول لها ولا قوة في وقتها من ابنها أولاً •  
ومن مجتمع القبيلة ثانياً •• فهي أمة عبدة معرضة حسب شريعة الجاهلية إلى كسل  
ما يخطر للسادة بالاكراه أو بالرضى •• كان عليها أن تدع عن الأمر الواقع دون أدنى

(١) التشهير النفسي للادب : عز الدين اسماعيل / ٤٣

(٢) الديوان لتحقيق محمد سعيد ، ولوى ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩١

اعتراض .. ومن هنا أصبحت أم رغبنا عنها .. ورغبت عنها أيضا، كانت سبها فسي شقائه .. إلا أننا نستطيع أن نزعج من حيث لم ندر أنها كانت سبها في إشارة نفس عنتره الأبية في رد فعل معاكس لما لاقاه منذ أن رأى صور الحياة .. ودفئة الى أن يخطي ببياض فصاله وغصاله سواد لونه .

فيذا تجاوزنا دور المرأة الأم في حياته .. ذهبنا الى امرأة اخرى كان لها أثر لا يقل الط في نفس عنتره من سابقتها .. وان كان لا يضاهاه \* وهنبا سلقف وجهها لوجه أمام زوجة الأب، تلك التي كانت تدعى سمية أو سهية .. والتي كان يلزلها - على ما يبدو - الايقاع بين الأب وابنه .. وينقل لنا صاحب الأغانى قصتها فحواه أن عنتره قبل أن يدعيه أبوه، حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: انه يراودني عن نفسي، فغضب من ذلك شداد غضبا وضربه ضربا مبرحا، فمنا كان من الزوجة، حين رأت ذلك، إلا أن بكت وألقت بنفسها عليه وكنته عنه، وقد صور عنتره هذا الموقف المؤثر فقال :

لو أن ذاكك قبل اليوم معروف،	أمن سمية دم العين مذروف
ظبي بسنان ساجي الطرف مطروف،	كأنها يوم صدت ما تكلمت بي
كأنها صدم يحتاد معك سوف،	تجلتني اذا هوى العما قبلي
فهل عذابك علي اليوم مصروف، (١)	المال ما لكم والعبد عهدكم

ثم ينتهي الى الحديث عن أفعاله وبدلواته في ساحة الوفى ... وطلاقة عقيمة كهذه كانت كفيلة بأن تنهي أية رابطة يوم من أى نوع كان بين المرأة وعنتره، لولا أن الله كان قد حباه قلبا كبيرا متسامحا معها، وقادرا على أن يتابع مسيرة الحب مع المرأة .. وقادرا على أن يعطينها الكثير دون ان ينتازر الجزاء .. بسبل أن يعطي الكثير، حتى لو قوبل عطاؤه هذا بالانكار والحدود، بل بالسخرية في بعض الاحيان ..

بمنز

لقد أحب عنتره ابنة عمه علة، ذلك بن قراد حبا ملك عليه فؤاده ، فتشلى بها في كل مناسبة، حتى أصبح ضرب المثل .. وحتى نسجت حوله ألحوان من القصص والحكايات الاسطورية التي كانت تضي على ليل السطر نوط من الحبال السامي



ومهبط كان من أثر هذا الحب، الذي طغى على حياة الشاعر .. فهو لم يحط أكله .. وكان كثرة يابحة خضراء نبتت وسط مجموعة من الاشواك البريئة، التي مدت بشوكها الى الجذور فأوقفت نموها .. ومنعت ثمارها من الظهور .. لذلك نرى أن رياح الشاعر سارت الى حيث لم يشأ .. ورست سفينة على شاطئ مهجور لم يكن في الحسبان .. ليحمل معه امرأته تكن يوماً في حلمه .. امرأة من بجيله أمضى معها بقية أيام عمره .

الى جانب ما سبق .. فقد عني عترة بكافة اغراض الشعر العربي واثابته المعروفة من فخر وحطاسة ورياء ووصف وحكم فكان فيها سباقاً رشيقي التعبير، بارع التصوير، طريف المعاني . الى أن انتهت حياته الحافلة بعد أن بلغ من العمر التسعين عاماً تقريباً (١) .

#### شخصيته :

إذا كان فحوى النضال يكمن في محاربة كل ما يسيء الى النفس الانسانية وقيمها السامية، والدفاع عن كل ما يحفظ كرامتها وكيانها وحرمتها، فعترة بن شداد يحترق في الصف الأول من صفوف المعاضلين الذين وهبوا كيانهم ولسانهم وسيفهم للدفاع عن هذه النفس ومخاربة كل ما يخذل عقولها، وكل ما يحس نفس هذا النضال في أشعاره كلها، لكنه نضال ذو شجون الا أنه لا يخلو من هممة عالية، وتمسك بالقيم الاخلاقية، ودعوة الى البطولة والكفاح . فاذا ما تدرجنا مع حياته منذ أن كان عبداً مبيوداً الى أن أصبح فارساً مغواراً، استطعنا أن نكون صورة واضحة له هذه الشخصية الفريدة ..

لقد عرفه قومه - في بادئ الأمر - عبداً لا يشارك فيما يشارك فيه الا حراراً، ولا يعامل معاملة، فاحتطوه بهم عن غير رغبة، واحتمل هو الحياة معهم على قساوتها - بهأس وشجاعة، فكانت هناك لفتات من شعره تحمل الغصنة تلو الغصنة، كما كانت تحمل شعاع أهل خافت راود خيلته فتطس أن يتحمل معه حقيقة واقعة . ولهذا دافع ببسالة عن لونه، وعن عبوديته، وعن اخوته، وعن مكانته في القبيلة وعن الفرسان، ثم أخيراً عن حبه .. وكان في ذلك كله

مثال المقاتل المستميت •• فاما الحياة الحرة الكريمة، واط الموت ولا مجال — عنده — للخيار بينهما •• فهو مدفوع — بطبيعة تكوينه — الى البطولة والشجاعة لاثبات الذات ولا سيما وأنه كان يشعر بأن " أفعاله وبطولته وشجاعته أمور لا ترتبط بالنشأة قدر ارتباطها بالفس والسمو " • (١) ولا بد أن يكون للعامل النفسي عنده الأثر الأكبر في شعره، وفي تكوين شخصيته، الى جانب العوامل الأخرى التي يشترك بهما مع غيره من الشعراء •

لقد كانت عقدة اللون عند عنترة واضحة في أكثر قصائده، وكانت هذه العقدة سببا من أسباب مأساته، ان لم تكن هي السبب الأهم، وذلك لطبيعة الحياة في المجتمع القبلي التي كانت تعتبر أن ابن الأمة لا يصلح الا لتقديس الخدمات للقيادة •• ولم يكن هو وحده الذي يعيش مأساة اللون والعبودية، بل كان أخوته لاه يعيشون المأساة نفسها •• فأين السبيل لرد الاعتبار؟ أين سجدته عنترة؟ •• بل كيف سيتوصل اليه؟ •••

انه موضوع أدام قضية، وهي قضية صحبة ومتشابهة وذات جذور •• الا أنه استطاع — رغم الظروف كلها — أن يهين — لظهور شخصيته المتميزة ••

فهو قائد رغم عوديته، وفارس مخوار رغم سواده، وشاعر من شعراء الصنف الأول رغم اجتاع عوديته وسواده •• وهو في الجهة المقابلة طشق محذب، أضواء كبرياء الحبيب وعفوانه، مثل أضئته من قبل القبيلة بكبرياتها وتعاليلها، ومثلما عذبتة تقاليدها وأعرافها البالية •• ولكنه — مع ذلك كله — كان المحب الأكثر رقة في أشعاره ••• والأكثر شفافية في عواطفه ••• والأكثر ألما في هذا وذاك •••

سحيم عبد بنى الحساس

مولده ونسبه :

أجمعت الروايات التي تحدثت عن محمد بنى الحساس على أن اسمه سحيم (١) وهو تصغير ترخيم الأسحم أى الأسود (٢) . وقيل أيضا حية (٣) وزعم أحدهم أن يكون لفظ " حية " لقبها لحقه في وقت متأخر نُظِرَ فيسه إلى أعماله التي تشبه أفعال الأفعى ، لما فيها من جرأة وخبث ، أو نظير فيه إلى لونه وحجمه ، لأن الحية العظيمة يطلق عليها لفظ " الأسود " (٤) ويكنى سحيم بأبي عبد الله (٥) . أما اللقب الذى عرف به بين الناس واشتهر فهو " عبد بنى الحساس " (٦) الذى اتفق أغلب الرواة على أنه حبشي (٧) ، وقيل منهم ذكر بأنه نوبى (٨) . إذ قال الأصفهاني عنه اسمه سحيم ، وكان عبدا أسود نوبيا أعجميا " ، وكان يرضخ لكفة أعجمية يفقد كان ينشد الشعر ويقول : أحسكُ والله ، يريد أحسنت والله ، وفي هذا المجال يستعرض الرواة حديثه مع عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، حين أشده سحيم " يا فتية " المعروفة ، فقال له عمر : لو قلت شعرك مثل " كفى الشيب والاسلام للمرأة ناهيا " لأعطيك عليه . وقيل أنه قال : لو قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك . قال : من شعره ، ويريد ما شعرت (٩) .

- (١) نوادر المخطوطات : ٩٠ - الشعر والشعراء : ٤٠٨ / ١ - البيان والتبيين : ٧١ / ١  
سمط اللالى : ٧٢٠ - خزنة الادب : ١٠٢ / ٢ - الاغاني : ٣٢٦ / ٢٢ .
- (٢) الديوان ١ (٣) سمط اللالى : ٧٢٠ - الاغاني : ٣٣٦ / ٢٢
- (٤) سحيم عبد بنى الحساس : محمد خير الحلواني = ٤٢
- (٥) الديوان - ص ١ (٦) طبقات فحول الشعراء = السفر الاول = ١٨٧
- (٧) الشعر والشعراء = ٤٠٨ / ١ - سمط اللالى : ٧٢٠ - ديوان الصغاني : ١٦٦ / ٢  
خزنة الادب : ١٠٢ / ٢
- (٨) الاغاني : ٣٢٦ / ٢٢
- (٩) الديوان ص ١ طبقات فحول الشعراء : ١٨٧ / ١ - البيان والتبيين : ٧١ - ٧٢

سيرته :  
=====

فإذا ما الفتى قليلا إلى الوراء، باحثين عن وصف لحياة هذا العبد الشاعر، فماذا يرى في كتب الأدب التي نقلت ما نقلت من أخباره ؟ . . .

لقد سكتت بل أحجمت هذه الكتب عن ذكر كل ما يتعلق بالشطرنج الأول من حياته، ويقصد به شطرنج حياة الطفولة . كيف ولد ؟ من هنا أبواه ؟ كيف وأين عاش طفولته ؟ . . .

إلا أننا نلمح وبوضوح، تلك الأضواء التي تشير إلى أن سحيط عاش فترة لا بأس بها في الجامعة، كما تشير إلى صلته الحسنة بقبيلته أسد، التي يتحدر منها سادته بنو الحساس . " فالشاعر العربي - كما هو معروف يتأرجح بين قطبين : ذاتي يدفعه إلى تحقيق ذاته بين الجماعة، وقبلي يدعو إلى الذوبان في كيانها، والتضحية بالروح في سبيلها (١) .

وسحيط بالرغم من أنه طارئ على القبيلة الأسيديّة، إلا أن الزمن قصير القصير الذي عاشه بينهم يعتبر كفيلا يخلق جو من اللفة بينه وبينهم، تدعوه إلى أن يشعر بشعورهم، ويتكلم بلسانهم - مدحا وافتخار = وذلك رغم لكتنته الاعجمية التي لم يمجها فعل الزمن . من ذلك مدحه لبني بطن من قبيس وهم بطن عظيم من بطون أسد :

فدى لبني نصر قلوبى وقطعها	وقل الهمم ناقتي وقطوعها
هم أكر موني بالجوار وخلصي	إذا كنت مولى فعمه لا أضيها
لحمى لحم الحي حلم وناثلا	إذا هبب البيض الحسان فبيها

وتتناقل كتب الأدب خبر بيع سحيط إلى بني الحساس بروايات تجتمع في مضمونها على أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كتب إلى عثمان رضي الله عنه يقول : " اني اشتريت لك قلاما حبشيا يقول الشعر " فكتب إليه عثمان : " لا حاجة بي إليه فاردده ، فإبط حظ أهل العبد الشاعر منه ان شبع أن يشب بلسانهم وان جاع أن يهجوهم " فردّه ، فاشتراه بنو الحساس وهم بطن من بطون أسد (٢)

(١) سحيط عبد بني الحساس - محمد خير حلواني / ٦٥ عن بلاشير تاريخ الأدب بالبحر  
(٢) الأغانى ٣٢٦/٢٢ - سطر اللالى ٧٢٠ ديوان المعالي ٦٦/٢ .

والحساس — كما تذكره خزانة الأدب واللافي — هو ابن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية بن مدركة بن اليااس • ومولاه هو جندل بن مهند (١) •

والحديث عن جندل بن مهند مولى سحيم •• يجربنا الى الحديث عن رواية ابن الاعرابي (٢) التي تحدثنا عن الوجه الآخر للقصة السابقة، فبعد ان رفض عثمان رضي الله عنه شراء سحيم، اشتراه رجل من العرب، ولم رحل به — أنشأ سحيم يقول :

أشوقاً ولم يمض بي غير ليلة	فكيف إذا خب المني بنا عشرا
أخوكم ومولى خيركم وحليفكم	ومن قد ثوى فيكم وط شركم دها
وما خفت سلاط على أن يبيحي	بشيء ولو أمست أنا مله صفرا

وفي فوات الوفيات أن الذي اشتراه من مالك بن الحساس هو رجل من نجد ما لبث أن أعاده الى صاحبه مالك، الذي اشتراه ثانية بعد ما لمس فيه من الشوق والحنين والمودة (٣) وهكذا •• تتفق رواية الا لافي مع الرواية السابقة لتؤكد أن بني الحساس هم الذين باعوا سحيم لسبب ما يورجح أن يكون الممل والقحط هما السبب ثم ما لبثوا أن أعادوه ، لتكون نهايته المحزنة على أيديهم، بعد تشبيهه بنسائهم ، وهتك أعراضهم ، والتشهير بفتياتهم ••

وسحيم من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا فترة من حياتهم في الجاهلية ثم أدركوا الاسلام (٤) • والواضح أنه عاش زمنا طويلا في الجاهلية، فيه استسوت شاعريته وبرزت، مما دعا ابن سلام الى أن يعدّه من شعراء الطبقة التاسعة فيقول عنه : " عهد بني الحساس ، وهو حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام •• " (٥) وهكذا الى أن أدرك الاسلام حاملا شاعرية فذة ظهرت مرة واحدة في قصيدته الياثية :  
عميرة ودع ان تجهزت ظريما      كفى الشيب والاسلام للمرء ناھيا  
والتي تمثل بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " كفى بالشيب والاسلام للمرء ناھيا " ••

(١) خزانة الادب ١٠٢/٢ — الا لافي ٣٢٩/٢٢

(٢) الديوان ٥٥

(٣) فوات الوفيات : الكتبي ٣٢٨/١

(٤) البيان والتبيين : الجاحظ ٧١/١ — خزانة الادب : ١٠٢/٢

(٥) طبقات فحول الشعراء : ١٨٧/١

وط زال أبو بكر يصححها له ويقول : " أشهد أنك لرَسُول الله " . (١)

شعره :

وحياة هذا الشاعر العبد في الحياتين الجاهلية والاسلامية، كان لها ط يميزها عن غيرها من حياة الأرقاء، وبالتالي، ما يميز أشعاره عن غيره من الشعراء . . . .

فقد وجدناه في بعض أشعاره ناصحا لقبيلته التي يدِين لها بالولاء فسم وجدناه مدافعا عنها، مادحا لها ، وفخرا بشطائها . كما وجدناه واصفا للطبيعة ولظواهرها المتعددة . ولكن هذا كله - في الواقع - لا يشكل إلا جزءا من حياة العبد الشعرية الحافلة، وإنما نجد الجزء الذي يمثل الجانب الآخر، وهو الجانب الأكثر غزارة وحيوية، والذي يعطينا الفكرة الأوضح عن حياة سحيم، نجسده مثلا في الجانب العاطفي من جوانب شخصيته .

لقد أثبت سحيم شاعريته بلا جدال، لكنه لم يجد متفيسا لعبوديته ولسواده، ثم لشهواته إلا في المرأة، التي أحبها جسدا مكشوبا، فجاه شعره - في هذا المجال - صورة واضحة فرغ فيها كل شحنات طاقته العاطفية، بما تحويه من شوق طام للذة، ومن اشتياق لا حدود له للجسد وبما كانت هذه العاطفة الجامحة لرغبة الجائعة صورة ظاهرة دفنت في أعماقها مخلفات وموروثات عديدة .

والحديث عن المرأة، ودورها في انخساب حياة الشعراء قديم . . . كسئل تناوله وفق اطار يختلف عن الآخر .

لقد تحدثوا عن جلالها وشكلها الخارجي، كما تحدثوا عن صفاتها وجمالها الروحي، ووصفوها وصفا دقيقا يحل الى جانب روعته مزيجا من الجمال والشفافية، مزيجا من المادة والروح . لقد وصفوا شكلها الخارجي قائمتها، عينيها، أنفها فمها . . . أسنانها . . . شعرها . . . لولها . . . كما وصفوا جمال روحها، وبها ظلمتها ثم بعد ذلك تحدثوا عن حبهم وعشقهم لها . عن اشراق الحياة بجانبها وعن عوسها واكفهرارها بالهدى عنها .

(١) ديوان سحيم : تحقيق عبد العزيز ميمني : ١

تحدثوا عنها مصدرا للوحي والالهام الشعري بذليعتها الاثوية التي  
 يتوق اليها كل رجل، ولكن كل واحد منهم سلك طريقا في التعبير عطفهم  
 به صدره، ويتكلمه قلبه من حب وشوق وميام، فمعلم من أهدر الحياة الخارجية  
 وأغنى الحياة الداخلية، ومعلم من فعل العكس فأولى الحياة الخارجية عناية بالغة  
 على حساب الحياة الداخلية (١) فسمعتنا من شعراء المدرسة الاولى أحلى الأشعار  
 التي فرغوا فيها عواطفهم الجمّة، فحبروا لنا عن حبهم بقلوب فسي شعري جميل  
 وسمعتنا من شعراء المدرسة الثانية الخزل الجري، ووصف الجزئيات الدادية لدى  
 المرأة جملة وتفصيلا \* \* على أننا نعود لتعود بين الطرفين في العناصر المؤلفة  
 لماهية الخزل الشعري، أو الشعر الخزلي، فنجد أن الميل الجنسي هو العامل  
 ان لم يكن الأقوى، فهو الأهم الذي يركز عليه فرويد زعيم المدرسة الحديثة في علم  
 النفس حين تبين في دراسته التحليلية لأشخاص الفلانيين " أن الدافع الجنسي هو أوضح  
 الدوافع التي دفعتهم الى إنتاج أعمالهم الفنية (٢) وهذا الدافع موجود بقدر ما عند  
 الجميع، إلا أن الفرق بين واحد وآخر يتضح في كيفية تفسير هذا الدافع، والتعبير  
 عنه \* \* \*

فإذا نظرنا الى سحيم وشعره من هذه الزاوية، وحاولنا أن نطبقه على نفسه  
 الشعري، ولا سيما الذي يتحدث عن علاقته بالمرأة وجدناه لا يتورع عن الانتباه \* \*  
 وبجراحة، الى رواد المدرسة الثانية، ووجدناه لا يتورع عن الكاشفة بكل ما يخترى هذه  
 العلاقة وذلك بقلوب شعري جري وفاضح، حتى ان اندوق السليم يتفرده في أكثر  
 الأحيان \* فهو لا يعرف في علاقته مع المرأة ما يسمى بالكبت ولا يعرف تلك السمسة  
 الروحية التي تغلف سمو العلاقة الطبيعية الحبية بين المرأة والرجل \* \* بل يترك لنفسه  
 الحنان في أن تتطوق على سجيته، وأن تعبر عما يجيش به دون وازع أو رادع أخلاقي \*  
 ومما يحكى عن سحيم في هذا المجال كثير \* \* منه أنه جالس يوما نسوة من بني  
 صهر بن يسوع، وكان من شأنهم اذا جلسوا للنزل أن يتعابثوا بهشق الثياب، وشدة  
 المحالجة على ابداء المحاسن فقال فيهن :

(١) تطور الخزل د \* شكرى فيصل = ٢٤٦

(٢) التفسير النفسي للادب - عز الدين أسطعيل / ٤٧

كأنَّ الصَّهْبَاتِ يَوْمَ لَقِينَنَا  
 وَمِنْ بَنَاتِ الْقَوْمِ يَشْعُرُونَ بِنَا  
 فَمَا قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رَدَاءِ مَيِّمٍ  
 إِذَا شَقَّ بَرْدُ شَقِّ الْبَرْدِ بِرَقِيعٍ  
 وَيَدْوَاهُ مَرٌّ فِي حَيَاتِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ نَجْرَةٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ • حَتَّى كَانَتْ أَعْدَاؤُهُمَا  
 سَبَبًا فِي مَوْتِهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ التَّجَارِبُ عِدَا وَوَاحِدَةٌ عَلَى مَا يَذُكُرُ الرَّوَاةُ - كَانَتْ  
 تَهْتِكُ عَلَى أَسَاسِ الْعِلَاقَةِ الطَّائِفَةِ الْبَحْتَةِ •

أَمَّا تِلْكَ التَّجْرِبَةُ ، الِاسْتِثْنَائِيَّةُ لِسَبَبِهَا ، عِنْدَ سَحِيمٍ ، فَسُطِيعٌ أَنْ يَلْمِسَهَا فَنَسِي  
 مَوْقِفٍ وَاحِدٍ لَنْ يَتَكَرَّرَ ، وَيَتَجَلَّى هَذَا الْمَوْقِفُ ، حِينَ كَانَتْ أُخْتُ مَوْلَاهُ قَدْ غَيَّرَ السَّقَمَ  
 مِنْ جَمَلِهَا ، وَكَانَ قَدْ اتَّهَمَ بِهَا مِنْ قَبْلِهَا ، وَكَانَ قَدْ أَحْبَبَهَا - عَلَى مَا يَدْوِي بِهَا جَمَا  
 جَعَلَهُ يَهْدِي بِحَبِيبِهَا فِي اللَّيْلِ قَائِلًا :

طَاذَا يَهْدِي السَّقَامُ مِنْ قَمَرٍ  
 مَا يَهْتِكِي جَارٌ فِي مَحَاسِنِهَا  
 غَيْرَ مِنْ لَوْنِهَا وَصَفْرِهَا  
 لَوْ كَانَ يَهْتِكِي الْفَدَا مَقَلَّتْ لِمَه  
 كُلُّ جَمَالٍ لَوَجْهِهِ تَهْتِكُ  
 أَطَالِيهِ فِي الْقَبَاحِ مَتَسَعٌ ؟ • •  
 فَزَيْدٌ فِيهِ الْجَمَالُ وَالْبَدْعُ  
 هَا أَنَا دُونَ الْحَبِيبِ يَا وَجِيحُ (١)

أَطَا عِدَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَعَدَّدَتْ الْمَوَاقِفُ ، وَتَعَدَّدَتْ أَسْطُفَةُ اللَّوَاتِي تَخُزِلُ بِهَمِّهِ  
 سَحِيمٍ ، وَكَثُرَتْ التَّجَارِبُ ، حَتَّى أَنَّهُ تَجَوَّلَ فِي أَكْثَرِ مِنْ جَسَدٍ عِدَّةٍ زَعَمَهُ ، وَوَصَفَّ مَا بَسَدَا  
 وَمَا خَفِيَ مَعَهُ دُونَ حَيَاةٍ أَوْ رَادِعٍ • وَهَكَذَا كَانَتْ تَهْتِكُ عِلَاقَتَهُ هَذِهِ كُلُّهَا عَلَى أَسَاسِ  
 طَا دِي بِحَتِّ نَرَاهُ حَيًّا فِي قَوْلِهِ :

وَبِنَا وَسَادَانَا إِلَى عِلَاقَةٍ  
 تَوَسَّدَنِي كَفَا وَتَهْتِكِي بِمَحْصَمٍ  
 وَهَبَّتْ لَنَا رِيحَ الشُّطْلِ بِقَرَّةٍ  
 فَطَا زَالَ بَرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا  
 وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّ قَدْ رَأَيْتَهَا  
 وَحَقَّقْتُ تَهَادَاهُ الرِّيحَ تَهَادِيَا  
 عَلَى وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا  
 وَلَا تَوْبَ إِلَّا بِرَدِّهَا وَرِثِيَا  
 إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَهْجَ الْبَرْدُ بِالنِّيَا  
 وَعَشْرُونَ مَطَا أَصْبَعًا مِنْ وَرَائِيَا (٢)

(١) الديوان / ٥٤

(٢) الديوان ١٩ و ٢٠



ومهبط يكن من أمر هذا الاتجاه الطادي البحت لدى سحيم، فهو وليد أسباب  
منها ط يشكل عصرا ذاتيا تابعا من نفسية الشاعر • ومنها ط يشكل عصرا خارجيا  
أطلت الظروف الحياتية والخارجية •

شخصيته :  
=====

سحيم قبل كل شيء عهد أسود ، وهو ينتقم لجهوديته على طريقته  
الخاصة ، مخالفا بذلك غيره من الشعراء السود أمثال عنتره وخفاف ونصيب  
المرواني • وعقدة اللون عنده تأخذ شكلا مغايرا أيضا لما عند زملائه من المجموعة  
نفسها • • فراه يتكلم عن سواده وعن الرق بمرارة وألم يبدوان ظاهريين  
للقارئ •

فلو كنتُ وردا لونه لعشقتني      ولكنني شائني بسواد يسا  
فما ضرتني إن كانت أمي وليدة      تصر وتهرى باللقاح التواديا (١)

فهبط نجد عنتره يصبر على أن الشكل واللون لا تأثير لهما في مكانة  
الإنسان ، طالما أنهط يحطلان من ورائهط أخلاقا وصفات تحول حاطها لأن يكون  
فارس القبيلة والقوم • • نرى سحيط يصبر على أنه لو منح اللون الأبيض والشكل الجميل  
والنسب الصالح ، لكان الأمر مغشوا تماما • • ولكن فارس قومه في مجال الحنب  
والفرام • • وهذا ط يزيد في آلامه :

أتهب نساء الحارثيين غدوة      بوجه براه الله غير جميل  
فشبهتني كلها ولست بفوقه      ولا دونه إذ كان غير قليل

ثم نراه سرمان ط يعلن ثورته ، ويضم صوته إلى صوت الشعراء السود  
الغاضب، ليرفعوا معا راية النفس الحرة الكريمة، بخض النظر عن الشكل واللون :  
إن كنت عدا فلسي حرة كرت      أو أسود اللون أني أبيض الخلق (٢)

أما العناصر الأخرى المؤثرة في نفسية سحيم، واتجاهه المسلك الطادي،  
والتي أطلتها ظروفه الحياتية وبالأخص، فهي كونه عدا من الأحياء والمعروف  
عن الأحياء "أنهم أمة تعيش على الفطرة ، فهم لا يتورعون في التعبير عن انفعالهم

(١) الديوان : ٢٦

(٢) المصدر نفسه / ٥٥

وغنائهم • والذي يذكر عنهم في هذا المجال، أن لهم أشعارا دينية تصف  
القديس من رأسه حتى أخمص قدميه دون تحرج من ذكر الأعضاء والمحرمة (١) •

والحديث في هذا المجال يذكر بخبر نقله صاحب الأظاني من أنه كان  
لعبد الله بن أبي ربيعة عهد من الحبشة، يصرفون في جميع المهن، فسروى  
سفيان بن عيينة أنه قيل لرسول الله (ص) حين خرج إلى حنين، هل لك في  
حبش يئس المغيرة تستعين بهم؟ •• فقال: " لا خير في الحبش إن جاعوا سرقوا  
وإن شبعوا زبوا، وإن فيهم لخلتين حسنتين اطعام الطعام واللباس يوم اللباس " (٢)

وبعد استعراضنا لهذه الأسباب أو العناصر التي تداخلت وتشابكت لتشكيل  
اللحمة زالمدى في شخصية سحيم، ألمح سببا آخر يلج بعنف، ويصرخ بشدة ليعلن  
عن نفسه، محاولا تقضية العناصر الأخرى ودفعها وراءه فيظهر بصورة العنود الذي  
يؤى في هتك الأعراض والحرمات أقصى ما يمكن أن يشفي غليله، ويؤى حقدَه على  
المجتمع البليقي الذي كبله بقيوده وجردَه من إنسانيته، ورأى فيه صورة لا تصلح  
الآن الأمر والنهي والقيام بالواجبات دون نيل أدنى الحقوق •

كان سحيم يحس احساسا ميرا بجهوديته، وبأنه حيا لها لا حول له  
ولا قوة، ولكن لا يبتد من سلاح يجابه به مجتمعه •• وليكن إذا سلاحا فتاكيا  
وموثرا •• وإن دافع عنتره عن نفسه أمام هذا المجتمع بط وهبه الله من نعمة الشجاعة  
واللباس فليكن لسان سحيم السيف الذي يضرب، والترس الذي يحيى من الضربات  
الملاوثة •• وهذا ما كان، حتى أن التمرد والانتقام كانا المحور الذي دارت حوله  
شخصية هذا العبد • وأشعاره - بأظها - ليست الا صورة لفظية لهذا الانتقام:

شدوا وثاق العبد لا يفلتكم  
ان الحياة من المطم قرييب  
فلقد تحدر من جبين فتاتكم  
عرق على ظهر الفراش وطيب

فإذا ما أخذنا هذه الناحية عند سحيم بحين الاعتبار •• ومدى تأثيرها على  
نفسه وبالتالي على أشعاره • لمنا بعض العذر لشاعرنا المعذب باللاهت وراء اللذة  
التي ساقته إلى مصرعه الذي كان زمن الخليفة عثمان (٣)

(١) بين الحبشة والحرب: عبد المجيد عابدين / ١١٠-١٢٤-١٢٥

(٢) الأظاني ٦٥/١

(٣) خزنة الأدب ١٠٢/٢

موتـــــــــــــــــه :  
=====

اتفقت الروايات أن <sup>علي</sup>موت سحيم كان زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وبسبب واحد في جومره ، وان تعددت أشكال روايته .

رواية تقول أن سبب قتله امرأة من بني الحساس كان قد خلصها من الأسر عند أحد اليهود ، ثم راودها عن نفسها حتى أطاعته ، فقتلوه خشية العار (١) .

وبعضها يروي أن قومه بعد أن بلغ الاستياء منه درجة كبيرة ، سقوه الخمرة ثم عرضوا عليه نسوة ، فلما مرت به التي كان يهتف بها ، أهوى اليها ، فقتلوه (٢) .  
وأخرى تذكر أن سحيم كان صاحب تغزل ، فاتهمه مولاه بابطه ، وجلس له في مكان يترصده ، فلما نثول بما يثير الحمية ظهر له من موضعه وأجمع على قتله (٣) .  
وخرجت صاحبه فحدثته وأخبرته بما يراد به ، فقام يفض برده ويعني أثره ، فلما انطلق به ليقتل ، ضحكت امرأة كان بيده وبينها هوى وشبهته فقال لها :

ان تضحكي مني فيارب ليلة  
تركتك فيها كلقباء المفسرج  
ولما قدم للقتل قال :

شدوا وثاق العبد لا يقلتكم  
فلقد تحدر من جبين فتاكتم  
ان الحياة من العجات قريب  
عرق على ظهر الفراش وطيب (٤)

أما رواية الخالدين فتتلخص بأن سحيم لما أطال التشبيب بنساء قومه تأمروا في قتله ، وتحايلوا عليه حتى كتف نفسه وشد وثاقه . . . ولما لم يستطع قطعه ، وثبوا عليه بالخشب ففرضوه (٥) .

(١) نوادر المخطوطات المغتالون ١٠

(٢) ديوان سحيم ٦

(٣) ديوان سحيم ٣٤

(٤) نوادر المخطوطات ١٠ ... الديوان / ٢١

(٥) الديوان ٢١ .

### خفاف بن ندبة

سيرة :  
=====

جولتا الآن مع شاعر ينتمي الى للطائفة نفسها من الشعراء، من حيث اللون ومن حيث نسب الأم . . جولتا مع واحد من الشعراء الذين عرفوا بمهاتهم فقال عنه الرواة : خفاف بن ندبة، وندبه أمه هي ابنة الشيطان بن قنان (١) والندب كما تقول جمهرة العرب - قبيلة من العرب، ورجل ندب إذا كان معوانا مجدا، ويقال للرجل ندب وللمرأة ندبة - إذا كانا سريعى النهوض في الامور ومن ذلك اشتقاق ندبه، وهي اسم أم خفاف أحد سودان العرب وفسائها (٢) .

أما أبو خفاف فهو عمير بن الحارث بن الشريد بن رباح السلمي (٣) ويضيف بعض الروايات : ابن رباح بن يقظة بن عصبه بن امرئ القيس بن بهشة بن سليم حيث تعود في آخر نسبها الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار (٤) . .

سيرتها :  
=====

خفاف هذا جدل لواء قيس في الشعر . والفروسية (٥) بل عده بعضهم من أشعر فرسانها (٦) . فأغلب المصادر تشير الى أنه كان يلقب بأبي خراشة (٧) . وهو ابن عيم الخلساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة الصحابية المشهورة (٨) . وعلى هذا انضقت الروايات التي تحدثت عن خفاف، بعد أن اعتبرته من أغربة العرب الثلاثة المتفق عليهم مع عنبرة وأم زبيبة، والسليك وأم السلكة . . ثم خفاف وأم ندبة حيث سبهاها الحرث بن الشريد حين أثار على بني حارث ابن كعب، ووهبها لابنه عمير فولدت له خفافا (٩) من هنا نلاحظ ان نسب الشاعر - هذا - هيا له مكانة في قبيلته وبين قومه / قل أن أعطيت لغيره من الشعراء السود، الى جانب أنها خلصته - بقدر ما - من

(١) نوادر المخطوطات ٣١١ - الكلام ٢٢٦/٣

(٢) جمهرة اللثة ٢٤٩/١ لابن دريد

(٣) نوادر المخطوطات ٣١١ - شعر خفاف - جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي - الاطلام

للزركلي ٢٥٦/٢ - الشعر والشعراء ٣٠٠/٢

(٤) الاطلام ٢٢/١٨

(٥) خزنة الادب ١٥/٤

(٦) الاطلام ٢٥٦/٢

(٧) الشعر والشعراء ٢٠٠/١ - ٢٠١

(٨) الشعر والشعراء ٣٠٠/١ - ٢٠١

(٩) الديوان .

استفحال عقدة اللون، وشدة تأثيرها على نفسية • فدراه لم يستعبد ولم يخمز نفسي  
نفسه، إضافة إلى فروسيته التي أهدت بها كتب الأدب والتي اتفق عليها أغلب سبب  
الرواة من تحدثوا عنه وعن قبيلته • إلا أننا لا نعدم بعض الآثار التي تركتها  
تلك العقدة، والتي انعكست على بعض أشعاره فبدأ من خلالها خفافه بما  
يقول :

كلانا يسوده قومه  
على ذلك النسب المظلم

ومهما حاولنا الأخذ برأى الدكتور نوري حمودي القيسي في هذا المجال، إلا  
أننا سرعان ما نعود إلى الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المجتمع الجاهلي، والأسس  
التي يقوم عليها، أو التي تشاد عليها صروح النسب والمنزلة القبلية • • • ومما  
رأى الدكتور القيسي قوله : " بالرغم من أن خفافاً عد من أغربة العرب، وأن لونه  
كان أسود حالكا، إلا أن ذلك لم يترك في نفسه أثراً، أو كما يسميها علماء النفس (عقدة)  
كما ترك في نفس عنتر، والذي يبدو أن خفافاً وغيره من الأثريه، الذين لم يتحدثوا عن  
هذه الظاهرة، كانوا يجدون غضاضة في الحديث عنها، لأنها كانت مصدر احتقار  
المجتمع الجاهلي في تلك الفترة " (١) •

فالمجتمع الجاهلي عرفنا فيه العصبية القبلية، وعرفنا فيه أهمية النسب، عرفنا  
فيه الطبقة القبلية • • • عرفنا فيه مكانة السيد ومكانة العبد • • • مكانة الحر ومكانة  
الرق • • • مقام الحر ومقام الجارية • • • ومجتمع حكمته تلك الأمور، وقيدته تلك  
الأعراف لا بد من أن ينظر بشذو إلى طبقة العبيد بل من أن يقيم عليها العبد  
ويرسم لها حدوداً تمنعها من تخطيها، أو حتى التردد عليها • • • إلا من طعه الله  
من الصفات والخصال، ومن الجرأة والقوة بحيث يستطيع أن يتحدى بها ذلك المجتمع • • •  
ويجبره على الاعتراف، فيتخطى الحدود المحرمة، ويبحث لنفسه من مكان تحدث الشمس  
وهذا ما وجدناه عند عنتر • • • وخفاف بدوره، حاول بل لحقه من نسبه المعروف،  
وقبيلته المشهورة بين القبائل، ومن أجل لواء الفروسية في الشعر والشجاعة • • • كل ذلك  
استطاع أن يخفف عنه من عقدة اللون، ومن آثارها في نفسه وشعره وردود فعلها على  
حياته، ولكننا لا نستطيع أن نقر انعدام انعكاسها المطلق • • • ولا نعدم بالتالي بعض  
الجراح التي ما زالت تعرف حتى أنها صبغت الدماء باللون الأسود :

فجادت له يمين يدي بطحمة كست منته من أسود اللون حالكا (١)

شعره :  
=====

خفاف بن ندبة شاعر مخضرم، عاش دهره في الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم، وقد اتفقت الروايات على حسن اسلامه، فهو صحابي، شهد فتح مكة مع النبي (ص) ومعه لواء بني سليم، كما شهد حنين والطائف (٢) . ومما يذكر له في هذا المجال نبوته على الاسلام حين ارتد من ارتد من قومه عن الدعوة الجديدة أيام الخليفة أبي بكر، وهو يترجم ثباته على دين الاسلام في قوله :

لا دينكم ديني ولا أنا كافر  
حتى يزول الى صراة شمام  
بل ويمدح الخليفة أبا بكر فيقول من قصيدة طويلة :

ان أبا بكر هو الغيث اذ	لم تشمل الارض سحاب بماء
تالله لا يدرك أيامه	ذو طرة حاف ولا ذو حذاء
من يسع كي يدرك أيامه	يجهد الشد بأرض فضاء
المرء يسعى وله راصد	تذره العين وثوب الضراء

وأيما الصادق، طهر نفسه من أردان الحياة، وجعله زاهدا في متعها وطربها، ما أطلق لسانه في مجال آخر من الشعر، مجال يلامس الحكمة فيقول :

يا هند يا أخت بني الصادر	ما أنا بالهاقي ولا الخالد
ان أمسي لا أمك شيئا فقد	أطك أمر المسر الحارد (٣)

كما ضمن شعره مظاهر جديدة، بعد انتشار الدين الجديد، وهذا ما يظهر في قصيدته اللونية، ولا سيما الأبيات التي تشير الى ما كان بينه وبين بني عمه من خلاف :

ان الذي يقض الدنيا ويسطرها	ان كان أغلاك علي سوف يغليني
الله يعلمني، والله يعلمكم	والله يجزيكم علي ويجزي بني
ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي	أن لا أحبكم اذ لم تحبوني (٤)

وزهد خفاف في متع الحياة، يعتبر مظهرا من مظاهر تأثره بتعاليم هذا الدين لأن الآخرة خير وأبقى . . . فقد أخبرنا الأصمعي أن خفافا بعد ما زهد بمتع الحياة

(١) شعر خفاف : جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي  
(٢) البيان والتبيين : ١١/٢ - خزنة الادب : ١٥/٤ - الاعلام : ٢٥٦/٢  
(٣) الاصمعيات : ٢٩ وبنو الصادر هم بدلن من بني مرة بن عوف  
(٤) شعر خفاف +

استبقى لنفسه بأمرين : أحدهما قيادة الجيش واملاك أمره ، والآخر ذلك الفرس الذي  
لعبته بالسرعة والابقاء ولحاقه حمار الوحش بصيده ويمسكه على صاحبه (١)

وإذا ما أخذنا بالاعتبار قلة المادة المنقولة عنه ، وعن أشعاره ، إضافة إلى  
قلة المدة التي عاشها بعد الإسلام ، استطعنا أن نلمّ بالموضوعات الرئيسية في شعر  
خفاف :

- ١ - مهاجراته للعباس بن مرداس وهذا يشكل معظم شعره .
- ٢ - المفاخرة بنفسه وبقومه ، حيث اعتبرت قصائده سجلاً لتاريخ حياته ،  
ومفاخر قومه ومآثرهم . . .
- ٣ - الوصف لمظاهر الطبيعة في الهادية من برق سحب وطرير ورياح وسيل  
وحيوانات .
- ٤ - الغزل ، وقد جرى فيه مجرى القدماء فكان تقليدياً

ولا بد للمتحدث عن شعره ، وعن أخباره ، من التوقف قليلاً عند الخط الأول  
من خطوط شعره ، وهو مهاجراته للعباس بن مرداس . . . ومخاطبة الحديث عن هذا  
النزاع ، أن العباس - وهو زعيم القبيلة - قد وصله خبر خفاف ، وأنه يذمه على مسامح  
من أهالي قبيلته ، ويتهمه بخصال تعبد به عن الزمامة وهي : " اتقاؤه بخيلته  
بعد الموت واستهانت به سايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكابته للصالحين على  
الأسلاب " . . . وبفعل ذلك وقع الخلاف بين الاثنين وكان ما كان من المهاجرات  
وسبها ما قاله خفاف :

أرى العباس يلقن كل يوم  
ويزعم أنه جهلاً يزهد

شخصيته :

إذا كانت الأخبار والأشعار المروية عن خفاف في نشأته الجاهلية ثم في الإسلام  
هي المصدر الذي تستقي منه الخطوط العريضة لهذه الشخصية فإن أخبار هذا  
الشاعر من القلة بحيث تجعل القارئ في حيرة واستخراب من أمره . . . ولكننا رغم هذا . . .

(١) الإصعيات / ٢٩ - وهو الصادر : بطن من بني مرة بن عوف .

لحاول أن تتعمق النظر فيها وصلنا فتتعرف على شخصية: كان لها وزنها، ولها مكانتها سواء الموروثة أم المكتسبة • فالموروثة منها ما يعود الى نسبه لأبيه عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، والخنساء الصحابية المشهورة (ابنة عمه) • وهو الى ذلك شاعر من شعراء الجاهلية وقرائها (١) والمكتسبة منها ما يعود الى صلته الوطيدة بالدين الذي أشرق بنوره على الجزيرة العربية • فلقد شهد فتح مكة مع النبي ومعه لواء بني سليم (٢)، كما شهد حنين والطائف وهو ممن ثبت اسلامه حين ارتد من ارتد ممن لم يدخل الايمان الى قلوبهم • • وقد زادت هذه الامور من قوة شخصية خفاف، وأكسبتها جرأة كان يتحدى بها زعيم القبيلة • • ويذمه، على مسمع من أهالي قبيلته، وبتهمه بخصال تتعد به عن الزمامة • وأمور كهذه كانت قبيحة بأن تمسوكل أثر لحدة الشعور باللون عند خفاف، لو لم يعظه الله حساسية وشفافية لم تستطع أن تتحمل عادات المجتمع القبلي، وبالتالي تأففت عليه واشتكت وكانت شكوى مرة حين قال :

كلانا يسوده قومه  
على ذلك السب المظلم

غطاة سوداء هل تستطيع حجب ضياء الشمس • • • كما كان من الممكن أن تغطي بعض فعاله في مكة وحنين والطائف سواد لونه • • • أما كان نسب أبيه بقادر أن يغطي ضعف، نسب أمه • • •

رغم ذلك كله • • استطاع خفاف أن يدفع التيار المعادي بقوة، وأن يقف بوجهه ما استطاع الى ذلك سبيلا • • وأن يبقى مرفوع الرأس، موشح بالكرامة، فلم يتكسبه ولم يتهدل، وأما رضي أن يكون مقاتلا شجاعا، وفارسا مغوارا، ينافح عن الدعوة، ويقا تل المرتدين، فيسجل للسود من بني قومه صفحة في سجل التاريخ ناصعة البياض •

(١)

(٢) خزنة الادب : ١٥/٤ - البيان والتبيين : ١١/٢ •



### عدة بن الطبيب

سيرته :  
=====

هو عدة بن الطبيب والطبيب، اسمه يزيد عمرو بن وطة بن أسس  
ابن عبد الله بن عبد تميم بن جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مائة بن  
تميم . (١) وتميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تميم، وتميم صنم كان لها  
يعبده أهلها . ويقال لعبد شمس أو (عشمس) قريش سعد وذلك لصيتهم  
الذائع في الجبال (٢) . على أن عدة لم يكن ليشطه هذا الصيت الذائع في  
الجبال رغم اتسابه إلى القبيلة، بل كان على العكس من ذلك كما تصفه  
الروايات عدا حبشياً أسود اللون، لم يذكر عنه ما يوضح سيرته غير اشهرات  
يسيرة عرفنا منها أن له جملة من الاولاد كان يوصيهم بعد أن أسن، ثم تذكر طههم  
أثالا (٣) .

سيرته :  
=====

وعدة من الشعراء المخضرمين (٤) الذين رسخوا قدامهم في الشعر جاهلياً  
وإسلامياً . وما يؤيد هذه الشهادة ما ذهب إليه القصة المشهورة التي  
تتعلقها كتب الأدب والتي تلخص رأي ربيعة بن حذار اليربوعي في شاعر ربيعة  
أربعة من شعراء ذلك العصر .

تقول الرواية (٥) : تحاكم الزبيرقان بن بدر، وعمرو بن الأهم، وعدة بن  
الطبيب، والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر . . . أيهم أشعر  
من صاحبه ، فقال ربيعة للزبيرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج  
فأكل، ولا ترك نيتاً فانتفع به . . . وأما أنت يا عمرو ، فإن شعرك كبرود  
حبر، يظلم الأمل فيها البصر، فكلط أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل  
فإن شعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عدة : فإن شعرك  
كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تنطر . " وكأنه يريد القول : أن شعر عدة محكم

(١) الاثالي : ٢٨/٢١ - الشعر والشعراء : ٢٠٥/٢

(٢) الشعر والشعراء ٢٢٧/٢

(٣) شعر عدة : د . يحيى الجبوري ٦

(٤) الاثالي : ٢٨/٢١ - الاعلام للزركلي : ٣٢٢/٤

(٥) شعر عدة ٧

لا حشوفيه ولا لغو •• وربط ، ولهذه الصفة فيه ، قال عنه القدماء : انه من الشعراء المجيدين ولكن الظلمين •

أما عبدة ، الشاعر المسلم ، فقد حسن اسلامه ، وثبتت عقيدته فزاد عنها بالكلمة والسيف بعد أن كان يتهم في الجاهلية باللصومية •• وكان ممن شهد الفتح الاسلامية ، نشهد مع المثنى بن حارثة ، والعمان بن مقرن بالمدائن قتال الفرس ، بقيادة زعيمهم هرمز ، وكانت له في ذلك آثار مشهورة على المستويين القتالي والشعري (١) مع جلة من الشعراء الذين اشتركوا في الفتح الاولى ، ووصفوا أنفسهم وأشعارهم في خدمتها •• وزادوا عن حياض الدولة الاسلامية الجديدة ، التي بزغ فجرها ، وسطحت شمسها ، وكان لها المجد والعز في كل مكان ••

واسلام عبدة لم تحدد كتب الأدب التي تحدثت عن أخباره القليلة •• إلا أن الدكتور يحيى الجبورى الذى جمع شعره ، يتوقع أن يكون قد أسلم مع قوميه ستة تسع من الهجرة (٢) •

وعلى ما يبدو ، أن الاسلام كان له التأثير الأول والأقوى في تهذيب نفس هذا الشاعر العبد ، كما أن آثار الدعوة الجديدة وتعاليمها وتأثيرها في عبدة تظاهرت جليلة في قصيدته التي يوصي فيها بنية وصايا نابعة من صميم الدعوة ، التي تطلها قلب الشاعر ، واهتدى بهديها ، وظهر نفسه واطلق بها صرخة اردان اللصومية الجاهلية ، لا سيما أنه قالها بعد أن كبر به العمر

ابني ابي قد كبرت ورايتني	بصرى ، وفي لمصلح مستمتع
فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا	تهنى لكم معها آثار ابراهيم
أوصيكم تقوى الاله فانسوه	يمطي الرغائب من يشاء ويمسح
وهي والدكم ، وطاعة أموره	ان الأبرار من البهين الأطوع

شعره :  
=====

على قلة ما نقل اليها من شعر عبدة بن الطبيب ، فقد جمع في شعره أغلب

الفنون من رثاء وشعر وخطبة ووصف وحكمة وغزل (٣)

(١) الاعلام : ٣٢٢ / ٤ — الشعر والشعراء : ٢ / ٢٢٧ — ٢٢٨ — الاظاني : ٢٨ / ٢١

(٢) شعر عبدة : ٧ /

(٣) المصدر نفسه / ١٤

ففي الرثاء يظال لنا عدة بحاطقة صادقة أكثر ما لمسناها في رثائه  
 لقيس بن عاصم الصديقي • فقد كان بين قيس وعدة جفوة، هجره بعدما قيس  
 وليا خرج عدة في يوم يسأل عن دية بعد أن حمل دما في قومه، ساق  
 إليه عاصم بن قيس الدية كاملة عن ماله، وقد أثرت هذه الحادثة في نفس عدة  
 وعقد الحزم على مصالحته اثر تسليمه الدية لقومه، لكن المنية كانت قد سبقته  
 وأخذت عاصم بن قيس مما أحزنه أشد الحزن فوقف على قبره منشدا :

عليك سلام الله قيس بن عاصم	ورحمته ما شاء أن يترحمها
تحية من ألبسته منك نعمة	إذا زاد عن سخيل بلادك سلما
فما كان قيس ملكه ملك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدمها

والعاطفة الجياشة الصادقة التي لمسها بوضوح، وتحسن بمدى عمقها، هي  
 التي جعلت بعضهم يعترفون بها من أفضل ما قيل في الرثاء، حتى أن البيت الأخير  
 اعتبر أرقى بيت قاله العرب (١) •

أما في الهجاء، فقد قيل عن عدة أنه لا يحسن هذا الفن الشعري • • فقد  
 روى صاحب الأغانى أن رجلا قال لخالد بن صفوان : " كان عدة بن الطبيب لا يحسن  
 أن يهجو، فقال : لا تقل ذلك فوالله ما أبى عن عي ولكنك كان يترفع عن الهجاء  
 ويراه صلعة، كما يرى تركه مروءة، وشرفا • " (٢) وهذا القول لا يمنع من أن عدة  
 كان قد هجا بعض الأشخاص من هذا القبيل الأبيات التي هجا فيها يحيى بن هزال  
 وابنيه فقال :

أنت الذي لا ترعى نيله أبدا	جلد النوى، وفداة الروع خوام
تدعو بملك عآدا وهزيمة	فا فارة شجها في الحجر محفار

وعدة في حياته • • له وقفة مع المرأة، ترك من أثرها أبياتا حدكنا فيها عن  
 حديد من النساء اللواتي لقيهن وكانت له تجربة معهن •

وهو في حديثه عن المرأة، يذكر كل ما يتعلق بها من وصف لديارها التي أصبحت  
 أطلالا بوط يتركه تذكر هذه الديار من حسرة في قلبه :

(١) الاعلام ٢٢٢/٤

(٢) الاغانى ٢٥/٢١

(٣) شعر عدة ١٧-١٦٧

وقفت بها والشمس دون مضيها  
 قليلا فلما استعجبت عن جوابها  
 قريبا وماج الشوق من يتشوق  
 ولا حبهما عن شاحط النأي يخلق  
 ثم من وصف لجسدها ومحاسنه ، ومن تصوير لعواطفه تجاهها ، وما يلقاه في حبهما :  
 كأن أبله الزيدى يوم لقيتها  
 هليدة مكحول الدامع مرشق  
 تراعي خذولا يلفض المر شادنا  
 تتوه من الضال القذاف وتعلق  
 وإذا ما أحسن أن الشيب قد دب في رأسه ، وأن الشباب قد رحل ، فلا بد عندئذ  
 من أن يودع الحب ، ويذجر نفسه عن التطدى في عواطفها :  
 فعد عنها ولا تشغلك عن عمل  
 ان الصباية بعد الشيب تضليل  
 وما عدا وصف المرأة ومظاهر حبهما •• فهو وصاف خمرة من الدرجة الاولى •• حتى  
 أن بعضهم يحده رائدا من رواد وصفها (١) وبأن من جاء بعده ، ولا سيما  
 أبو نواس ، قد تأثروا به ••

ومع جمع عدة لأغلب فنون الشعر ، إلا أننا لا نجد في شعره سمة ، كانت  
 ولا زالت ، رئيسية في شعر الشعراء السود ، ألا وهي عقدة اللون بأعين لجهما  
 عدد عدة وكيف وما هو مدى تأثيرها فيه •• ؟ ••

من الغريب ألا نجد إشارة ، مهمت تضام شأنها ، لها دلالتها على السمة  
 حتى أن القارئ لشعره ، والباحث عن تأثير تلك العقدة ، يقف بحيرة أمام هذا  
 الشعر وهو يتساءل : بعد أن يضح سواده وحبيته جانبا •• حقا •• هل عدة  
 بن الطبيب من الشعراء السود ؟ •• وإذا كان كذلك ، وإذا أمنا بأن نفسية الشاعر  
 المتألمة من هذه العقدة لا بد أن تعكس آثارها بشكل ط على شعره ، كما عكسناه  
 على شعر غيره من الطائفة نفسها •• ، والذين لم ينبج واحد منهم من تأثيرهما  
 — مهمت كهبرت أو صغرت — ضمن ظروف المجتمع القبلي آنذاك •• ورغم  
 ما أحاط ببعضهم من ظروف ، ساعدت على التخلص الجزئي من تلك العقدة ••

هناك من يبر هذا لسببين ، أولهما : قلة الشعر المنقول اليها ، إضافة  
 الى قلة الأخبار المروية عنه ، وعلى وجه الخصوص في الجاهلية •• وثانيهما : بزوغ فجر

(١) الشعراء السود د •• يحده بدوى ٦٨ ••

الاسلام، وما نشر بمبادئه من تعاليم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص أطام الجميع  
من الاجناس والالوان كلها .

الا أننا نستطيع أن نزع أن مشكلة اللون ، كانت من بين الاسباب التي أضاعت  
شعره ، أو بسببها الى غيره من شعراء تلك الفترة البارزين . .

شخصيته :  
=====

كيف بدأت شخصية عدة من خلال شعره ، دلالة أن الكتب سكنت من نقل  
أخباره الا القليل منها ، لا سيما ما يتعلق من حياة في الجاهلية فقالت عنه  
مختصرا يزيد بأنه كان في الجاهلية مشهورا بمخصلتين : اللصوصية والشاعرية (١)  
أما اللصوصية فليس هناك ما يبررها الا الدافع الذي دفعه اليها . فسيد قشاعر  
أسود ، وبكفي اللون أخذ ليكون سببا في دمار صاحبه طديا وسعويا . لكن اذا  
ما أتيح لهذا الاسود أن يرد عنه هذا الدار بهشتى الطرق فلن يتوانى ، وقد  
رأى الشاعر في اللصوصية طريقا يقتضيه من السادة ، ويرد عنه وعن عائلته الجوع  
والفقر ، ولم يكن عدة الوحيد في هذا الميدان . . فقد سبقه السلايك بن السلكتة  
بعدهما وجد فيه نوعا من التمرد شفاء لما في نفسه من حقد تجاه ظلم الدهساسة  
والمجتمع لذنب لا علاقة له ولطائفه به .

وما يزيد في قلعنا حول هذا الموضوع ، أن المؤرخين للادب عادوا فذكروا  
بأن عدة ترك اللصوصية بعد بزوغ الاسلام ، وايطانه يتعاليمه وقيمه . . فقد رأى في  
هذه التعاليم ما انتظره طويلا فهي تقوم على العدل والمساواة بين جميع الناس دون  
تمييز الا بالتقوى . . وهي ستكون خير مقتضى من ظلم المجتمع . . لذلك يترك اللصوصية  
ويعمق ايطانه ، حتى رأينا له شعرا تتلوح منه رائحة التقوى ، وتزهو به الحكمة . .

لهذه الامور ، بدأت لنا شخصية عدة مزيجا من أمور متعددة . . فهي مزيج  
من القوة والتمرد ، ومن الاتزان والحكمة ، ومن الوفاء والاعتراف بالجميل . . ومما  
كان شعره — على قلته — الا دليلا قويا على هذه الأمور . .

الفصل الثاني  
الأمويون

نصيب الأكبر " العرواني "

نصيبه :

أول ما يطرأ على العنا في الروايات التي اهتمت بنقل نصيب نصيب تعددها فيقول بعضها : هو نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بوجدان ، فاشتراه عبد العزيز منهم . وقيل : أعتقه ، فاشترى عبد العزيز ولاه منهم ، كما ذكره بل كاتب مواليه فأدى عنه مكاتبته (١) ، وأخرى من الروايات تقول : أن نصيبا كان عبداً لبني كعب بن ضمرة من كنانة ، أو من بلي من قضاة (٢) . ويكنى بأبي الجحنا (٣) وقيل : أبا محجن (٤) أصلاً اسمه ، فهو النصيب ، كما أجاب من سأله : " لم سميت نصيباً ، ألقوك في شعرك ، طينها النصيب ؟ قال : لا ، ولكني ولدت عند أهل بيت من وجدان ، فقال سيدي : ايتونا بدولودنا هذا لننظر اليه ، فلما رأني قال : انه لمنصب الخلق ، فسميت النصيب ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني " . (٥)

وقد سمي نصيباً الاسود العرواني ، تمييزاً له عن نصيب الاسود الهاشمي ،

ونصيب بن الاسود الذين ذكرهم التبريزي في تهذيبه . (٦)

ومع الاتفاق على سواده ، فقد تعددت الروايات التي تحدثت عن نسبه ، وبعضها

يؤكد على أنه كان ابن تميمين سببين كنانة لخزاعة ، ثم أن أمه - وكانت تدعى سلامة - كانت أمة سوداء وقع عليها سيدها فحبلت بنصيب ، ثم اشترتها امرأة من خزاعة وهي حامل

(١) الاغانى : ٢٠٢/١ - سبط اللائى : ٢٩١ - النجوم الزاهرة : ٢٦٢/١

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٦٧٥/٢ - زهر الآداب : ٤٤/٢ - الشعروالشعراء : ٣٧١:١

(٣) سبط اللائى : ٢٩١ - البيان والتبيين : ٢١٩/١

(٤) النجوم الزاهرة : جمال الدين الاثري ٢٦٢/١ - نوادر المخطوطات : ٢٩

(٥) الاغانى : ٣٢٩/١ - ونصيب الخلق : مستقيمه .

(٦) المزهر للسيوطي ٤٢٥/٢ .

فأعنتها في بطنها • والبعض الآخر يقول أن أباه كان من بني ضمرة ، وكان  
شاعرا فحلا فصيحاً مقدماً في السيب والمديح ، عفيف اللسان حتى يقال أنه  
لم يتسب قط الا بأمراته ( ١ ) •

سيرته :  
=====

زمن نصيب هو زمن الخلافة الاموية ، ابان ولاية عبد العزيز بن مروان  
على مصر ( ٦٤ - ٦٥ هـ ) حيث طهر كلا من عبد الطك ، الوليد ، سليمان ، عمر بن  
عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، وطش ثلاث سدين من خلافة هشام • وطش ذلك  
يرجح الدكتور داود سلوم الذي جمع شعره - أن يكون ولادته قد حدثت في  
خلافة معاوية ( ٤١ - ٦٠ هـ ) وطش أبعد تقدير سنة ( ٤٤ هـ ) ووفات ( ١٠٨ هـ )  
فتكون حصيلته حياته بين سنة الولادة التقديرية ووفاته أربعة وثلاثين عاماً ( ٢ ) •

وانسان يحمل بين جنبيه قلباً يبنى بالسببة لأبناء جنسه ، ولأبناء جدته  
على وجه الخصوص ، والعطف على حالهم ، ويحمل شعوراً حساساً ورغبة جازمة في  
تخليصهم مما كبلتهم به الأيام والنظروف ، ••• كان لا بد لهذا الانسان من  
أن يجد وسيلة ناجحة للوصول الى تحقيق ملامحه ، وطريقاً سالكة عبر دروب متعددة •••

لقد وجد نصيب في نفسه ، وادربذور شعرية ، نفاق يحدث نفسه بأطال عريضة  
ولكن ضمن تلك الظروف لا بد أن يسأل نفسه ••• هل سترى هذه البذور العورة؟  
وهل سيكتب لها النور والحياة ؟ ••• وإذا ما كتبت لها الحياة ، فهل ستجد اليد  
الحانية التي ستسقيها وستنمدها بالرعاية حتى تؤتي أكلها ؟ •••

لقد كانت نقطة الصفر حين ولى نصيب وجهه شطر مصر ، يريد أن يحزن  
موهبة ، وكله شوق وأمل الى ما سلاقيه هذه الموهبة من قبول أو رفض • يقول  
نصيب : قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ، فجعلت آتي مشيخة من بني ضمرة  
بن بكر بن عبد مائة ، ومشيخة من خزاعة ، فاشددهم التصيدة من شعري ، ثم  
أسبها الى بعض شعرائهم الماضين ، فيقولون : أحسن والله ؟ هكذا يكون  
الكلام ؟ وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم طمعت أي مومن • فأزعمت  
الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر ، فقلت لأختي ابانة : وكانت طائفة

(١) الاطالبي : ٢٠٦/١

(٢) معجم الادباء يا قوت الحموي = ٢٧٨

جلدة ، : أى أخية ، ابي قد قلت شعرا ، وأنا أريد عهد العزيز بن مروان ، وأرجو  
 أن يعطك الله عز وجل وأمك ومن كان مرموقا من أهل قرابتي . قالت : انا  
 لله وانا اليه راجعون أيا ابن أم ، اتجمع عليك الخصلتان : السواد ، وأن تكون  
 ضحكة للناس . . فلما أشدتها قالت : أحسنت والله ، في هذا والله رجاء عظيم  
 فاخرج على بركة الله . (١) وهكذا رحل نصيب وهو بين مشجع لخروجه كأخته النبي  
 كانت فيط بيد و عالمة بأمور الشعر ، وبين مشط لهما كعجوزة وأمه التي ما لبثت  
 أن عدلت عن رأيها لما رأته تصيغه .

ومن هنا كانت بداية نصيب . وكل بداية تطمح الى القمة ، سلاقي  
 صعوبات وتعديات كثيرة ومتنوعة ، ترى نصيبا أطمعها وانقا من نفسه مصط على  
 المطابقة . ويعترض طريق سيرته جملة من الشعراء الذين حاولوا أن يبتوا بسذور  
 اليأس في قلبه فخراه يلتقي بالفرزدق وبعد أن يحرض عليه شعره يقول له : "   
 ويلك . . أمذا شريك الذي تطلب به الطوك فليست في شيء . . ان استطلعت  
 ان تكتم هذا على نفسك . . وتتابع الاغابي القصة على لسان بطلها الذي  
 يقول عن نفسه : " فانفضحت عرقا ، فحسبي رجل من تريحش كان قريبا من الفرزدق وقد  
 سمع اشادي ، وسمع ما قاله الفرزدق فأوطأ الى وقال : ويحك أهذا شريك الذي  
 أشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم قال : قد والله أصبت . . والله لئن كان الفرزدق  
 شاعرا لقد حسدك قائما للخرقة ، محاسن الشعر . . فامضي لوجهك لا يكسر منك . فسرتي  
 قوله وعلمت أنه صدقي فيط قال فاعتزمت على المضي . (٢)

ويتمكن نصيب من الوصول بعد لأي الى عهد العزيز . . ويداول انتظاره  
 حتى يكاد يبأس ، ويتدخل القدر مرة أخرى حيث تقدم له المساعدة من بعض  
 الحاشية ، الذين يستأذنون له بالدخول على عهد العزيز الذي يذلل بأن هذا  
 الأسود المستأذن في الدخول ليس الا ممن يهزأ به ويسخر منه . . لكن  
 ما يلبث أن يهزأ حين يشده :

(١) الاغابي ٢٠٥/١

(٢) المصدر نفسه ٢٠٦/١



لحيد العزيز على قومته  
فبايك أسهل أبوابهم  
وكلك أراف بالزائرين  
وكفك حين ترى المعتفين  
وغيرهم ممن غامرته  
ودارك مأهولة عامرة  
من الأم بابنتها الزائرة  
أدى من الليلة الطاهرة (١)

وما أن ينتهي من اشاده ، حتى يستأذن الحاجب للشاعر أيمن بن خريم  
فلما دخل واطمان قال له الامير : يا أيمن كم ترى ثمن هذا العبد ؟ قال أيمن :  
والله للحم الخاد في اثر المضاى . . هذا أيهما الأمير أرى ثمنه مائة دينار . فقال :  
فان له شعرا وفصاحة فقال أيمن للصيب أقول الشعر ؟ ولما أجاهه نصيب بنعم قال :  
ثلاثين دينارا قال الأمير : يا أيمن ارفعه وتخفزه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها  
الأمير بهذا الشعر ؟ أشل هذا يقول الشعر أو يحسن الشعر ؟ فقال : أشده يا  
نصيب ، فلما أشده قال : شعرا أسود هو أشعر أهل جلدته . . قال : هو  
والله أشعر منك . على أثر ذلك تكون القطيعة بين الامير وشاعره الاول أيمن (٢)

والقصة هذه كما أوردتها كتب الادب تستطيع أن تعتبرها سجلا صادقا  
لاطلاقة هذا الشاعر . . ثم سيرته المحفوظة بالمخاطر ثم ثبات شاعرية نصيب  
بعد ذلك رغم مضايقات الشعراء له . . اذ نجده يجتمع مرة أخرى بالفرزدق عند  
سليمان بن عبد الملك . ويطلب سليمان من الفرزدق اشاده فيبدأ بقوله :

وركب كأن الريح تطلب عدهم  
لهاترة من جذبها بالحصائب  
الى أن ينتهي الى القول :

اذا آسوا نارا يقولون : ليتها  
ويغضب سليمان . . ويستأذنه نصيب في الاشاد على الـ روى نفسه فيقول :

أقول لركب صادقين لقيتهم  
فتنوا خبروني عن سليمان : اني  
تفادات او شال ومولاك قسار  
لمعروفه من أهل ودان طالب  
ولو سكتوا أثبت عليك الحقائق

فيقول سليمان للفرزدق : كيف تراه ؟ فيقول : هو أشعر أهل جلدته ثم يقوم وهو  
يقول :

(١) الاظلي ٣١٢/١ - معجم الادباء ٢٢٨

(٢) الاظلي ٣٠٨/١

وخير الشعر أشرفه رجالا وشعر الشعر ما قال العبيد

وهكذا . . استطاع نصيب أن يفرض نفسه بشاعريته الفذة، وأن يسقط شعرا  
كانوا بالأمن القريب ندما الأمير . واستطاع بذلك أن يدخل مرحلة جديدة،  
ابتسمت له فيها الحياة، بعد أن خلف وراءه ذلا وعبودية كانتا قد لحقتا به  
منذ أن رأت عيناه النور . لقد كافأه عبد الوهيز على مدحه ، وأعطاه من  
المال ما استطاع أن يشتري به نفسه (١) . ثم يكسب بعد ذلك مالا  
كثيرا يستطيع أن يحرره به أخته وأمه وبعض أقرانه (٢) . ثم يكون لنفسه  
مكانة يحسده عليها كثيرون، الأمر الذي دفع مواليه أن يستلحقوه فأبسى  
وقال : " لأن أكون مولى لا تقا أحب الي من أن أكون دعيا لاحقا ، وقد  
ظمت ألكم تريدون بذلك مالي ، والله لا أكسب شيئا أبدا الا كنت أنا وأنتم  
فيه سواء كأحدكم ، لا أستأثر عليكم فيه بشيء أبدا . وكان كذلك معهم حتى  
مات ، اذا أصاب شيئا قسمه فيهم فكان كأحدكم " . (٣)

ورغم ما وصلت اليه شهرة نصيب الشعرية ، ورغم العزلة التي نزلها بعد  
دخوله القصر الملكي ، وميازته رضى وعطف أصحاب القصر الا أنه لم يتسلخ  
نهايتها عن طبيعته . . . كما لم تستلخ أشواق القصر - رغم قوتها - أن تبهره  
فتخفي وضعه ، وتحمو عقدة لونه ، فهو كثيرا ما يسرد على سخرة البعض من  
سواده بمنتهى الهدوء الحزين ، ويبدو وكأنه لا حول له ولا قوة . . . فقد  
هجاه شاعر من أهل الحجاز فقال فيه :

رأيت أبا الحجاج في الناس حائرا      ولون أبي الحجاج لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده      وان كان مظلوما له وجه ظالم

ف قيل لنصيب : ألا تجيبه ؟ قال : لا ، ولو كنت ما جيا لأحد لأجبهه ، ولكن  
الله أوصلني بهذا الشعر الى غيره فجعلت على نفسي ألا أقوله في شر . وسأ  
وصفي الا بالسواد وقد صدق " . (٤) فهو قانع بلونه ، وقانع بأن لديه من  
الصفات ما يحون بها عن هذا اللون ، فيحاول بذلك أن يقارع خصمه بمنتهى الحكمة

(١) الاظني ٢١٢/١ - معجم الادباء ٢٢٨/١٦

(٢) الاظني ٢١٧/١

(٣) المصدر نفسه ٣١٤/١

(٤) المصدر نفسه ٣٢٨/١

والا تـزان والتعقل بعيدا عن ثورة العاطفة فيقول :

ليس السواد بنا قصي ما دام لي  
 من كان ترفعه طابت أصله  
 كم بين أسود ناطق ببيانه  
 اني ليحسدني الرفيع بساؤه  
 هذا اللسان الي فؤاد ثابت  
 فبيوت أشعاري جعلن ملابتي  
 ماضي الجفان وبين ابهض صامت  
 من فضل ذاك وليس بي من شاست (١)  
 وشاعر مثل نصيب يحرف قدر نفسه ، يعتذر برفق عن مادمة الأ مبر حين يطلب مدسه  
 ذلك فيقول : " أصلح الله الأ مبر ، اللون مرسد ، والشعر مطلق ، ولم أتصعد اليك  
 بكريم عنصر ، ولا تحسن منازره ، وانما هو عقلي ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما  
 فافصل " (٢) وهذا هو دائماً في كل ما يحرض له ضمن هذه الدائرة . . .  
 فهو ا ما أن يصمت ، ووراء صمته قلب حزين ، ووصفة تعدت به عن الثورة والهجوم  
 واما أن يتكلم ، وكلامه عندئذ أكثر حزناً .

شعره :

يتجه نصيب في اتجاه الشعري الى غرضين رئيسيين يتحرك ضمنهما  
 غرض آخر ، تكمن أهميته في أنه يشكل الصورة الواقعية الصحيحة لعبد أسود ثم  
 غرضين آخرين كان لنصيب موهبة جولات تستحق الذكر . . . وتكون الأغراض التي  
 اهتم بهما النصيب : المدح ، الغزل ، الشعر الذاتي واللون والنسب ، ثم الرثاء  
 والوصف . وقد بدأ بشيد المدح مع عبد العزيز بن مروان حتى كفي بنصيب المرواني  
 اذ يقف بين يديه مشددا :

لعبد العزيز على قومه  
 فبابك أسهل ابوابهم  
 وغيرهم ممن غامرة  
 ودارك ما هولة غامرة

ويخلص بحوار لفة آل البيت الاموي الذي احتضنه ، وأكرم وفادته فراه مرة أخرى  
 ينشد سليمان بن عبد الملك مديحا يتحدى به مديح الفرزدق وكان موجودا آنذاك  
 في حضرة سليمان :

أقول لركب صادرين لقيتهم  
 قفوا خبروني عن سليمان : اني  
 قفا ذات اوشال ومولا قسار  
 لمعرفه من أهل ودآن طالب  
 لو سكتوا أثنت عليك الحقايب  
 فجاوا فائقوا بالذي انت أهله

(١) الاظاني : ٣٢٩/١

(٢) العقد الفريد : لابن عبد ربه : ٣٤٩/١ .

وأمدحهم لهم تتميز بصدق العاطفة، لتشمل العائلة الاموية كلها وليقول  
فيهم :

من الفخر الهبني الذين اذا التجوا      اقرت لنجواهم لوى بن غالب  
يحبون بسامين طورا وتسارة      يحبون عاسين شوس الحواجب (١)  
واخلاصه للامويين لا يتوقف، على مدحهم خلال حياتهم الحاضرة .. بل يبقسى  
اخلاصه مستمرا، وعواطفه صادقة تجاههم حتى بعد وفاتهم .. فان رحلوا عن  
الحياة الدنيا كان رثاؤه لهم دليل حب مستمر لا ينتهي .. وان رحل عبد العزيز  
بن مروان بفعل انتشار الداعون في مصر رثاه فقال :

أصبت يوم الصعيد من شكسر      مصيبة ليس لي بها قبيل  
تالله أنسى مصيبي أبدا      ما اسمعتي حليلها الا بيل  
ولا التكي عليه أعولسه      كل المصيبات بعده جليل  
لم يعلم العشي ما طبه من ال      بحرف، ولا الحاطون ما حملوا (٢)  
أما الحب والغزل، فلصيب تجربة معها، وله حديث عنها لكنه حديث ذو حجبون  
لقلبه أكثر من تجربة، وفي كل تجربة لوعة وخصه ثم اخفاق وخيبة .. وقصته مع  
أمة لهني مدح ليست الا من هذا النوع ..

لقد أحب بصيب أمة من بني مدح، فكانوا يحرسونها منه، فيحطل فؤاده  
بنظرة أو اشارة، وحين يسأله عبد العزيز عن نهاية قصة حبه يجيبه بصيب : بيعت  
فأولدها سيدها .. ولم يبق منها غير عقابيل حزن (٣) .. وفيها يقول :

وقفت لها كيما تمر لتلبي      أخالسهما التسليم ان لم تسلم  
ولط رأيتي والوشاة تحدرت      دامتها خوفا ولم تتكلم  
ساكين أهل العشق ما كنت أشتري

جميع حياة الحاشقين بدرهم

وعقدة اللون دافئا وراء أحزان الشاعر وآسيبه، حتى في أمور المحبة، فرغم شهرته  
التي طوقت الآفاق، ورغم أن قوله كان مدار حديث النسوة .. الا أن غصة  
دائمة كانت تحشرج في ملاقه وتضعه من التطدي في الجريان وراء قلبه الذي كان  
شعلة حب لا تطفئ ..

(١) شعر بصيب : جمع د . داود سلوم / ٢١

(٢) المصدر نفسه / ١١٣

(٣) الاطلسي : ٢٤٦ / ١

لقد كان يحاول دائما أن يقنع نفسه ، ويقنع قلبه المتعطلش، أنه لم يخلق لأن يُحِبَّ أو يُحَبَّ ، طالما أن هناك دُمعة تذكره دائما بانقطاعه الى تلك الطبقة المسحوقة التي اسقطت القلب من حسابها . . . لذلك . . . فحين يطلب من نصيب أن يظهر لأن " نسوة يردن أن يتأرن اليك ، ويسمعن منك شعرك ، قال : وط يصنعن بي يرمين جلدة سوداء وشعرا أبيض ، ولكن ليسمعن شعري من وراء ستر " . (١)

انه على ثقة من أنه وحب، شاعرية تستحق أن تجتمع لسببها نسوة ، لكنه على ثقة أيضا بأنه قد حرم الشكل الذي يثير عواطف تلك النسوة . . . ولهذا فهو يفضل أن يقرأ عليهم من وراء ستر . حتى وان حاول أن يقنع نفسه بأنه ليس للشكل من قيمة أمام تلك الشاعرية ، وأمام قلبه اللجوج الذي يحاول دائما أن يأخذ حقه العادل من المرأة ، كان هناك من يذكره ، ويردعه من مثل هذا صفا . فقله لم يخلق للحب . . . فاذا ما أثير وجدانه ، وشذبت به غيرة النسوة وبعدت ديار الحبيب فتذكر الأعبة واستولهم ذلك ، نرى من يضحك ويسخر منه قائلا : " انط يهتر اذا عشق من انتسب غريبا ، فأما أنت فط لك ولهذا فيستحي ويسكت " (٢) حتى المرأة نفسها ، البيضاء ، مدين أو السوداء ، والتي كانت محسورة شعره لم تعطه الا القليل القليل . . . واذا ما حاولت أن تعطيه فهي بين مواقع ثلاثة : اما أن يحول خائل بيدها وبهية ، كما رأينا مع أمة بني مدلج . أو أن تتدخل السلطة في الوقت المناسب فتتمتع بقوة الحكم . هذا الحب . وهذا ما حصل مع نصيب عندما أسب عربية اسمها ام بكر الخزاعية في دمشق وان " عبد الملك ذاهر على تعلقه بها وتسميه بها فدناه عن ذلك حتى كف " . (٣) أو أن ترى المرأة نفسها تباطله وتمنعه بالوعود ، وتنادرا ما تفي ، بها . . . وقصة نصيب مع الجارية " الحمراء " خير مثال على ذلك . فقد دخل نصيب مرة على يزيد بن عبد الملك فقال له : حدثني يا نصيب ما سر عليك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين طقت جارية حمراء ، فمكثت زمنا تعطيني بالا بالليل ، فلما ألمحت عليها قالت : اليك علي ، فسو الله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت لها : وأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت : ما أطرفك يا أسود ففاظني قولها ، فقلت لها : هل تدرين ما الأطرف ؟ انط الأطرف

(١) الاظلي ١/٢٤١

(٢) الاظلي ١/٢٤٢

(٣) الاظلي ١/٢٢٨

العقل، ثم قالت لي : انصرف علي حتى أنظر في أمرك، فأرسلت اليها هذه الأبيات :

فان أك حالكا فالمسك أحوى      وما لسواد جلدي من دواء  
ولي كرم عن الفحشاء نساء      كبعث الارض من جوار السمام  
ومثلي في رجالكم قليبسل      وهثلك ليس يعدم في النساء  
فان ترضي فردى قول راض      وان تأبي فحن على السواء

قال : فلما قرأت الشعر قالت : المال والشعر يا تيمان على غيرهما ، فتزوجتني (١) وسواء صدقت هذه الرواية أم لم تصدق، فان عزوفا وصدودا <sup>حصل</sup> من جانب المرأة عن إقامة علاقة وشيجة بينهما وبين نصيب .

ولم يكن يحدث نصيب عن اللون، وعن النسب، وعن أهله وطبقته من السود وحالتهم الا جتطعية المزينة بأكثر فرحا ، أو أزهى لونا من حديثه عن تجربة الحب، الذاتية عنده . لانه كان يشعر في قرارة نفسه أن اللون الأسود كان شبة في جبينه ويبين طبقتة ، وكان سببا في كل ما لا قوه من آلام واحانات وآسي ، ~~هــــــــــــ~~ وقصصه مع أشهر الشعراء من غير طبقتة تنضج بهذه الآلام ، وتدل ان دلت على شيء على أن جميع من هجاه ووقف ضده هاجم فيه سواده المقترن بالعبودية . وهم ان عدلوا معه فان أكثر مدحهم له لا يخرج عن إطار الجعلة المشهورة : " انه أشعر أهل جلده " . وكثيرا ما تراه يحتج على من يوجه له الاهانة تلوا الاهانة معيرا بسواده فيقول :

فان أك حالكا فالمسك أحوى      وما لسواد جلدي من دواء  
ولي كرم عن الفحشاء نساء      كبعث الارض من جوار السمام (٢)

ويحاول أن يفتح الجميع أن يباخر أفعاله وأخلاقه كقيل بأن يخطي ويحجب بقوته  
سواد لونه :

كسيت ولم أملك سوادا وتحتة      تعيين من التوهي بيض بناثقه  
وما ضرب أكوابي سوادى وانبي      لكالمسلا يسلم عن المسك ذائقه (٣)

وأما الشعر الوصفي عند نصيب، فالأبيات التالية تستدل على أن تعديلنا صورة متكاملة الحركة واللون والشكل والمضمون :

(١) الأظاني : ٣٢٠ / ١

(٢) شعر نصيب : ٥٨

(٣) المصدر نفسه

كأن القلب ليلة قيل يضدي  
 قفلة غرها شرك فباتت  
 لها فرخان قد تركا بوكر  
 إذا سمعا هبوب الريح نصفا  
 فلا في الليل نالتا ترجى  
 ومهما تكن الموضوعات التي طرقها نصيب المرزاني في الشعر، فإن مكانته  
 الشعرية قد أصبحت راسخة رغم المسوقات كلها، حتى أن ابن سلام جعله في  
 الطبقة السادسة من الأعلام مع ابن تيسر الرقيات وجميل والأحوص (٢) وجرير  
 يقول: وددت أن هذا البيت من شعر هذا الصيد كان لي بكذا وكذا بيتا من  
 شعري، ويحلي قول نصيب:  
 بزيب ألم قبل أن يرحل الركب      وقتل إن تلبها فذاك القلب (٣)  
 وكثير يحكم له بالانتماء على عمر بن أبي ربيعة، والتميم، والأحوص، في قصة مشهورة  
 تناقلتها كتب الأدب (٤)

واسماعيل بن يسا يعتبر نصيبا في المرتبة الثالثة بعد علقمة بن عده، ويحده  
 فيقول فيه: "انه لشاعر والله كريم" (٥)

فإذا تركنا الشعراء ممن اعترفوا له بالفضل والشاعرية... وجدنا كثيرا ممن  
 اصحاب الأمر والسياسة يؤكدون ما سبقهم إليه أولئك الشعراء... فقد رأينا كيف  
 أن عبد العزيز بن مروان أحب صحبته وفضلته على أيمن بن حمير... وسليمان بن  
 عبد الملك يفخر به ويمدحه فيهم على الفرزدق وعبد الله بن جعفر يقول لما عاب عليه  
 بعضهم عظمه للصيد: "لئن كان عبدا ان شعره في لحر، ولئن كان أسود  
 ان ثنائه لأبين وأبطأ أخذ بالأيمن، وثياها تهلى، ورواحل تنسى، وأعدلى مديما يروى  
 وثنا يبتى" (٦)

(١) شعر نصيب / ٥٨

(٢) طبقات الشعراء: ٢: ٦٧٥

(٣) الكامل للبرد / ١/ ١٨٢

(٤) الموشح للمزناشي: ٢٥٧ - ٢٦٠ - الكامل: ١٥٦/٢ - ١٥٧

(٥) دلائل فحول الشعراء: ٢/ ٦٧٥

(٦) الحقد الفريد / ١/ ٣١٨ - الكامل: ١٦٧/٢

ويكفي نصيب الفخر في أن كثيرا من جيد شعره ، قد نسب لسدد من عشاق  
 الحرب المشهورين ، وعلى وجه الخصوص أبياته المشهورة والتي مطلعها :  
 كأن القلب ليلة قيل يندى      بليلى الحامية أو يسراج  
 قطاة غرها شرك فباتت      تجاذبه وقد علق الجراح (١)  
 ذلك أن نصيبها " لم تكن له قصة حب مشهورة ، وهو يتركيزه على " ليلى " قد جعل  
 قسطا كبيرا من شعره يضاف وينقل إلى المجنون وإلى غيره " (٢)

ومهبط يكن .. فقد استطاع نصيب " الأسود " ، المولود من أبوين  
 نوبيين ، والسدى لم يحط من قيم المجتمع في تلك العقبة من الزمن سوى شاعرية سيئة .  
 استطاع بهذه الموهبة أن يثبت قدميه ، وأن يحقق طموحا راوده في تحرير نفسه وأهله  
 وأقربائه . وان لم يستطع أن يتخلص من عقدة اللون التي كانت تطارده أبط ذهابه ،  
 وكيف أتجه .. لذلك نراه يفضل أن يعيش متصالحا مع عصره .. وان كنا نلمح خلف  
 هذا الصلح آلاما مضمخة تخور جذورها إلى أعماق أعناق الشاعر .

#### شخصيته :

تخيلت لنا أيام نصيب الشاعر ، أنني أطمح رجل ضخيم ، كهرمل ، منتصب القامة ، عريض  
 المكبين ، فاحم البشرة ، يحجب خلف عينيه الهادئين بريقا ساطعا كأنه لهب ثورة  
 كبتت فامتدت جذورها إلى الأعماق . ويحمل وراءه هدوء ملامحه ، وشديد وقاره ، ذكاء  
 وشفقة سخرهما في تثبت قدميه في ظلم الشر .. كما سخرهما في مجال تحقيق ملامحه  
 وتعالجه المشوّق نحو الحرية له ولأهله المقربين ، ثم لأهل جلدته ..

ولحن حين نتصرف على شخصية نصيب هذه ، ندخل مرحلة جديدة من مراحل  
 الاقرار والاعتراف الجزئي بالشاعر الأسود .

ونصيب في كل حالاته ، يتميز بشعور مرهف ، وحساسية مفردة تتجلى عنها شعور  
 بالواجب شعور دفننه إلى أن يفاضل من أجل تحرير رقاب السود .. وهذه الصفات  
 هي نفسها التي كشفت عن دموع خلاق لا يقل سواها عن صفاته الأخرى .. دموع يضع  
 الحرية نصب عينيه ، أيما ما منه بأن الحرية لا توهب وإنما تؤخذ بالنضال . النضال الذي  
 يحتاج صبورا كما يحتاج مرونة ، مهبطا اغتبا وراء هذا الصبر وتلك المرونة من أمعان .

(١) معجم الشعراء - المرزباني ١١٩ / ٢٢٢

(٢) الشعراء السود ١١٩



الفصل الثالث  
مخبرمو الدولتهم الأموية والعباسية

أبو عطاء السدي

سيرته :

أبو عطاء السدي، من الشعراء السود الذين مرت بهم قافلة رواة الأدب مرورا طويلا، دون أن تحمّل نفسها عبء الوقوف، أو الاستراحة في محطتهم •• فتعمل ط حسن وط ساء من أظهارهم •• وما أشتهر وما خمل من أظهارهم •• فتعرفنا بعضها بشخصية هذا الشاعر مبتدئة باسمه فتقول : اسمه أفلح بن يسار السدي (١) • وبعضها الآخر يدعو مرزوق، طريح بن اسمعيل أبو اسمعيل ابراهيم بن عرمة (٢) • إلا أنها تعود فتقف على أنه مولى أسد بن خزيمه (٣)، وعلى وجه الخصوص مولى عطر بن سماك بن عصين الأسدي (٤) أم لقبه "أبو عطاء" فيقال انه أمزله بوصيف بربري فسماه عطاء وتكنيته (٥)

سيرته :

كان أفلح على ما يصفه الرواة أسود، دميما، قصيرا، سديا أو أعجميا، لا يفصح بسبب الحجمة التي كانت فيه، والتي كانت اراث أبائه وأجداده • وبالذات اراث والده يسار • ويظهر أنه كان قد قدم مع جملة من أبناء قومه من أهل السند، فعرفوا طريقهم الى البلاد الاسلامية، واستقروا بها بحيث أصبح هذا العصر السدي فينا بعد - عصرنا من العناصر الكوفة للامة الاسلامية (٦) ذلك العصر الذي حظى باهتمام المسلمين، وخفف من وقع الصدمة على نفوسهم ومن اختلاف النظرة لهم من باقي السود الذين قدموا الى البلاد العربية من مختلف بقاع الأرض وانضموا الى لواء الدعوة الجديدة العادلة • وهذا ما يلخصه لنا المسعودي حين ذكر بعض أخبار الهند وأرائها وبدء مطالعها وطوكها فقال : " أن الهند كانت قديم الزمان الخرة التي فيها الصلاح والحكمة " • وقال : " والهند في عقولهم وسماستهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة مزجتهم، وصالها أذها لهم، ودقة نذارهم بخلاف سائر السودان من الزنج " (٧) • ا ذلك نرى ان عقدة اللون والحجمة التي كانت في ابي العلاء •• كانت قد مساه مساسا

(١) الاطلاع : ٣٤٢ / ١ - معجم الشعراء ٤٥٦

(٢) الشعر والشعراء ٧٤٢ / ٢ - معجم الشعراء ٤٥٦ - كنى الشعراء ٩٤ (مخاوطا المشغلين

(٣) الشعر والشعراء ٧٤٢

(٤) معجم الشعراء للزبياني ٤٥٦

(٥) الشعراء السود ١٦٧ - الاطلاع ٣٤٢ / ١

(٦) فضى الاسلام احمد امين ٢٤٠ / ١

(٧) شعراء العرب وبلادهم الجاهلية والاسود ٢٥٠ - ٢٦٠

رقيقاً <sup>كأنه</sup> رغم ذلك، تركت آثاراً واضحة كلها تشر بها تتخلل أشعاره التي تشكل نتاجه الأدبي المتنوع، من ذلك قوله عن نفسه من خلال قصيدة كان قد مدح فيها سليمان بن سليم :

أعزتي الرواة يا ابن سليم      وأبى أن يقيم شعري لسائلي  
وعلاها لذي أجمع صدى      وجفاني لعجمتي سلطاني  
وازدرتي السيون إذ كان لوني      حالكا مجتوى من الألسوان  
وبكر هذه الشكوى من سواده في قصيدته التي قالها ، حين أمر أبو جعفر  
المصور الناس بلبس السواد :

كسيت ولم أكفر من الناس نعمة      سوادا إلى لوني ودنا ملهوجا (١)

شعره :  
=====

أبو عطاء السدي شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، الأمر الذي وقف أغلب أشعاره على الأحداث السياسية، والذي أكسبه - كغيره من شعراء تلك الفترة - نوعاً من التذبذب السياسي الذي لم يمكنه من أن يقف نفسه وشعره لحساب أحد الطرفين المتنازعين، وأن كانت كفته قد رجحت لصالح الامويين .

لقد نشأ في الكوفة، وتشيع للامويين، وهجائي هاشم . كما شهد حرب بني أمية وبني العباس، فكان بلاؤه وهواه مع بني أمية (٢) إلا أن هذا لا يطمعه - وهو الذي كان من الذين يدبرون وجوههم حيث اتجهت رياح النعمة - من الانضمام إلى صفوف الدولة الجديدة، وفي خياله مطامح، وآمال عريضة في أن يكسب ود هذه الدولة وعطاء رعاتها . وهذا أمر ليس بالصعب بالنسبة لهذه الفئة من البشر الذين يستلجج أن يستعمل وفق لغة العصر هذا بالالتهازين أو المتكسبين، ولن يكلفهم هذا مستوى بضع كلمات يصيغونها في قالب شعري جميل، ويحطونها على طبق من ذهب لسادتهم الجدد . . .

ها هي ذي الدولة العباسية يستوى عودها، وتقف على رجليها بقوة، فيشرع أبو عطاء بالانضمام إلى قوافلها، مجدداً لسائه الزبيل مدح حكامها والافخر بهم فيقول فيهم :

(١) الشعر والشعراء / ٧٤٦  
(٢) الاعلام / ٢٤٢ - معجم الشعراء للمزني / ٤٥٦

ان الخيار من الهبة هاشم  
وبعامة عودهم من خروج  
وبعامة أرذل الاشهرار  
ولهاشم في المجد عود نزار  
وبعامة من دعاة النار (١)

لكننا نحس به فخرا ومدحا باردى الماطفة، بعيدى الهوى، فهو حين يمدح المهدي  
يقول :

دعاك الشوق والأدب  
ومات بقلبك الطرب  
ومثلك عن طلاب اللهد  
وان فكرت مقلب  
ألا تتهاك واضعة  
تلوح كأنها العطب (٢)

وربط كان وراء هذا البرود في الماطفة احساس بفتور الاستقبال الذي استقبلوه  
به حكام الدولة العباسية، ولا يلبث هذا الاحساس أن ينقلب حقيقة ملموسة، فتهدد  
أحلامه حياهم، واذا هي أوام وأهية، واذا هي سراب خادع، فيدير ظهره لهم  
بعد أن أطلقوا أيديهم عنه، ومعوه أعطياتهم فيقول :

بني هاشم عودوا الى مخلاتكم  
فان قلم رهن النبي صدقتكم  
فقد قام سحر الصرع بدرهم  
فهذى النصارى رهن عيسى بن مريم

والباحث في شعر أبي عطاء وأخباره، لا بد أن يعرج على الصورة الهزلية التي  
نقلها الرواة عنه ضمن اطار الهزء والسخرية في لكنته ولثقتة اللتين كان يعاني  
منهما، واللتين كانتا مجالا واسعا لتحرش الشاعر لوان من العبث من مختلف الأطراف  
فكانت مصدر ازطاج ومضايقة له . . والحكاية التي نقلها البغدادي في خزائنه  
عن حماد الراوية اذا يقول : " كنت يوما وحماد عجرد وحماد بن الزبير قمان  
مجتهمين، فنظر بعضنا الى بعض، فقلنا : لو بحثنا الى أبي عطاء، فبحثنا اليه  
فقلنا : من يحتال حتى يقول : جرادة، وزج، وشيطان . فقلت : أنا، وجاء فقال :  
من هنا ؟ فقلنا : ادخل، فدخل فقلنا أنتعش ؟ قال : " قد تأسيت " قلت :  
أفتشرب ؟ قال : بلى، فشرب حتى استرخى، فقال حماد الراوية : كيف بصرک باللخز ؟  
فقال : من قال :

فما صفراء تكلى أم عوف،  
قال : " زيادة " قال : أحسنت، ثم قال :  
فما اسم حديدة في الرأس ترسى  
دوين الصدر ليست بالسنان  
نقال : " زز " قال : أحسنت ثم قال :

أتعرف، سجداً لبني تميم فويق الميل دون بني أهبان

قال : " بني سيدتان " فقلنا : أصبت أبا عطاء ، وضحكنا . . . " (١)  
ورغم أن كتب الأدب - على قلة ما أوردت له - من أشعار هي عبارة عن أبيات متفرقات  
مختلفة ، فقد طرقت موضوعات رئيسية في الشعر كالرثاء والخزل الذي يستحق أن يصفى  
تحت باب الخزل التقليدي ، لأن أبا عطاء لم يكن من هؤلاء الذين يملكون هوساً  
العشاق في الشكل أو غيره . . . إلا أن الميدان الرئيسي الذي برع فيه ، والذي غلب  
على أكثر شعره فهو ميدان الشعر السياسي ، لما يحمله من موقف متذبذب بين حكام  
دولة بني أمية وبني العباس حتى أنه امتد بهذا التذبذب إلى أعماق شخصيته

شخصيته :  
=====

إذا استطاع الشعر أن يشكل مدخلاً لاستكشاف كنه شخصيته صاحبه ، استطاعتنا  
التعرف إلى شخصية أبي عطاء السدي من خلال ما وجدنا له من أشعار متفرقة لا سيما  
في حال صمت كتب الأدب عن ذكر ما يتعلق بحياة هذا الشاعر الأسود ، وما رافقها  
من ظروف حالت دون شهرته ، كما حالت دون تصنيفه مع من هم في مستواه إنسانياً  
وشعرياً من شعراء الطبقة الأخرى .

وهذه الظروف مجتمعة رسمت شخصية هذا الشاعر ببساطة متناهية ،  
شخصية أولى مقوماتها الشعور بالنقص وهو شعور استطاع ترجمته - إلى نوع من التطرف  
والنفك غطى بهط ضففه ، وهر هروبه من التصادم مع مجتمعه والتصدى له وجهها  
لوجه ، كما رأينا عند سحيم ، أو كط سري عند غيره من شعراء الطبقة السوداء المتهورة ،  
وربما كان هذا الشعور سبباً مباشراً أو غير مباشر في تذبذب موقفه ومبادئه السياسية  
حتى أنه رحل عقب أيام العصور (٢) دون أن يسجل موقفاً محدداً إيجابياً كان أم سلبياً  
لصالح حكام عصره أو ضدهم . بل رأيناهم مواكبا - على كره - لحصره دون أحداث  
أية ضجة من حوله . . . لقد أراد - على ما يبدو - أن يعيش فقط ، وأن يحمل الهوية  
المناسبة للوقت المناسب .

(١) خزائن الأدب ١٧٠/٤

(٢) الأعلام ١/٢٤٢

## أبو نخيلة

سيرته

اختلفت الروايات في نقل اسم أبي نخيلة وكنيته • فبينما أكد بعضها على أن اسمه الأصلي يعمر (١) وكنيته أبو نخيلة لأن أمه ولدته الي جانب نخلة (٢) ترى بعضها الآخر يؤكد على ان اسمه الأصلي أبو نخيلة (٣) وهذا هو المرجح، وكنيته أبو الجعيد، وأبو العرماس (٤) • وتتفرد رواية القيرواني بالقول : ان اسمه الجعيد ابن الجون (٥) الا أنه يعود فيذكر في الحاشية بأن نخيلة اسم الشاعر لا كنيته ••

وأبو نخيلة هذا من بني حطان بن كعب بن سعد (٦) وقيل : هو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن مرم بن يثربي - وقيل ابن أثري - بن ظالم بن جاشر بن حطاد بن عد العري بن كعب بن سعد : بن زيد علة بن تميم (٧) وفي ذلك يقول :

أنا ابن سعد وتوسطت العجم      فأنا فيما شئت من خال وعم (٨)

وما يذكر عن هذا الشاعر أنه أسود ، عاق لأبيه ، دميم الوجه ، قبيح المنظر • وهو يعترف بذلك فيؤكد دماثة فيما روى له من شعر حين دخل اليمن ، ولم ير أحدا بها حسنا ، ورأى وجهه على ما به من بشاعة ودماثة أحسن الوجوه فيقول :

لم أر غيري حسنا      منذ دخلت اليمن  
كيف تكون بلادة      أحسن ما فيها أنا

سيرته

ماذا عن حياة هذا الشاعر الأسود ، الذي وصفه كتب الأدب بالعقوق

والدماثة •

فيما يتعلق بحياته في قبيلته بني حطان بن سعد ، فقد سكنت الروايات عن سردها الا أنها أشارت بأنه ماقت سهل الحياة بشاعرا فيهم وجهه شطر بلاد الشام عله يرى فيها من سعة الحياة ما يستطيع به أن يفدي قحط حياته الا ولي ، في أرضه وسجنه الأول •

(١) الشعر والشعراء ٥٨٢/٢ - البيان والتبيين ٢٢٥/٣

(٢) الشعر والشعراء ٥٨٣/٢ - خزنة الادب ١٢٨/١ - البيان والتبيين ٢٢٥/٣

(٣) الاظني ٣٦١/٢٠ - خزنة الادب ١٢٨/١ - مخطوطات كنى الشعراء ٩٢

(٤) الاظني ٣٦١/٢٠ - خزنة الادب ١٢٨/١

(٥) زهر الادب للقيرواني ٩٢٥/٢

(٦) الشعر والشعراء ٥٨٣/٢ - الخزنة ١٢٨/١ - البيان والتبيين ٢٢٥/٣

(٧) الاظني ٣٦١/٢٠

(٨) سبط اللالي ١٣٥/١

لقد خرج الى الشام، وأقام هناك حتى مات أبوه (١) ومن خلال اقامته هناك، حدثته نفسه بأهمية الوصول الى القصر الملكي، طه يحقق بين جدرايه الجامعة بعض طموحاته، ويدنن تحت أرضه حياة الذل والعبودية • • وأقصر سهيل الى ذلك — حسب تفكيره — هي التقرب والتطرق الى أصحاب السلطة بالمدح وإبراز ما يراه مناسباً من الطاقب •

وأول ما نراه يتصل بمسلمة بن عبد الملك، ثم يستلجج بذلك • • انه أن يحصل على ثقته ومحبتة، الى أن يوصله مسلمة الى الخلفاء الأيوبيين واحداً اثر الآخر (٢) ويهيئ له بينهم مكاناً معقولاً، ويصحوه بعد ذلك ثقة وطيدة، وينزلوه منزلة حسنة، ويملؤون يديه وجيوبه بالمال الوفير • ومن مدحه لهم • • ط قاله في هشام بن عبد الملك :

وقلت للميس اعطني وجدّي  
فهي تخدّي أحسن التخدّي (٣)  
الى أمير المؤمنين المجدّي  
ربّ معد وسوسوي معد

ويتنشي هشام ظرياً بهذا المدح فيقول لجلسائه : الخلام السعدى أشعر من الشيخ أبي النجم العجلي • ثم يكافئه على حسن مدحه (٤)

ورغم تقربه الى الأيوبيين، وحسن صلته بخلفائهم، وتيله ثقتهم، الا أنه سرعان ما يغير مذهبه السياسي تاركاً لبني أبيه، ناقلاً ولاه ومدحه لبني العباس هكذا، وبسهولة دفعت البغدادي الى وصفه بأنه " قليل الوفاء " (٥) والغريب في الأمر أن يزال حظوة أهل القصر في بغداد، فيدخل على السنان ليستأذنه بالانشاد • الا أن السفاح يبادره بالقول : لعنك الله، ألسنت القائل لمسلمة بن عبد الملك :

أمسلمة يا نجل، غير خليفة  
ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض

لكن أبا نخيلة سرعان ما تسعفه قريحته بما يبرر موقفه فيرتجز قائلاً :

كنا أناساً نرهب الهلاك  
ونركب الاعجاز والا وراكنا

وكل ما قد مرّ في سواكنا  
زور وقد كفرنا هذا ذاكنا

ويبدأ بعد ذلك في التقرب لبني العباس، ملتسماً شتى السبل الموصلة الى الهدف

(١) خزنة الادب ١/٨٠

(٢) المصدر نفسه ١/٨٠

(٣) تخدّي = تسرع ١/٧٩

(٤) المصدر السابق ١/٧٩

(٥) المصدر السابق ١/٨٠

ويلقب نفسه بشاعر بني هاشم (١) ويجعل العباسيين أوصياء على الخلافة • ويبدأ  
بسرده دلائحه فيهم واحدة تلو الأخرى ، واللمح يده في كل ذلك • • فهو لم يسجل  
موقفا سياسيا واضحا وواحدا ، ليتمكن من اتخاذ موقف عاطفي مماثل • ولم يقف بشعره  
على مدح حكم بذاته دون الآخر • • وإنما كان يميل حيث مالت عواطف السلطة • •  
ويطلق شعره ومدحه حيثما كانت القوة الحاكمة ، وحيثما أطلق فيه بطعام دسم ، ولثمت  
يداه وجيوبه بمال وفهر • •

وتراه مرة أخرى يسير حيث سارت رياح الطمع ، إلى حد أن يحمله طمعه إلى  
الهلاك حين يقف مرتين ضد عيسى بن موسى • • الأولى حين يقف إلى جانب المصور  
الذي أراد تحية عيسى بن موسى عن ولاية العهد وعقده لابنه المهدي وذلك  
مقابل ارجوزة ينشدها بحضرة عيسى ويأخذ عليها ألفي درهم لقاء موقته • • والثانية  
حين يقف إلى جانب المهدي حيث أراد أيضا تحية عيسى عن ولاية العهد للمصور  
الثانية (٢) بعد أبيه •

وتدور الأيام لصالح عيسى بن موسى ، ويجد في طلب أبي خزيمة ، ويرسل في طلبه  
بعض مواليه إلى أن يلقوا القبض عليه ، وتكون نهايته المفجعة على أيديهم فيقتلونه ،  
ويسلخون وجهه • (٣)

ومكذا نجد سيرة أبي خزيمة الراجز • • ولادة بائسة • • ونسب ملعون فيسبه  
، وحياة غالية من الحطاف والحطان ، يلحقها نفي وتشرد ، ثم سواد وعبودية • •  
كانت هذه بداية حياته • •

أليس من المعقول أن تكون هذه الأسباب كافية لترمي بمختلف أنواع الخمد في  
نفس الشاعر • • وأن تزيد من عمق جراحه ، فيجد في الهروب من هذا الواقع ، والارتقاء  
بين أحضان القصور — مهبط كانت الضريبة — أقرب طريق • • إن لم تكن أفضل طريق —  
للخلاص من ذلك الماضي الأليم • • وحين يخونه الزمن ، ويدور دورته على من تشبهت  
بسلطانهم لقبير أيام الفقر والذل ، تراه بسهولة يدور معه ، ليقف حيث وقف ، وبعد يسنده  
للحاكم الجديد محاولا تهريب موقته بما تسعفه شاعريته من العجج — إلا أن القدر

(١) الخزانة ١ / ٨٠

(٢) المصدر نفسه ١ / ٨٠

(٣) خزانة الادب ١ / ٨٠

يقف له بالمرصاد .. فالزمن الذى سايره لفترة ، تتركه بعد ذلك ، وأدار له ظهره ، لتكون بعد ذلك نهايته المأساوية .. (١) .

شعره :

كان الرجز هو الطريق الاساسية التي انتهجها أبو نخيلة في تلامسه للشعر ، وكان الشعر السياسي هو الأهم في هذا الضمار .. ويبدو أن سببها ما يكمن وراء اهتمام طبقتة الشعراء السود بالشعر السياسي ..

فالأسود من هؤلاء لم يكن لتنهياً له أسباب الشهرة الشعرية ، ان لم نقل أسباب الحياة العادية وهو لا يملك من مقوماتها شيئاً . فلا أصل ولا نسب ولا أرومة شعرية ، بل عودية وسواد ورق كانت تجتمع دفعة واحدة لتضيق الخناق عليه ولتذل نفسه ، ولتند يده لساداته طمعاً في استمرارية الحياة وهذا السبب هو نفسه الذى وقف وراء تذبذب موافقهم السياسية بين حكم وآخر ، وبين حاكم وآخر وهو نفسه الذى وقف وراء موت أكثرهم بطرق شتى تتفاوت في قساوتها وبشاعتها بين شاعر وآخر .

فلقد اتصل أبو نخيلة - كما رأينا - بالأمويين ، وودح هشام بن عبد الملك ومسلدة بن عبد الملك ، لكن هذا الاتصال لم يحمه من أن يدير للأمويين ظهره في الوقت المناسب ، ليلتفت الى الحكام العباسيين ممثلين بالسفاح ويحاول الدخول فيهم في الوقت نفسه الذى يتخلص فيه من ملاؤئهم من خلال البيتين المشهورين عنه حين يقول مخاطباً السفاح :

كفا أناسا ترهب الهاكبا      وتركب الاعجاز والا وراكبا  
وكل ما قد قرأ في سواكبا      زور وقد كفر هذا ذاكبا (٢)

واهتمام أبي نخيلة بلقمة العيش وودح الخلفاء والا مراء بسببها ، لم يحمه من الاهتمام بجوانب أخرى من الحياة .. فضمن شعره الوصف والشزل ، ومن غزله ما يذكره له صاحب الاظني من أرجوزة يقول فيها :

لم ينسني يا ابنة آل مهبد      ذكراك تكرر الليالي السود  
ولا ذوات الحصب الميورد      ولو ظلمن الود بالتسود  
ورحن في الدر والنز جسد      هيئات طهن وان لم تعهدى  
بجدية ذات معان مجيد      كأن ربأها بعيد المرقد

(١) الاظني : ٣٩٢/٢٠

(٢) زهر الآداب : ٩٥٢/٢



ربا الخزامى في ثرى جعد ندى      كيف التصابي فعل من لا يهتدى  
وقد علتني ذرأة بادي بسدى      رثيثة تنهض في تشدد  
بعد انتهاضي في الشباب الأملد (١)

ورغم مكانة أبي نخيلة في الرجز، • اشتهاره به و " سبقه الى صنع أراجيز  
كثيرة في الطرد والقنص يصف فيها الصيد والكلاب والوحش وحيوان الصحراء على  
طريقة القدماء • (٧) فقد أخذ عليه قوله في نعت امرأة :  
بريئة لم تأكل المرقتنا      ولم تذوق من البقول المستقنا  
حين ظن أن الفستق من البقول • (٢)

الا أن هذا لم يقلل من مكانة أبي نخيلة الشعرية، الامر الذي حدا  
بمحمد بن ابراهيم الحنظلي الى الاعتراف بشاعريته وقوله فيه " ما مدح أبي  
نخيلة الا خليفة أو زيرا، وكان من افصح الناس وأشمرهم، وكان مطبوعا مقتدرا كثير  
البدائع والسماي غزيرا جدا، وكان الخالب عليه الرجز ومع ذلك لا يقصر في  
القصيد " (٤) •

شخصيته :  
=====

لم تكن شخصية أبي نخيلة بالشخصية الجديدة أو الفريدة في عالم الشعراء  
السود •• ولم يكن أبو نخيلة في يوم من الأيام من الناس أو الشعراء الذين سلبت  
عليهم الأضواء بشكل مبهر يخدلي لوتهم ويبدله اشراقا في نواح اخرى • كانت  
شخصيته بسيطة وعادية، بدأت بداية معززة، وانتهت نهاية أشد حزنا •

فهو أسود، واللون كالف آذاك • لينير حياته ويقلبها رأسا على عقب •  
وهو دميم وطاق لوالده، وهما تان صفتان كافيتان لان تحبنا نفسه حقدا على العيافة،  
وغونا منها ومن غيرها ••

وهو متذبذب البدأ، فهو عينا مع الامويين، وعينا آخر مع العباسيين وهذا  
لتفسير واقعي لما سبق من حيثياته وتكون نهايته نهاية متوقعة اذا ما عرفنا طبيعة  
الحكم عدد كل من الدولتين آذاك ••

(١) الاظاني : ٢٠ - ٢٨٨

(٢) الفن ومذاهيب في الشعر العربي • د • شوقي ضيف / ١٢٦

(٣) البيان والتبيين = ٢٢٥ / ٣ - الشعر والشعراء : ٥٨٢ / ٢

(٤) طبقات الشعراء / ٦٣

يبقى أبو خيلة - رغم ذلك كله - يحمل في اعماقه نفسية العبد الاسود  
المسحوقه والمقهورة والمظلومة على أرضها ، رغم محاولاته لكسر الطوق بسلاح  
حدثه به حدسه ، لكن الواقع اثبت اخفاقه ..

## سديف بن ميمون

سيرة :  
=====

سديف بن ميمون ، من شعراء الحجاز المخضرمين للدولتين الأموية والعباسية الا أنه كان هاشمي الهوى والهدأ ، وهو مولى لبني خزاعة ( ١ ) فقد كان على ما تحكي كتب الأدب لا امرأة من خزاعة كان زوجها من اللهبين فلبس المولى ولا ثمهم ( ٢ ) . وقيل أيضا أن سبب انطائه هذا الولاء أنه تزوج مولاة لآل أبي لهب فادعى ولا ثمهم ودخل في جملة مواليهم على الأيام ، أو أن أباه ميمون كان قد تزوج مولاة اللهبين فولدت له سديفا ( ٣ ) . ومهبط يكمن من أمر هذا ، فالثمهم أن يذكر أنه مولى بني هاشم قولا وفعلًا . ومن أجلهم وقف ذلك الموقف العنيد منذ اللحظة الاولى ، وهذا أن فتح عليه وحتى آخر رمق .

سيرته :  
=====

دخل سديف معترك الحياة ، ودولة بني أمية لم تشرب شمسها عن أرض الدولة الضاربة بسدد . ويغنيه في ذلك أنه يقف إلى جانب الحق ، ويدافع عنه بلائيه ان لم يكن بيده . وما يحكى عن سديف في هذا المجال أنه كان يخرج إلى أحجار صفى في الدهر مكة يقال لها صهي السباب ، ثم يخرج إلى المكان نفسه مولى لبني أمية يقال له سباب ، وما يزال الاثنان يتسابقان ويتشاتمان ويذكران المثالب والمنايب حتى يجتمع حول كل شاعر فريق يتعصب له ويتحزب فلا يبرحون حتى تكون بيدهم الجراح ، ويخرج السلطان لتفريقهم ( ٤ ) .

وسديف في مناوئته لبني أمية لم يعتمد التشهير الكلامي فقط ، بل كسبان يقارعهم الحجة بالحجة ، ويبرر موقفه بما يطيعه عليه الحق الذي يجب أن يكون . . فكان يقول : " اللهم قد صار فيثنا دولة بعد قسمة ، ومارتنا ظبة بعد المشورة وعهدنا ميراثنا بعد الاختيار للامة . واشترت البلاهي والمنازف بسهم اليتيم والارملة ، وحكم في ابشار المؤمنين أهل الذمة ، وتولى القيام بأمرهم فاسق كسبل مطلة ، اللهم قد استحصد زرع الباطل وطلع نهيته ، واستجمع طريده ، اللهم فاتح له من الحق يدا حاصدة تبدد شطه ، وتفرق أمره ، ليظهر الحق في الحسن صورته وان نوره ( ٥ ) "

(١) الاظني ٨٦/١٦

(٢) الشعر والشعراء ٧٦١/٢ - نوادر المخطوطات من ٩٠ (المفطلون - الاظني - طبقات الشعراء ص ٢٧)

(٣) الاظني ٨٦/١٦

(٤) المصدر نفسه ٨٦/١٦

(٥) الشعر والشعراء ٧٦١/٢

وتهدأ بوقته ، وتبرد ثورته حين يستلم العباسيون الحكم، فتراه مصاحبا لابي العباس السفاح ، مداحا له . . يدخل عليه في أحد الأيام، ويحضر بني أمية يلتفتون حوله . فيبشد قصيدته ، التي كانت سببا في نكبة ما تبقى من العائلة الطالكية الأصوية :

أصبح الملك ثابتاً الأسامي	باليهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما	والرؤوس القطام الرؤاس
يا أمير المطهرين من السدم	ويا رأس منتهى كل رأس
أنت مهدى هاشم ومداهسا	كم أناس رجوك بعد أياس
لا تقبلن عهد شمس عشاراً	واقطعن كل رقلة وغزاس
خوفهم أظهر التودد منهم	وبهم بكم كحصر المواسي
أقصم أيها الخليفة واحسم	عك بالسيف شأفة الأرجاس
واذكرن صرع الحسين وزبيد	وقتل بجانب المهراس
والاطم الذي يحران أسبسي	رمن قبر في رهبة وتباس
فلقد ساءني وساء سواي	قربهم من لمارق وكراسي

وتثور حمية السفاح ، فيأمر بقتلهم (١) الا ما كان من أولاد عمر بن عبد العزيز الذين استجاروا بما كان لأبيهم من أياد بيضاء على آل البيت .

الا أن حقد سديف لا يتوقف عند الامويين فقط . . بل ترأه يمتد حتى ليشمل كل من عمل على استبعاد آل البيت عن الحكم، وكل من وقف ضدهم . . وللهذا يخرج عن دائرة الحكم العباسي ، بعد أن يتولى السفاح ، ويأتي بعده المنصور وتتكشف الحقائق التي تشير الى استبعاد العلويين عن كرسي الحكم، وسديف في كل هذا ينتظر اللحظة المناسبة ليضرب ضربه ، كما ضربها من قبل على الامويين ، وحصل بسببها ما حصل . وتأتي اللحظة المناسبة عندما يثور محمد ذو النفس الذكية ضد العباسيين . . فيقف سديف الى جانب ثورته بكل ما أوتي من قوة، منلها عداوته لبني العباس ، وسجندا شعره لدعم الثورة الجديدة ودعم قائدها :

انا لنأمل أن ترتد أفتنا	بعد التواعد والشحناء والاحسن
وتنقضني ولة أحكام قادتها	فيما كأحكام قوم عابدي وشحن
فانهض بيديكم تنهض بيدينا	ان الخلافة فيكم يا بني الحسن (٢)

(١) نوادر المخطوطات ١٠

(٢) الحصر العباسي الاول د . شوقي حنيف / ٣٠٦

وتكون وقفة سديف هذه سببا في كسارته •• فبعد أن أحبطت الثورة من قبل المصور،  
فر سديف هاربا منه ، وتوارى حتى سكنت تلك الثورة ثم يكتب للمصور يسأله أن يمن  
عليه بالعفو فيقول :

أيها المصور يا خيرَ السرب      خير من ينسب عهد المطلب  
أنا مولاكم وأرجو عفوكم      ناعف عني اليوم من قبل الحلب  
فوقع المصور على كتابه بيده قائلا :  
لم يلدني محمد بن علي      ان تسميت عهدا بولسي

ثم كتب الى عبد الصمد بن علي - عنه - يأمره بقتل سديف، ويقال أنه قطع  
يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه (١) • وقيل أيضا بأنه حمل الى المصور ودفن حيا (٢) •

وتختتم صفحة سديف الحزينة، بعد أن يدفع ثمن محبته آل البيت باهظا  
وثن عقيدته التي تؤكد أحقية آل البيت في الحكم غالبا •

شعره :

أشجار سديف - على قلة ما نقل منها اليها - تدخل أغلبها ضمن هذا الاطار  
اطار المدح لكل من آمن بعقيدته ، والذم لكل من سولت له نفسه الوقوف ضدها  
وبعد ذلك نرى أهميات نقلتها كتب الادب في الفزل •• والوصف، وما استحسنتها  
النقاد قوله :

أعيب التي أموى وأطرى جواربا      يرين لها فضلا عليهم بيننا  
برغبي أطيل الصد عنها اذا بدت      أحاذر آذانا عليها وأعيننا (٣)

وقوله في وصف نسوة •••

واذا نطقن تخالهن غطامة      درا بفصل لؤلؤا مكنونا  
واذا تبسمن فانهن غطامة      أو اقحوان الرمل بان مسينا  
واذا طرفن طرفن عن حدق المها      وفضلهن محاجرا وعيوننا  
وكان أجباد الظباء تدهنا      وخبورهن لظافة ولذونا  
واصح ما رأت العينون محاجرا      ولهن أمراض ما رأيت عيوننا  
وكانهن اذا نهضن لحاجمة      يدهنن بالمقدات من يريننا (٤)

(١) طبقات الشعراء ٣٧

(٢) المصدر نفسه ٢٧/٢ - الشعر والشعراء ٧٦٤/٢ - المصدر العباسي الاول ٣٠٦

(٣) طبقات الشعراء ٣٧

(٤) زهر الآداب ١٥/١

ورغم قلة ط وصلنا من انتاج سديف الشعرى - لاسباب متعددة - الا أن هذا لا يؤثر في الجودة التي وصفت بها أشعاره جملة وتفصيلا . . فهو حين يمدح وحين يهجو ، حين يصف وحين يتنزل ، يبقى الشاعر ذا الشاعرية المغلقة والذي قال عنه ابن المعتز في طبقاته : " كان سديف شاعرا مفلقا وأديبا بارعا وخطيبا مفعلا وكان مطبوع الشعر حسنه . " (١) وهو " الذي عرف بالبيان وحسن النازفة " (٢) وربما كانت هذه الشاعرية الاصلية عنده هي وراء وصف أحد الشعراء من كاسوا يكتبون الرواية لشعره " ط كان في زمان سديف أشعر منه ، ولا أطبع ، ولا أقدر على ط يريده من الشعر . " (٣)

شخصيته :  
=====

إذا صح أن العبودية " نفسها تتخذ لها سمات مختلفة من أشعار الشعراء العبید (٤) ، فإن السمة التي تركتها واضحة في شعر سديف هي شدة الافعال حتى أن الكلمات لتبدو في كثير من الاحيان كتلا نارمة خارجا لتوما من فوهة مدفع ، أو حط خارجة من فوهة بركان . ولا أدل على ذلك من تلك الابيات التي طاجه بها سديف السفاح ، وقد قعد بجانبه بعض من رجال بني أمية سن بقوا ، ودولهم على الكراسي بعض من بني هاشم :

لا يتركك ط ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويبا  
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهري أمويبا

هذه الكلمات التي تحولت حماء تدايرت على رؤوس ولد سليمان بن عبد الملك وكان قدرهم المحتوم . . (٥)

وشدة الافعال عند سديف ناتجة عن شدة تعصبه لآل البيت حتى أنه كان مثال العهد في صورة العولى المخلص الصدوق . " (٦) وقد قادتنا هذه الصفة الاساسية عنده الى رسم " صورة لموقف الشاعر الاسود من الحياة " (٧)

(١) طبقات الشعراء : ٣٧

(٢) الاغاسي : ١٦ / ٨٦

(٣) هو الشاعر القمري - طبقات الشعراء / ٣٧

(٤) بين الكتب والناس محمود عباس العقاد / ١١٠

(٥) المصدر نفسه / ١١٤ - ١١٥

(٦) المصدر نفسه / ١١٤ - ١١٥

(٧) الشعراء السود / ١٣٦ .

لقد وقف سيدىف بعنف وقوة في وجه من اعتبرهم أعداء الدين، ونفت فيهم  
— من خلال اشعاره التي تناولت ذلك — كل حقد طبقي وعنصرى • فكان خصمًا  
شرسًا، ومقارعا جريئًا، دفع ثمن شراسته وجراته حياته، فكان واحدا من كثير  
من طبقاته ممن دفعوا ثمنًا مماثلا • • ولكنه لن يكون الا اول أو الأخير •

## زند بن الجون "أبودلامة"

سيرة :  
=====

يلقب زند بن الجون بأبي دلامة (باسم جهل في مكة يقال له أبودلامة كانت قريش تخذ فيه البهات في الجاهلية) • كوفي أسود ، مولى لبني أسد • كان أبوه عمدا لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه (١) وقيل بأنه كان أسود حبشيا • (٢) أما زنده فهو أواخر الدولة الاموية الا أنه ما من جديد أطلق شهرته وباهته آنذاك فعاشرهم مغمورا (٣) الى أن استلم بنو العباس دفة الحكم ، فانقطع أبو دلامة الى السفاح ، ومن بعده المنصور ثم المهدي (٤)

سيرة :  
=====

ما أن استلم العباسيون الحكم، حتى بدأ أبودلامة في محاولة الذهب الى القصر ، سالكا سبلا شتى ، الى أن اخطار طهما ما هو أكثر طلاءة لشخصيته الفقهية العابثة ، وأكثر التصاقا وتقربا من العائلة المالكة العباسية — لا سيما طبقة الحریم منها — مجندا في سبيل ذلك ما أوتي من دهاء وذكاء ، وسعاونا مع أفراد أسرته كلها ، وكأبه قد ورثهم هذه الطبيعة المرحمة ، التي حققت لهم بعض احلامهم المتواضعة ، لا سيما بالنسبة لتحقيق حياة أفضل ، ورفاهية معقولة كانت محرمة على طبقتهم •

وحكايات ونواد عاتلة أبي دلامة كثيرة ، أكثرها ضحكا وعشا ما نقلته الروايات عن قصتهم مع المهدي وزوجه الخيزران • ومحاولتهم خداعها ، بخبر مفاده أن أبودلامة دخل على المهدي باكيلا يخبره بوفاة زوجه أم دلامة ، في الوقت نفسه التي كانت تدخل فيه زوجه على الخيزران لتخبرها — شاكية باكية — بأن أبودلامة قد مات ، فتصدر العطف أولا والضحك والعبت ثانيا • ثم الخاية من ذلك كله بيت القصيد وهو الطل الوفير ، وفي ذلك يقول أبودلامة ، وهو يروي خبر وفاة زوجه الخانع •

- (١) الاغانى : ٢٤٧/١٠ — معجم الادباء / ١٦٥ — ١٦٨ — نهاية الارب للنويرى ٢/٤٦٦  
(٢) وفيها الاعيان : ٢٢٩/٢  
(٣) معجم الادباء : ١٦٥ — ١٦٨ — الاغانى ٢٤٧/١٠ — الشعر والشعراء ٢/١٥١  
(٤) الاغانى ٢٤٧/١٠ — الشعر والشعراء : ٢/١٥١ — نهاية الارب ٢/٤٦٦ — ٤٧





وهو الى جانب ذلك يهرب من واجباته الدينية، فاذا ما طلب منه أبو جعفر أن يصلي معه في مسجده نرى الشاعر يقول له :

ألم تعلم أن الخليفة لزمي	بمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى جميعا وعصرها	فويلي من الاولى وويلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدى	فطالي في الاولى ولا النصر من اجر
لقد كان في قومي مساجد جنة	سواه ولكن كان قدرا من القدر
يكلفني من بعد ما شئت غبطة	يحط بها علي الثقيل من انوزر
وما ضره — والله يخفر ذنبه —	لو أن ذنوب العالمين على ظهري (١)

وهو في كل ذلك <sup>صاحب</sup> مكنته وعثت • ونوادره مع العائلة النباسية أكثر من أن تعد وهو يحملهم فيها حننا على الضحك، حتى ولو كان الموقف موقف حزن • • نحين توفيت ابنة عم المنصور قال له : يا أبا دلانة، ماذا أعددت لهذه الحفرة ؟ • • قال أبو دلانة على الفور : ابنة عم أمير المؤمنين " • ورغم صحوة الموقف نرى المنصور مجبرا على الضحك (٢) •

ومصادر هذا البحث ليست متوفرة على شخصية أبي دلانة فقط • • وإنما تعتبر عائلته معه في هذا الميدان • • مدينا لا ينضب لا اختلاق النوادر العابثة ، والمواقف المضحكة، يسرد ما كلفها في قالب شعري هجائي، يعتمد من وراءه الاضحاك فكلم وجدناه يشكو في كل مناسبة زوجه قائلا :

عجبت من صبيتي يوما وأمهم	أم الدلالة لطها جها الجزع
لا يبارك الله فيها من مبهمة	هبت تلوم عيالي بعدما هجيتوا (٣)
ويزده أيضا شاكيا وما جيا لامه حين يقول :	

هاتيك والدتي عجوز همة	مثل الهلية درعها في المشجب
مهزولة اللحيين من يرها يقل	أهبرت غولا أو خيال القطرب (٤)

وإذا لم يجد مادة للضحك، ضحك من نفسه ، وأضحك الناس معه :

ألا أبلغ اليك أبا دلانة	فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس الحطمة كان قردا	وختزيرا إذا نزع الحطمة
جمعت دامة وجمعت أوصا	كذاك اللوم تنبحه الدامة

(١) لشعراء السود : ١٢٨

(٢) الاظني : ٢٧٢ / ١٠

(٣) نهاية الارب ٣٦ / ٤ — ٤٧ — حياة الشعر في الكوفة يوسف خليف / ٤٧٧

(٤) الاظني • والهمة : السجوز الخالية، واللحن ، عظم الحنك ، والقطرب : ذكر الخيلان

فان لك قد أصبت بحميم دنيا فلا تفرح فقد دبت القيامسة

ومكذا •• رحل أهود لامة عن الدنيا ، بعد أن قضى حياته بين ظهوراتها بشكل مختلف عن غيره من الاسر السوداء ، التي جمعهم في الغالب ظروف واحدة ، تخلص كل واحد فيها على طريقته الخاصة ، واني لالصح في طريقة أبي دلامة وتعامله المجتمع تمردا عليه ، وعلى قيمه ، وعاداته وتقاليده ، تمردا أمله عليه طبيعة ظروف الحياة التي كانت تخلف المجتمع الاسود الصغير •• ولكنه — على كل حال — تمرد سلمي من طبيعة خاصة ، استطاع أن يسخره في تحقيق أغراضه ثم يدير ظهوره للمجتمع وللحياة نفسها حتى تغدو وعده عبارة عن ضحكة ، وبادرة طابخة بكل شيء مفرقة من كل القيم المتوارثة ••

شعره :  
=====

أهود لامة الشاعر ، أقر شاعريته أهل الخبرة في الأدب والصحرفقالوا عنه " شاعر مطبوع ، مفلق ، ظريف ، كثير اللوادر في الشعر ، صاحب بديهة ، يداخل الشعراء ويزاحمهم في جميع فنونهم ، ويفرد في وصف الشراب والرياض وغير ذلك بما لا يجرون معه " (١) كما قالوا عنه : " كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم • " (٢) وربما فسرت هذه الاقوال شعر زيد بن الجون باجتهاله ، لينضوى هذا الشعر في النهاية تحت باب الشعر الاجتاعي بكل ما فيه من تلويح وتلويح • فيهتم تحت هذا الباب — بنفسه ولذاتها من خمرة ونساء ، وليهتم أيضا بتأمين سهل العيش والتصر أنفذ هو السبيل ••

فمن الباب الاول ما قاله أهود لامة — وهو سكران — حين سئل عن الخمرة :

ديني على دين بني الحباس      ما ختم الطين على القرطاس  
اني اصطحبت أربعا بالكاس      فقد أدار شربها براسسي

فهمل بما قلت لكم ما يساس

وليس موقفه مع المرأة بأقل اهتماما بالخمرة •• فهو دائم البحث عنها •• وهو دائم الطلب لها ، واذا ما وعدته ربيطة بجارية ، وأطلال هو الانتظار ، ارسل ممن يذكرها بوجهها المرة تلو المرة حتى تستجيب • واذا ما طرق أبواب المدح كانت المرأة ذي الهدم ، هي الفتاح السحري الذي يستلج أن يلعب بالنواطف فيهيئها ويشخذ القريحة فيذكها •• فيقول ، عن قصيدة حبرها للحباس :

(١) طبقات الشعراء / ٥٤

(٢) وفيات الاعيان : ٢٢٦/٢

قف بالديار وأي الدهر لم تقف  
 زوزر وطوقوك في اطلال منزلة  
 ان كنت أصبحت مشغوقا بساكنها  
 ثم يعتقل الى وصف الجارية فيقول :  
 هذى رسالة شيخ من بني أسد  
 تخطها من جوارى المصر كاتبة  
 وطالما اختلفت صيفا وشتاء  
 حتى اذا نهى الثديان واملام  
 صلبت ثلاث سنين ما ترى أحدا  
 فهبط الشيخ يهوى نحو مجلسه  
 حانت له لمحة منها فأبصرها  
 فخرَّ والله ما يدري غدا تنذ  
 وجامه الناس أفواجا بما لهم  
 ووسوسوا بقرآن في سامعه  
 مهتا ولكنهم من حب جارية

على العمازل بين الظهر والدجف  
 لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف  
 فلا وربك لا تشفيك من شغف  
 يهدى السلام الى العباس في الصحف  
 قد طالما ضربت في اللام والألف  
 الى معلمها بالنوح والكتف  
 معها وخيفت على الاسراف والغرف  
 كما يصون نجاد درة الصنف  
 مبادرا لصلاة الصبح بالسندف  
 مظلة بين سخبها من الغرف  
 آخر مكشفا أم غير مكششف  
 ليفسلوا الرجل المفشي بالطف  
 مفاة الجن والانسان لم يخف  
 أمس وأصبح موقوقا على التطف

ثم يطبع قصة هذه الجارية حتى ابتاعها له أحدهم :

فقام شيخ بهي من رجالهم  
 فابتاعها لي بألفي درهم فأتى  
 فبت ألتما طورا وألزمها

قد طالما خدع الأقسام بالحلف  
 بها التي فالقها على كفتي  
 طورا وأصح بعض الشيء في اللحف (١)

ومن الباب الثاني ، ما قاله أبو دلامة في مدح البيت العباسي ، وأشهرها تلك التي  
 اشدها بين يدي المعصور :

ان الخليط أجدوا الهين فالتجموا

وزودوك خبالا بئس ما صنعوا (٢)

حيث يخلط فيها بين الجد والهزل الى أن يصل الى مهتاه ، ولو كلفه ذلك هجاء  
 زوجته وأفراد طائفة كما جاء في القصيدة السابقة :

عجبت من صهيتي وأمههم

أم الدلامة لما ماجها الجرع

لا بارك الله فيها من مبهمة

صبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا

(١) الاطالي : ٢٤٨/١٠

(٢) نهاية الارب : ٢٨/٤

شخصيته :  
=====

زيد بن الجون ، هذا الشاعر الأسود ، الضاحك المضحك ، الذي اختار هذا الوجه من الحياة ليتخلص من واقعه المر الذي فرضته الظروف الاجتماعية ، ثم ليصسل - عن هذا السبيل - الى قصور الخلقاء فيحطيمهم النوادر والبساته ليأخذ مقابلهما الدعم الطادي والمعنوي الذي سيخطى به - على ما رأينا - فساد دينه ، ورداءة مذهبهم وارتكابه للمحارم ، وإضاعة الفروض مما مرا بذلك • وكان " يعلم هذا منه ويعرف ، فيتجافى عنه للطف محله • " (١)

ومع هذا الشاعر الأسود ، لتلقي بشخصية نظريفة وفريدة ، فرضت نفسها على القصر ، رغم الشروط التي كانت تُعرض على من يود خطب ريد القصور ، واستطاعت الوصول الى بختها بعد أن دفعت ما توجب عليها من ضريبة الدخول • وسالحتها في ذلك كله ذكاء وحيلة تصرف من أين توكل الكف •

## ابن أبي فنن

سيرة :  
=====

اسمه أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المصور، وقيل (١) : أحمد بن  
أبي فنن، مولى بني هاشم، وأسمه صالح، ويكنى أبا عبد الله،

سيرة :  
=====

وإبن أبي فنن شاعر أسود، يحتر من فئة الشعراء المقلين، هذا ما يظهر  
لنا من خلال ما نقلته كتب الأدب سواء من شعره، أو من أخباره، ولستأ ندرى  
السبب في قلة شعره،، أهو جفاف القريحة الشعرية، أم هو التجاوز الناصل مع  
أكثر الشعراء السود وما يتعلق بحياتهم وأشعارهم.

ومعط يكن من أمر،، فقد استطاع هذا الشاعر الأسود أن يدخل عبئة الامراء  
وأن ينشد بين أيديهم مديحه، وينال به أعلياتهم،، من هذا القبيل ما فعله مع  
ابن المعتز حين امتدحه فقال ابن المعتز : هذا الشاعر الآدم، قال بعض من حضر،  
ويقال أنه ابن أبي فنن نفسه، لا يضره سواده مع بيض أياديك عنده، قال ابن المعتز  
أجل،، ثم وصله (٢)

ومدح أيضا محمد بن عبد الله بن داهر،، وله في مدحه قصة، مناديا  
أنه كانت هناك ضيعة لابن فنن في قليعة ابن داهر،، وكان عامل الجزية يرهقه  
بكثرة ما يطلبه من ضرائب، فما كان من ابن أبي فنن الا أن كتب الى ابن داهر  
قصيدة يقول فيها :

رب الخورق والسديير	فكأنني في نعمتي
كالكلب في اليوم الطير	لولا تردد ما شير
أخرجت صفر من سيري	فاذا بدا لي وجهه
من قبح طلعتة مجيري	فهو الأير بفضلته

ولطأ قرأ الأير الأبيات وقع تحتها : قد أجرتك يا أبا عبد الله، وأمرنا لك باحتمال  
خراجك، وحملت اليه صلته، وحلف ليقضين الخراج عنه، ويقول أبو فنن في ذلك : فلما

(١) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ٢٠٢/٤ - طبقات الشعراء

(٢) زهر الآداب ١٠١٣/٢ - ١٠١٤

أناسي التوقيع مع الصلوة، وقد حلف عليها بالشموس لا قبلتها، لم أجد بدا من ذلك، فأنا  
أشكر له بالهجر ما صنع، واحتجت إلى أن أمدحه كل عام بقصيدة، فصرت بذلك شاعرا (١)  
وكأننا نفهم من كلامه بأنه دفع إلى مديح ابن طاهر كنوع من الاعتراف بالجميل، فيقابل  
إعطياته بمديح حولي • ومن هنا نفهم أن له مزاجا خاصا في هذا اللون من الشعر  
والى حد يحترم الدكتور عمده بدوى بأنه هو يمدح يحسن أنه لا يعتقد ذاته " (٢) •

فهو عندما يمدح أبا دلف السجلي يقول :

مالي وما لك قد كلفتني شططا	حمل السلاح وقول الدارين قف
أمن رجال الطايا خلقتي رجلا	أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلطف
أرى الطايا على غيري فأكرهها	تكيف، أمسي اليها بارز الكتف
أخلت أن سواد الليل غيرني	أو أن قلبي في جنبي أبي دلف، (٣)

شعره :  
=====

الى جانب المدح الذي كان يلقه على من يرى فيه صفات تؤمله له •• فقد  
اهتم ابن أبي نين بجوانب الحياة الأخرى •• فعراه يحب ويمشق •• وإذا ما أحبب  
فانه يستحلف الحبيب ويتقرب منه بالوصل بدل الهجران فيقول :

صحيح الود لو يمسي عليا	لنكتب أو ترى منكم رسولا
أراك تسومه الهجران حتى	إذا ما أعتل كنت له وصولا
فرد ضنى الحياة بوصل يوم	يكون على رضاك له دليلا
هما موتان موت ضنى وهجر	وموت الهجر شرهما سيلا (٤)

وهو إذا ما أثرت عاطفته، حساس الفؤاد، رقيق الشعور لدرجة البكاء •• إلا أنه يصعب  
عليه أن يظهر ضعيفا مستسلا، فيتسلح بمظهر اللامبالي ويقول :

ولما أبت عيناى أن تلك البكا	وأن تحبس لسح الدموع السواكب
تأمت كي لا ينكر الدمع منكر	ولكن قليلا ما بقاء الثاوب
أعرضتني للهوى ونمتما	علي لبئس الصاحبان لصاحب (٥)

(١) طبقات الشعراء : ٣٩٧

(٢) الشعراء السود : ٣٩٧/

(٣) ذيل زهر الآداب : ١٠١٣/٢

(٤) تاريخ بغداد : ٢٠٢/٤

(٥) زهر الآداب : ١٠١٢ - ١٠١٣

ومن جميل شعره في الخزل قوله :

حبيه فوق نهاية الحبيب

صب بحب ميثم صب

فاقتض باظره من القلب (١)

أدميت باللحظات وجنته

والسان مثل أبي فن، يحفل نفسية خاصة، يتفرد بها عن غيره من الشعراء... ويحمل الى جانب ذلك شعورا رقيقا، وحساسية كان لا بد أن تثيره تجارب الحياة، فيخرج منها بحكمة تدل على عمق تبصره فيها وفهمه لها :

لست من الدهر ثوبا جديدا (٢)

أرى الدهر يخلقني كلما

وقوله :

بعد ما ساءت أوائله (٣)

ربّ أمر سرّ آخره

فإننا منذ بدءه العمر، وغزا الشيب مفرقه... ودّع حياة اللهو والحبث، ووطن نفسه

المكان المناسب، وأقر حكمة الحياة :

وخانه الثقتان السمع والبصر

من عاشر أخلقت الأيام جدته

ان الشباب جنون بروه الكبر (٤)

قالت عهدك مجبونا فقلت لها

شخصيته :  
=====

الماذج المتقولة من شعر ابن أبي فن — طلى قلتها — تحمل من ذاته الشيء الكثير، وط هي الا مرآة هكست على صفحتها أعماق صاحبها • فكان باعتراف أهل الأدب " شاعرا مجودا بقي اللفظ " (٥) • الا أننا لم نشهده من الشعراء أصحاب المواقف، بل عاشر حياته حرا من كل التزام، غير مضطر للتمسك بمبادئ جماعة معينة، أو الانحياز لجماعة بعينها، رغم كثرة تحيزات العصر آنذاك • • وغير ملزم ببرنامج مصيره بصير آخرين من الناس • • لذلك لم نجد عنده مغلفات عقدة اللون مظلما وجدناها جلية واضحة عند عنزة وسحيم و " أو خفية ومغلقة كما لمسناها عند سديف أو أبي دلامة • • • ربما ليطن منه بعدم جدية الحرب الثغالية أو الشخيرة مع مجتمع بأبي أن يذعن للكفاءة الانسانية بخش النظر عن النقومات الاخرى • فضل السكوت والصمت • • ونفضل العيش ببساطة متناهية دون أن يدع مجالا لتلك المغلفات من أن تطنخ أو تظهر • •

(١) تاريخ بغداد : ٢٠٢ / ٤

(٢) نهاية الارب : ٩٢ / ٣ — ٩٤

(٣) المصدر نفسه : ٩٢ / ٣ — ٩٤

(٥) عيون الاخبار : ٢٢٠ / ٢

(٦) تاريخ بغداد : ٢٠٢ / ٤



## الفصل الرابع

العباسيون

نصيب الأصغر

نصيبه :

نصيب الأصغر ، هو الاسم الذي نقلته كتب الادب التي تحدثت عن هذا الشاعر ، دون أية اشارة الى باقي نسبه .

من هو أبوه ؟ من هي أمه ؟ كيف عاش حياته الاولى قبل الوصول الى القصر الطكي ؟ ثم كيف وصل الى المهدي ؟ كل هذه أمور لم تشر اليها تلك الكتب . .

سيرته :

وكل ما نقل اليها من هذا القبيل أنه عهد نشأ في اليامة (١) وأبوه مولى المهدي اذ عرض عليه أيام المصور — وهو بعد ولي للعهد — فاستشده فأشده من شعره . . ولما أعجبه قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بسبي مروان ثم اشتراه ، (٢) واعتقه ، وزوجه أمة يقال لها جعفره ثم أقتلعه ضيعة نسبي السواد (٣) . . أما كنية هذا الشاعر فهي " أبو الحجاج " وسواء كانت الحجاج ابنته كما يذكر الجاحظ (٤) ، أم كانت مجرد كنيته أطلقها عليه المهدي ، كما ورد في الاغانى فان نصيبا كان له من اعطيات وعلف المهدي ما لم يكن لغيره . . ورغم ذلك ، نراه يخون ثقة المهدي في أول فرصة ودافعه لذلك بطر العيش فقد أرسله المهدي — بعد أن ولي الخلافة — الى اليمن مع رجل من الشيعة ليشتري له ابلا مهربية ، وكتب الى عامل اليمن أن يجعل له عشرين ألف دينار للمهدة المرسل لتنفيذها ، وما أن يجد بين يديه هذا المبلغ حتى يسيل لعابه ويبغي تدويرها فاته من لذة العيش فينتقم معه للذات — وشرايه وجواريه دون حساب . . فما كان من المرافق الشيعي الا أن كتب للمهدي يخبره بالامر ، وكيفية تصرفه ، نصيب بالمال ، فيأمر المهدي بأن يحصل نصيب اليه موثقا بالحد يد بعد أن حبس مدة في اليمن . . ولما دخل على المهدي ، أشده قصيدة طويلة يستعطفه فيها ، ويطلب عونه قائلا :

(١) الاغانى ٦٢٢/٤٠٠ — معجم الادباء ١١٩/٢٣٤

(٢) الصدران السابقان ٢٢٢/٤٠٠ — ١١٩/٢٣٤

(٣) الاغانى ٦٢٢/٤٠٠

(٤) البيان والتبيين ١/١٥١

فأرقَّ مني الخليون حجج

بسلمى لظلت صمها تتصدع (١)

تأوهي ثقل من القيد موجه

هموم تواتت لو ألم يسيرها

ويقطع المهدي عليه الأثاد قائلا : ومن أعتك يا ابن السوداء ؟ فيشير نصيب  
بهذه إلى الهادي وهو يقول : الأمير موسى يا أمير المؤمنين فقام مخاطبا ابنه  
بأن يفك أسره ، ثم يخلع عليه عدة من الخز والوشي ، ويصله بألفي دينار ، ثم  
بجارية حسنة يقال لها جعفر (٢) ، فينشد نصيب بين يدي المهدي قصيدته التي  
أولها :

فهاج بهموم شوقي ولبالي

آذن الحي فاصعوا بترحال

ثم يقول :

عنى لأصحت ذا أمل وذا مال

ط كان أمثالها يهدى لا مثالي

يا ابن الخلائف لي من خير اعالي

ومكذا ، وجد نصيب بين يدي المهدي كل ط كان يحلم به •• بل أكثر ط كان يحلم به  
عد أسود مثله من حظ في الحياة •

ط زلت تهذل لي الأموال مجتهدا

زوجتي يا ابن خير الناس جارمة

حتى توهمت أن الله عجلها

ويظهر أن الحداء وكب نصيبا ، فكما أنه وجد بين يدي المهدي الحكاة المميزة

والطال الوفير ، نرى الحال هذه تتكرر مع هارون الرشيد الذي ولاه كور الشام ، وقد صه  
على أكثر شعرائه ، (٣) فأفاد من ذلك مالا وفيرا ، وأمداه بمقابل ذلك مديحا يتناقل  
جيلا بعد جيل :

مهامه موفاة من الارض مجهل

شاكلها ط تحل وترحل

صفحة مستوف بلاغه صيقل

قصدا أمير المؤمنين ودونه

على أرحبها طوى السير فاندلوت

إلى ملك صلت الجبين كأنه

إلى قوله :

وذا من رسول الله عضو ومفصل (٤)

ورثت رسول الله عضوا ومفصلا

وتكون علاقته مع الرشيد على أفضل وجه ، وتبقى مستمرة إلى أن تؤدي علاقته بالقصور  
إلى البراهمة من بعد الرشيد ، ويبدأ بذلك مرحلة جديدة من المديح الذي دفع ابن  
المعتر إلى اعتباره " فأكهة أمل : الأدب " (٥)

(١) معجم الأديباء ١٦٠ / ٢٢٥ - فوات الوفيات ٢ / ٦٠٢

(٢) فوات الوفيات : ٦٠٢ / ٢

(٣) طبقات الشعراء : ١٥٥

(٤) الأغانى : ٤٠٢ / ٢٢

(٥) طبقات الشعراء : ١٥٦

شعره :

عبر الطريق التودية الى القصر ، عبر الحيز الأكبر من شعر نصيب الأصغر  
الى أن انتهى الى البرامكة ، فاستقر عندهم ، وكانت له معهم مودة وصلة عميقة  
حتى انه انقطع اليهم شعرا واطافة وصوى •

بدأت اولى أماديجه في المهدي ، الذي احتضنه وفتح له الباب على مصراعيه  
ودن هنا صاحبه الحظ ، وتدرج معه الى أن وصل الى الرشيد الذي كان يعرا فيسي  
الحظاء والطل وفي المصباحين ولاه " كوار الشام " وكان المهدي في المقابل يهديه  
القصائد البادحة

ورثت رسول الله عضوا ومفضلا      وذا من رسول الله عضو ومفضل

وقد مدح بعد الرشيد اسحاق بن الصباح الكندي ، وسليمان بن علي (١) الى أن استقر  
عند البرامكة • وأبياته التالية خير نصير عن موقفه منهم :

عد الطوك مضرة ومفاسح      وأرى البرامك لا تنسرو وتفسح

ان العروق اذا استسرى بها الثرى      أشر البهات بها ولباب المزرع

واذا جهلت من امرى اعراقه      وقد يبه فانار الى ما يصح (٢)

ومدائح نصيب في آل برمك كثيرة ، والى جانب كثرتها ، وعمق عاطفتها ، تبدأ بمدائح غزلية  
جسيمة ، ثم حوار مسج مية أو غيرها من الجوارى ، والى أن يتخلص الى لب الموضوع وهو المدح  
يعدح الفضل بن الربيع بن خالد فيقول له مبتدئا بالخرزل :

طرتك مية والمزار شطيب      وتشبك الهجران وهي قريب

لله مية خلصه لو أنسبها      تجزي الوداد بودنا وتشيب

ويصلط هو ما أخذ بحب مية يتذكر سواده فيقول :

طرب الفواد ولا تحين تبارب      ان الموكل بالصبا لدروب

وتقول مية ما لمثلك والصبا      واللون أسود حالك غريب

وهكذا حتى يصل الى بيت القصيد وهو مدح البرامكة فيقول :

والبرمكي اذا تقارب سببه      أو باعدته السن فهو نجيب

هرق الحظاء اذا استهل عطاؤه      لا متبحرنا ولا محسوب

يا آل برمك ما رأينا مثلكم      ما منكم الا أغر وهو سوب (٣)

والى جانب المدح •• كان يجيد ابو الحجاج الخزل ، والهجاء ، والوصف ، ولا يقصر في شيء (٤)

(١) طبقات الشعراء : ١٥٦

(٢) المصدر نفسه : ١٥٥ - ١٥٦

(٣) الاظلي ١٦٦/٢٢ - معجم الادباء ١٩٧٧/١٩

(٤) طبقات الشعراء ١٥٥

ومن غزله الجيد ينقل لنا ابن المعتز هذه الأبيات :

لقد سامني طرفي وقد ضرت نفسه  
وأظهر ما أكتلت بين الجوائح  
فلم استطع سيرا لما بي من الهوى  
ولم يخف ما أضرت والقلب فاضحي  
فيا بؤس من تنأى عن الالف داره  
وبا بؤس من في القلب كالمتنازع  
وإزداد شوقا حين أدنو منوحشا  
لغاد يوشك البين منك ورائح

وينزل اصحاب الخهزة من أهل الأدب شاعرية نصيب منزلة كبيرة اذ يقارنوه بشعره من الشعراء، ثم يجعلون موازنة بينه وبين سحيم وبين نصيب الأكبر هذا ما نستشفه من حوار الهلالي مع الاصمعي اذ يقول : " ما تقول في شعر الاسود ؟ فقال : هو في عصرنا هذا أشعر من عبد بني الحسحاس في عصره • قال الهلالي : فأين شعره من شعر نصيب ؟ قال : هما في قرن واحد ، لان نعلتهما واحد ، ولكن ذاك متقدم الزمان ، وهذا محدث • " (١)

ومهما بلغ هذا الرأي من الصواب أو عدمه ، فان نصيبا وصل منزلة لا بأس بها •• وسكبت بين يديه أموال لا حصر لهما ••

شخصيته :  
=====

اذا كان المدح المنكسب في أكثره هو الطريق الرئيسية التي سلكها نصيب المهدي ، كانت لا بد أن تظهر لنا وبوضوح شخصيته التي تتمتع بذكاء ، استطاع أن يجلبها مخاطر متعددة اعترضت حياة السود •• هذا اذا اعتبرنا أن في التحايل على الحياة نفسها ومصاعبها نوط من الذكاء والمقدرة • وهو بهذا السلوك كان مشابها لكثير من شعراء عصره وبشكل خاص من السود ••

ونصيب هذا •• الذي تمتع بقسط وافر من الحرية في ظل عديد من الخلفاء وتمتع بحظ لا بأس به من المال والحياة ••• هل تخلص من عقدة اللون التي أرقت أكثر شعراء طبقتهم ؟ •••

والدارس لشعر نصيب يرى - رغم كل ما وصل اليه - اشارات غير يسيرة تكمن من ورائها هذه الحقدة •• بل وتشعر بأنات خفية كانت تصدر من اعماق الشاعر

لتعلن الثورة على الظلم، والمطالبة بالمساواة بين أبناء البشرية . . . ان لم تكن  
في امور الحياة الاخرى فبالحب على الأقل . . .

وتقول مية ط لملك والصبا	واللون اسود حالك فرهبب
شاب الخراب وط اراك تشيب	وطلا بك البيض الحسان عجيب
أعلاقة اسبابهن وانما	أفتان رأسك فلفل وزبيب
لا تهزني ملي فرب عائب	هلا يعيب الناس وهو سيب (١)

فهو لا يجد أكثر من البهت الأخير دفاعاً عن النفس، وعن الحب . . .

## ابراهيم بن المهدي

مولده ونسبه :

ابن شكلة ، لقبه ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله بن منصور  
أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ،  
أبو اسحاق أخو هارون الرشيد (١) . وشكلة أمه ، أمة كان أبوها من اصحاب  
الزهاد ، يقال له شاه أفريد ، فقتل مع الزهاد ، وسُيبت ابنته شكلة  
التي حطت بدورها الى منصور ، حيث صارت أمة لزوجها التي ربتها ، وكانت قد  
بلغت أوج شبابها الذي نالت به اعجاب المهدي عندما رآها وطلبها من  
زوجه محياه فأعطته اياها ، فأولدها ابراهيم (٢) ، وكانت ولادته غرة ذي القعدة  
سنة اثنتين وستين ومائة ، ونشأته في بغداد (٣) .

أوصافه وسيرته :

كان ابراهيم أسود حالك اللون براق ، عظيم الجثة ، حتى أنه كان يلقيب  
بالتنين (٤) ، وكان الى ذلك وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخي الكف  
حتى أنه لم يرفي أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ، ولا أحسن منه شعراً . (٥)  
وأمر توفرت فيه هذه الصفات ، كان حربياً أن يتنواً أفضل المراتب ، وأن يمشي  
حياة الامراء بكل ما فيها من عزّ ونعيم ، لولا أنه كان ابن أمة ، جرت عليه من  
سوادها ، ومن وضاعة نسبها ما قصد به عن تلك الحياة . حتى أن اعتلاه  
عرش الخلافة . فيما بعد . كان فيه شيء من التحدى ، أكثر مما هو اعتراف بكفائته ،  
وأكثر منه لحق مكتسب لأمير أبه المهدي . ودليلنا على ذلك أنه أمضى شطر حياته  
الاولى بهدوء دون أحداث ضجة من أي نوع كانت . فقد ولاه الرشيد اميرة  
دمشق خلال ست سنوات حدث فيها انقلاب بعد الستين الاليتين بأمر من  
أخيه الرشيد . وقيل أن السبب في ذلك جفوة حدثت بين الاثنين ، بسبب ظلم  
الرشيد له بالميراث ، ثم في قطع رحمه واستنزاه عن ابنة عم له (٦) وتعود الامارة

(١) وفيات الاعيان : ابن خلكان ٣٩/١ - تاريخ بغداد : ١٤٢/٦

(٢) الاغانى : ١٠١/١٠

(٣) الاعلام : ٥٥/١ - وفيات الاعيان : ٣٩/١

(٤) وفيات الاعيان : ٣٩/١ - تاريخ بغداد : ١٤٢/٦ - مدار القلوب للنيسابورى ١٢٤

(٥) وفيات الاعيان : ٣٩/١

(٦) الشعراء السود : ١٨٧/

ثانية بعد زوال الجفوة، فتعود الحياة بتلبيحتهما لابراهيم المهدي، وهكذا حتى تقرب منه المحن، أو على الأصح يدفع اليها دفعا، وكان الأمر آنذاك للأأمون •

ثم ترى ابراهيم يتقلد اشارة البصرة من قبل الأمون نفسه، وكاتبه آنذاك ابن نوح ابن ابي نوح (١) حيث كان الأمون متوليا أمر الخلافة، ومفكرا بأمرها والتي من سنوول من بعده • فراه ينتفي عليا ابن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي يبايعه الناس من بعده، ثم يجرى بعض التمديلات فيبدل شعار الدولة ويجعله اللون الأخضر بدلا من الأسود، الذي بقي طيلة حكم العباسيين شعارا لدولتهم • حدث هذا كله في خراسان، والعاقلية الحباسية في بغداد يبلغ بها الغضب أشده حين ترى الأمر يخرج من يديهما التي الطوسيين، فيسوقها ذلك، بل وتكره أشد الانكار " ودب الهاشميون بعضهم الى بعض وخلصوا الأمون وعقدوا الأمر لابراهيم بن المهدي في يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة احدى وثمانين • " (٢) حتى أنهم لقبوه بالهبارك وبالمرضي • وهكذا ونسج لابراهيم بن المهدي على فوحة بركان الخلافة آنذاك، والعصبيات على أشدها • • وكل يحاول - بطأوتي من قوة وبأس - أن يجمع حوله أكبر عدد من الابصار ليوجه الضربة القاسية للطرف الآخر • وخاض ابن شكلة عددا من الثورات انتصر في بعضها كثورة الروبيضة، وثورة أسد الحرامبي، وثورة المهدي بن طوان الشاري وثورة أهل الكوفة (٣) ثم قايل الحسن بن سهل وكان أميرا من قبل الأمون • الا أن عز هذه الانتصارات لم يدم طويلا، فلما لبث أن وجه له الأمون حميد الطوسي الذي قاتله ومزقه (٤) • وكان الاستخفاف بعد ذلك وجهة ابراهيم بن المهدي، خوفا من بطش الحكام • • الى أن دخل الأمون بغداد، وابراهيم ط يزال مستقرا متخفيا، حيث أقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام (٥) ذلك أن الأمون أهدر دمه وأرسل في البحث عنه الى أن ظفر به • فقام بين يديه يدلب عليه العفو ويقول قوله المشهور: " ولي المآثر، محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى، ومن

٢ - الوزراء والكتاب ١٢ - ضمن الا سلام ٦٤

(١) الوزراء والكتاب / ٣١٢

(٣) الخليفة المفلح / عن الشراء بالسود ص ١٨٩

(٢) تاريخ بغداد ٦ / ١٤٢

(٥) الاعلام ١ / ٥٥ - ٥٦

تداوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء أمن عادية الدهر على نفسه ، وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل ذي غفوكما جعل كل ذي ذنب دونه ، فان عفا فيفضله ، وان عاقب فحقه (١) ثم أشده قائلاً :

ان أكن مذنباً فعظي أخطأت      فدع عنك كثرة التائب سب  
قل كما قال يوسف لبي يهتوب      لما أتوه لا تشريب

فقال الطمون : لا تشريب (٢) . وفتحت بذلك صفحة جديدة بين الاثنين ، رد خلالها الطمون لحمه أمواله ، وأكرمه وبادمه ، ورتبه في مشايخ بني هاشم (٣) وابتعد الخليفة المخلوع عن السياسة ، وعاد الى سابق عهده في الغناء الذي برع فيه ، واشتهر حتى قيل عنه : " اذا ضرب وفضي لاحدهم في الصحارى والمصائد والمتنزهات وقتت له الطير ، وعكفت عليه الوحوش حتى تكاد تؤخذ بالأيدي " (٤) حتى أن أكثر ما نقلته كتب الأدب من الخليفة المظلي ولحمه بالمزف والغناء . حتى قال اسحاق الموصلي عنه : " ما ولد الحباس بن عبد المطلب بن عبد الله بن الحباس رجلاً أفضل من ابراهيم المهدي ، فقليل له ، صح ما تزدل له من الغناء ؟ فقال : وهل تم فضله الا بذلك (٥) حتى أن شهرته في هذا الميدان كانت مجالاً رحباً للتهكم والسخرية اللاذعة التي أصابه بها المعارضون له في الحكم ، ومفذاً سهلاً للخروج عن طاعته . فقد نقل عن بعض أهل بغداد قولهم — حين احتس الخليفة العطاء عن أهرابه من السواد : " ان لم يكن الطل فأخرجوا لنا خليفتنا فليشمن لاهل هذا الجاب ثلاثة أصواته ولأهل ذلك الجاب ثلاثة أصوات فيكون عطاء لهم " (٦) .

وكان غناء ابراهيم لأخيه الرشيد ، ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء وهم الأمين والطمون والمعتصم ، حتى أن المعتصم طرب يوماً لغنائه فقال : أحسنت يا أمير المؤمنين . فقال له ابراهيم : عربت يا أمير المؤمنين . (٧)

(١) تاريخ الطبري ٦٠٤/٨ — تاريخ بغداد ١٤٥/٦

(٢) تاريخ بغداد ص ٦٦٥/٦

(٣) نثر القلوب ، ١٢٤ — ١٥٤

(٤) المصدر نفسه ١٢٤ — ١٥٤

(٥) الاغانى ١٠١/١٠

(٦) تاريخ بغداد : ١٤٤/٦

(٧) نثر القلوب : ١٢٤ — ١٥٤



وهكذا .. وبعد أن استقرت به الحال ، ودللق أمور السياسة والحكم ،  
قضى بقية أيام عمره بزي المتعبين .

شعره :

هذه الحياة الحافلة بالاحداث المضطربة، والتي شطت جزءا لا بأس به من  
حياة ابراهيم بن المهدي، لم تستطع أن تستغرق شعره كله ، بل لم تأخذ طمعه  
بشكل مباشر - سوى حيز ضيق كان يشتمل انا على هجوم مباشر لمن غدرة من أهل  
قرايته وصحبته ، واما طي عتاب وشكوى من هؤلاء ، ومن الزمان الذي تأمر عليه بدوره  
مع هؤلاء . ولكننا نستطيع أن نلمس عمق هذه الشكوى من خلال شعره الذي يكشف  
عن كثير من ذاته ، ويحمل بين طياته حكمة تصدر عن آلام عميقة، عمق الجرح الذي  
أحدثته به الأيام ..

قد شاب رأسي ورأس الحرس لم يشب

ان الحرس على الدنيا لفي تعب

فلتتها بلمحت عيني الى رتب

ما اشعد غمي على الدنيا ولا نصبي

والموت يكدر في زندي وفي عصبي

قد كان يحمر بالذات والطرب

نصار من بعدها للويل والحرب

فلا وعيشك ما الارزاق بالطلب

ويحرم الرزق من لم يوت من طلب

الرزق أغرى به من لازم الجرب (١)

مالي رأني اذا طالبت مرتبة

لو كان يصدقني ذهني بفكره

أسعى وأجهد فيما لست أدركه

بالله ربك كم بيتا مرت به

طارت عقاب الملايا في جوانبه

فامسك عنانك لا تجمع به زالح

قد يرزق العبد لم تتعب راحله

يا ناقب الفكر .. كم أبصرت ذاحق

وليس من غرابقتلي الأمر أن يهتم ابراهيم بن المهدي بهذه الامور .. فهو عهد ومثله  
كان يجب أن يكون - لولا هذه الوصية - خليفة يتمتع بلذة الحكم كما في الخلفاء  
ويحلم باستقراره ، كما حلم به غيره من أبناء قرايته وحقوقه .. وكونه عدا وابن أمة  
سوداء ، ترك في نفسه عقدة لم تكن فقط سببا في تكاثر المعارضين من حوله ابان  
خلافته ، بل كانت سببا في فتح جرح عميق ، زاد في عمقه ما كان يلاقيه من أقارب

المقربين اليه وهم أعلامه • فهذا هو الطأمون يقول لا ابراهيم بعد العفو عنه :  
أنت الخليفة الأسود ؟ فيجيبه ابراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنا الذي طلبت عليه  
بالعفو ، ثم نثل بشعر سحيم :

أشعار عهد بني الحسحاس من قمن له . عهد الفخار فقام الاصل والورق

ان كنت عهدا فنفسي حرة كرميا أو أسود اللون ابي أبي بن الخلق

وطذا يجد العهد الاسود غير التخي بالصفاة الخلقية يخطي بها ما يصمه به  
الناس من عيب السواد ••

ولا ابراهيم بن المهدي أشعار في الوصف ، •• منها ما كان في وصف مظاهر  
الطبيعة ، ومنها ما كان في وصف المرأة ، وما جرت على قلبه المحب دائما من لوعة  
الحب والشرام •

فمن النوع الأول ، وصفه لهاقة ترجس كانت في يد المعتصم ، وطلب منه أن يصفها  
له فقال :

ثلاث عيون من الترجس  
يذكرني طيب ربا الذهب  
على قائم أخضر طمس  
فيمنحني لذة المجلس

ومن النوع الثاني ، ما قاله في جارية حسناء ، كانت توفيه حقه من الرطيمة  
والخدمة ، أيام كان مختبئا ، فجعل مقدارها في نفسه الى أن قيل يوطأ يدها ، فقبلت  
الأرض بين يديه فقال :

يا غزالى إليـه  
والذى أجلت خد  
شافع من مقلتيـه  
يه نعلت يديه  
بأبي وجهك ما أكشر عبادى عليه  
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليـه (١)

أما رثاؤه •• ففيه من العاطفة واللوعة ، ما يسمه بالصدق المطلق ،  
خاصة اذا كان المرثي واحدا من أولاده •• فما قاله في رثاء ابنه الأكبر  
أحمد :

وأحمد في الثياب ليس يثوب  
سواي، وأحداث الزمان تعوب

يثوب إلى أوطانه كل غائب  
تهدل دارا غير داري وجهيرة  
السي أن يقول :

بحيني طم يا بني — يجيب  
بأني وان أبطأت عنك قريب

سأبكيك ما أبقته موعي والهكا  
واني وانت قدمت قبلي لعالم

مهط يكن من أمر .. فقد اعتبر ابراهيم بن المهدي من الجيدين في الشعر (١)  
ومن الوصوفيين بخزارة الأدب (٢) . وخبرته في هذا المجال ، كانت تجعله يوجه  
الفصح لمن هو بحاجة إليه ، في هذا المجال ، ومن هذا القبيل ما قاله لكاتبه  
عبد الله بن صاعد : اياك وتبع وتحشي الكلام طمعا في نيل البلاقة ، فان ذلك هو  
الذمبي الأكبر ، وعليك بط سهل ، مع تجنيك ألفاظ السفلى " (٣) .

ومن كان هذا مذهبه في الكتابة .. كان لا بد أن يترك للأجيال حلوا الشعر  
وجيده ، قبل أن تدركه الحمية في يوم الجمعة سنة أربع وعشرين ومائتين يسر من رأى ،  
بعد أن صلى عليه ابن أخيه الممتصم (٤)

شخصيته :  
=====

لدخل مع ابن شكلة باها جديدا ولجه الشعراء السود لأول مرة ، ذلك أنه  
كان من المستحيل على أي منهم أن يحطم بالوصول إلى منصب حكومي يتقلده أيما  
أصحاب الشأن من السادة ، مهط أوتي من الذكاء والقدرة على القيام بأعمال ذلك  
المصعب ، فكيف الحال بنا حين نرى واحدا منهم يتقلد منصب الخلافة — على ما فيه  
من علو منزلة — كانت تقصد بهمهم عن الوصول إليها .. لا بد أن ظروفنا وأسبابنا  
تضافرت حتى حدث المحذور ، وولي ابن شكلة سدة الخلافة ، فأحدث في التقليد  
شرها عليهما

هذه الظروف ، أكسبت شخصية هذا الخليفة العبد مزيجا من القوة والضعف

من التصميم والتراجع ، من التحدي والاستكانة .

(١) الاعلام : ٥٦/١

(٢) تاريخ الطبري ٦٠٢/٨

(٣) الزمير ٢٣٤

(٤) وفيات الاعيان ١/١٠٤

توبة استمدحها بن اسمه لأبي، وضحفط بعده ضعف احققه من نسبه  
• الأمة السوداء •

تصميم وضعه الى قمة الخلافة رغم كثرة الماويين ، وتراجع أطمته وأجبرته  
على القوة العظيمة التي وثقت في وجهه تذكره بطايفي صوديته •• وسواده ••

تعد دفعه الى أن يضرب بالأعراف ، والمقاليد عرض العائط، فيتسبح  
على عرش مهزوز عرض للزوال في اية لحظة، ثم تراجع أقرته قوى العصر ••

هذا المزيج من الصفات المتناقضة خلقت من " ابن شكلة " شخصية  
تستحق الوقوف والدراسة شخصية مهمة بحماولت الوصول الى القمة، عادت وأزهدت  
نصريحات تعديش في اعطقتها ، تذكرها ببساطة العيش وعلوه المتجلي في الغباء •  
فهجرت الحكم والحكام الى الحزف والخفاء ، وطدت شخصيته تتابسهما البساطة  
ويكتفها الطرف، لكنها تخبيء في اعطقتها الألم والمزن ••

## علي بن جبلة

تسمية :  
=====

هو علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن، أبو الحسن الشاعر المصروف بالعكوك (١) وقيل في رواية أخرى، علي بن جبلة بن عبد الله الأبدوي، نسبة إلى أبناء الدعوة العبّاسية، ولقبه العكوك (٢) وكان قد لقبه به الأصمعي، وهو ينشد مادحه بين يدي الرشيد (٣) .

وعلى بن جبلة من أبناء الشيعة الخراسانية، ولد في الحيرة من الجانب الغربي سنة ستين ومائة للهجرة، ثم تشأ في بخداد (٤) . كان علي بن جبلة أسود اللون، أهرص وقد جمع إلى سواد لونه ودانة شكله كفاة البصر . فمن قائل أنه ولد أعمى (٥) ومن قائل أن بصره كان قد كف وهو طفل صغير في السابعة من العمر اثر اصابته بمرض الجدري (٦) . وكانت طامته قد زادت من عطف وعنان أبيه عليه . . . اذ ألحقته بمدرسة ليعلّمه فيها ما يتعلّمه الصبيان ممن هم في مثل سنه، ثم يوجهه إلى أهل العلم والأدب، نياًخذ عنهم فروع العلوم والمعرفة (٧) يساعده في ذلك ما أوتي من فطنة وذكاء . حتى أذكى موهبته الشعرية وصلتها، فدخل أبواب الخلفاء والأمراء بهذا الزاد الوحيد، الذي كان أيضاً المصدر الوحيد في سعة رزقه، وفي رفعه إلى منزلة حسده طيبها كثير من الشعراء، فقد كان شاعراً ملبقاً فصيحاً بليغاً (٨) ويتقدر ما رفعه شعره في بادئ الأمر، يتقدر ما كان

(١) تاريخ بخداد ٣٥٩/١١ . وفيات الاعيان ٣٥٠/٣ . الهداية والنهاية ٢٦٧/١٠

(٢) الاطّاعي ٢٨٧/١٦ . والعكوك هو القصير السمين، أو الخليط السمين

(٣) سبط اللالي ٣٣٠

(٤) الاطّاعي ٢٨٧/١٦

(٥) وفيات اعيان ٣٥٠/٣

(٦) الاطّاعي ٢٨٧/١٦ . الهداية والنهاية ٢٦٧/١٠ . تاريخ بخداد ٣٥٩/١١

سبط اللالي ٣٣٠ :

(٧) شعر علي بن جبلة

(٨) الهداية والنهاية ٢٦٧/١٠

مصدرا للمصائب التي أصيب بهما في آخر أيام حياته ، حتى أنه كان سببا فيسي القضاء عليه ، وانهاؤه من الوجود .

كان أول دخول علي المجتمع السياسي ، دخوله مدحا لخلفائه وأمرائه حيث أشهد أولى قصائده بين يدي الرشيد ، الذي أعجب به أيضا أعجاب وأجزل له العطاء (١) .

ومن بعد وفاة الرشيد نرى عليا يتقلب في مدح العائلة العباسية الى أن تبرز أسماء على رأس قائمة مدوحيه ، هذه الأسماء طالما اشتهر اصحابها بها كان لهم من علو المنزلة والشأن آنذاك . وكان على رأس هذه القائمة أبو دلف العجلي القاسم بن عيسى العجلي ، حتى قيل أنه استنفذ شهره في مدحه (٢) . وكان مدحه هذا سيفا ذا حدين ، الأول مصدر سعادته وعيشه في سهوحة ورغد ، والثاني كان مصدر شقاء ثم موت . . . وكيفية تعرف الشاعر على مدوحه هذا ، وتولد العلاقة بينهما . يحكيها الشاعر نفسه فيقول : " زرت أبا دلف في الجبل ، فكان يظهر من برى واكرامي والتحفي بي أمرا عليها فردلا ، حتى تأخرت عنه حياء ، فبعث الي معقلا : وقال : يقول لك الأمير : قد انقلبت عني ، وأنت لك استقلت برى ، فلا يخضبك ذلك ، فاني سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قلعتي الا الافراد في البر ، وكتبت اليه :

هجرتك ولم أهجرك من كفر نعمة	وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا	فأفردت في برى عجزت عن الشكر
فمن الآن لا أتيك الا مسلما	أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر
فان زدتنني برا ، تزايدت جفوة	ولم تلقني طول الحياة الى الحشر

ولما وصلت القصيدة أبا دلف ، قال : قاتله الله ما أشعره وأرق معانيه ، ثم بعث بالابيات وصيغا وبعث معه لعلي بألف دينار " . (٣)

ولأول مرة تلقى علي صعيد الشعراء السود = أو لنقل أغلب الشعراء المدحيين — من يخجل من كثرة الأعطيات . . . الا أننا نحسن أن نحبه وودا عتيقا

(١) سبط اللالي : ٢٢٠

(٢) الاغاني : ٢٨٧/١٦

(٣) نهاية الأرب : ١٨٦/٣

كان قد نشأ بين الاثنين، زاده تقربا والفة المنزلة التي منحها أبو دلف لعلبي مقابل مدائح طوقت شهرتها وشهرة مدوحها الآفاق . وبالتالي، أثار للشاعر الكثير من المطاع على مستوى المجتمع الهخادى . . . ومن أفضل بل وأروع مدائح علي بن أبي دلف القصيدة التي يبدوها بخزل تنليدي . . . ثم يصل الى بيت القصيد :

وارعوى اللهو من وطسره  
لم أبلغه مدى أشسره  
في يمانية وفي مضره  
عصر الآفاق من عصره

زاد ورد الفي عن صدره  
لدمي ان الشباب مضي  
ودع جد قحطان أو مضر  
وامتدح من وائل رجسلا

الى أن يقول :

بين ياديه ومعتضره  
ولت الدنيا على أثره  
بين ياديه الى حضره  
يكتسبها يوم مفتخره (١)

انما الدنيا أبو دلف  
فاذا ولي أبو دلف  
كل من في الأرض من عرب  
مستعيرته كرسنة

فطالما جعله أصل المتارم، وكل من سواه . يستمد منه فرع الكرمة فماذا ابقى من زاد المدح لغيره، ومن سواه يتصل بهم واسدا تلو الآخر . . .

ان ذكاء علي وشانته ، كانت دائما حديث الرواة ، لذلك كان يستخدمهما

للتخلص من الطآزق التي قد يسببها له شهره فيقتح بها المدوحين الآخرين . . . فاذا ما سأله حميد بن عبد الحميد الطوسي : " ما عسى أن تقول فينا ، وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف : انما الدنيا أبو دلف " . . . نرى عليا يجيبه قائلا : " أصلح الله الأمير ، قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا ، ثم ينشده :

واياديه الجسمام

انما الدنيا حميد

فعلى الدنيا السلام (٢)

فاذا ولي حد يمد

وتكون الجائزة من نصيبه ، بحد أن يقتتح حميد . . . على ما يبدو . . . بحسن نواياه . ولكن اين السبيل لاقتاع المؤمن ، بعد أن استفذ طاقا المدح في غيره ، والمؤمن في قمة غضبه ، ويرسل المخبر تلو السخر بحثا عن علي ، وعلي يهرب من بقعة الى أخرى ومن طبا إلى آخر ، والمؤمن ما يزال يجدد في دلبه حتى يذفر به فيأمر أن يؤتى

(١) نهاية الارب ٢٢١/٤ - ٢٢٢ - ٢٢٣

(٢) وفيات الاعيان ٢٥٢/١ - نهاية الارب ٢٨٦/٣

به قليلا ، ولما يمثل بين يديه ، يصب جام فضبه عليه فيقول : يا ابن اللخنا ••  
والله ما أبقيت أحدا حيث تقول :

بأديه وحاضره

كل من في الارض من عرب

يكتسبها يوم شتخوره

مستعير منه مكرمة

لقد جعلتنا من يستعير المكارم والافتخار منه ؟ ومع هذا فلا استحل قتلك بهذا ••  
ولكن بشر كل وكفرك حيث تقول في عهد ذليل :

وتنقل الدهر من حال الى حال

أنت الذي تنزل الأيام منزلها

الا قضيت بأرزاق وآجال

وما مددت مدى طرفه الى احد

ذاك الله يفعله ، ثم يأمر باخراج لسانه من قفاه ، فأخرجوا لسانه (١) • وهناك  
رواية اخرى تقول بأن عليا مات سنة الف ، بعد أن نزل متواريا عن انظار المؤمن (٢)  
وكان ذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين بمدينة السلام (٣) •

شعره :  
=====

اذا كان الشعر هو الذي رفع علي وجلب له شعة العيش •• فلقد كان هو  
السبب أيضا في دنو أجله • ورعيله عن الدنيا •• تاركا لنا حصيلة شعرية ذات ألوان  
متعددة ، كان المدح نائدها ، والرتاء من اعلامها البارزة • ومن جيد رثائه ، ما  
يذكر له من مرتبته في حميد الداوسي وفيها يقول :

وما صاحب الايام الا مفجع

ألدهر تبكي أم على الدهر تجزع

أصاب عروس الدهر ظلت تضضع

أصبط بيوم في حميد لو أنسه

نداه الذي واين السهيل المدقع

بكي فقده روح الحياة كط بكى

وله أشعار في الغزل ، وفي الوصف •• وشعره الخزلي نوطان تقليدي يفتحح  
به قصائده في الموضوعات الاخرى ، وخاصة المدح • ومثاله قصيدته التي امتدح  
فيها أبا دلف بقوله في أولها :

وارعوى اللهو عن ودلوره ••

ذاد ورد الشبي عن صدره

(١) البداية والنهاية ٢٦٨/١٠ ... نهاية الارب ١٨٦/٣

(٢) الاظاني ٢٨٢/١٩

(٣) تاريخ بغداد ٣٥٩/١١ ... وفيات الاعيان



ثم المقطعات الشعرية ، التي يتحدث فيها عن تجاربه الذاتية في الحب ،  
 ووصف جمال المحبوب ، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن المعتز في طبقاته تحت  
 عنوان : وما يستحسن لعلي بن جبلة في الغزل قوله :

اني ليقنعني تعهد شكلية	ان حال دون لقاء شكلية حائل
ويزيدني كلفا بها هجرانها	ويسرني عنها الحديث الباطل
واذا تكلم عاذل في حبهما	أغرى الفؤاد بها ورقة العاذل
من اين ما استحلت محاسن وجهها	بهر العيون بها هلال ما شمل
شجيت خلالها بساق خدلية	وشجيت عمدا بالذي هو قائل (١)

أما في الوصف ، فلعلي صورة مبتدعة جميلة في الوقت نفسه - عن الطيف ،  
 طيف الحبيب الذي يختلس ثوان من الزمن يزوره فيها ، ثم لا يلبث أن يرحل مسرعا  
 بعد أن يثير في نفس المحبوب الشوق والهيام :

بأبي من زار ، كتتمنا	ذرا من كل واش جزعنا
زائرا ، ثم عليه حسبنا	كيف يخفي الليل بدرا دلعنا
رصد الغفلة حتى أمكنت	ورعى السامر حتى هجعنا
ركب الا هوال في زورتسبه	ثم ما سلم حتى ودعنا (٢)

لقد رحل علي بن جبلة ، بعد أن خلف وراءه ذكرى طيبة النثر ، يدق  
 أرجحها من خلال ابياته ، التي نسطها ، واضع شعره السابقة ، بعد أن رسخ قدمه  
 بثبات على أرض الشعر ، وافتزع اعترافات كثيرة تؤيد شاعريته حتى أن أبان تمام  
 كان يود لو أن له بين طيئ التلي ، مقابل ثلاث قصائد من شعره يتخيرها ويتحلها  
 مكانه :

وردَّ البيهقي والبيهقي  
 الى الاغساد والحبيب (٣)  
 أما الجاحظ فيقول عنه : " كان أعسن خلق الله اشادا ، ما رأيت مثله بدويا  
 ولا حضريا (٤) والدمشقي يصفه بالفصاحة والبلاغة (٥) وصاحب السطح يقول عنه :

- (١)  
 (٢) طبقات الشعراء ١٧١  
 (٣) الاظني ٢٨٧/١٩  
 (٤) تاريخ بغداد ٣٥٩/١١  
 (٥) البداية والنهاية ٢٦٧/١٠

" كان شاعرا مطبوعا عذب اللفظ جزله (١) .

شخصيته :  
=====

أسود قصير دميم ، أبرد من كفيف سعيد . كيف يمكن أن يواجه مجتمعا له قيمه الخاصة ، وله عاداته وتقاليد المتوارثة . . هو في خيار صعب بين التمرد على هذا المجتمع ، وبين مجاراته بما يملك من وسائل . . سبقه اليها كثير من شعراء طبقتهم عند طراد الوصول الى أهل العفة واليسار من حكام العصر . .

وهذا ما كان . . فقد دخل العكوك القصر العباسي مشددا وبادحا ، وكانت اولى قصائده بين يدي الرشيد ، وكانت هذه هي المؤشر الذي سمح له بتخطي الحقبات ، كما كانت المؤشر لبروز شخصيه العكوك المتوازنة التي استطاعت دخول القصر بصمت ، ودون أن تثير ضجة يمكن أن تسبب لها متاعب . فلم تره حاقدا ولا جبارا رغم طبعه من عاهة يرافقها سواد ونسب وضيق . . بل محاولا الاستمرار في الحفاظ على مكانته بين الحكام . الى أن كانت النهاية حين وجد في الطرف الآخر من وقف له بالمرصاد ، ورفق عواطفه حين أحس سطحيته بالنسبة اليه ، وعيقها وصدقها عند غيره . . آنذاك . . لم تأت رياح العكوك بما يشتهي ، بل حولها الأمن اعصارا استطاع اقتلاعه من مكانه ثم القضاء عليه ، برغم محاولاته الدائمة للابقاء على التوازن في علاقته مع حكام القصر ، خوفا من مثل هذه النهاية . .

## أحمد الرشيد الفسائي

سيرة :  
=====

هو أحمد بن علي بن ابراهيم بن الزهر الفسائي الأسواني، وكنيته أبو الحسن، ولقبه الرشيد (١) . وفي رواية أخرى تتعمق في نسبه فتقول عنه : أحمد بن علي القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضي الرشيد أبي الحسن علي بن القاضي الرشيد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحسين بن الزهر الفسائي الاسواني (٢) حيث كان مولده في اسوان ، في بيت كبير من صعيد مصر .

سيرته :  
=====

بدأ الرشيد حياته في مسقط رأسه اسوان، الى أن هاجر منها الى مصر فأقام فيها ، واتصل بملوكها ، ومدح وزراءها (٣) وكان ذلك بعد مقتل الظافر الفاطمي وجلوس الفاطم . وله في رثاء الظافر قصيدة ، كانت سبها في فتح أبواب الرزق ، بعد طول فقر لقيه في الصعيد :

ط للرياض تميل سكرًا                      هل سقيت بالمزن خمرا  
جارى الملوك الى العلا                    لكنهم ناموا وأسرى

الى أن قال :

أفكر بلاء بالعراق                      وكربلاء بمصر أخرى (٤)

بعدها عاد الى منزله بطل وفير ، حصل عليه من اعطيات القصر آنذاك . كان أحمد الرشيد يحمل وراءه دامة شكله ووراءه سواده ، صفات متميزة يرواها مراكز لم يصل اليها أحد قبله من الشعراء ، اذا استثنينا ابراهيم بن المهدي . . . لط كان يحمل من نسب الملوك . . . فهو الى جانب كنهان أسود اللون ، غليظ الشفة ، قصيرا ، مهسوط الأنف كخلقة الزوج (٥) فقد كان ادبها متفقا ، عارفا بالهندسة والطب والموسيقى والنجوم ، متفنا ، من أهل الفضل والنباهة والرياسة (٦) . وقد رشحته هذه الصفات

(١) الاعلام ١/١٦٨ - معجم الادباء ٤/٥١

(٢) وفيات الاعيان ١/١٤٤

(٣) معجم الادباء ٤/٥٥

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/١٤٦

(٥) الاعلام ١/١٦٨

(٦) المصدر السابق ١/١٦٨ - معجم الادباء ٤/٥٢

لان يولى — في بادىء الامر — النظر بمشخر الاسكندرية والدواوين السلطانية وذلك  
بمخير اختياره (١) • ثم انقذه المحافظ الى اليمن فلقب قاضي قضاة اليمن وداعسى  
دعاة الزمن (٢)

واستمر حسن الطالع مرافقا لتحركات الرشيد • وما ان استقرت الاحوال حتى  
ازداد طموحه لتحقيق أمل يهدو أنه ظل يراوده لفترة كبيرة • • ويتنظر اللحظة  
المناسبة لتحقيقه • ذلك أن نفسه " سمت الى رتبة الخلافة فسعى اليها ، وأجابته  
قوم فسلموا عليه بها ، وضربت باسمه بقود " (٣)

وهكذا • • استطاعت نفسه التواقة الى المجد • من أن تحقق حلمها الاول  
في عالم السياسة ، فتحتلي قمة الخلافة ، بالرغم من عقدة السواد التي ستكون — فيط  
بعد — سببا رئيسيا في محنته ، وصحة غيره من الشعراء السود • لكن الامر لم يطل  
به • • فسرعان ما وصل خبر استلامه الخلافة الى صاحب مصر ، فأرسل اليه من أعضره  
مكلا ، وأمر بأن يحبس في المطبخ الذي كان يتولاه قديما • • الا أنه عاد فأخرج •  
عنه بعد توسط من قبل أخيه المهذب بن الزهير (٤) •

ويبدو أن هذه الفترة القليلة التي استلم فيها سدة الخلافة لم تكن لتسرى  
غله المتعطش للملو • • لذلك نراه يتحين فرصة أخرى ليحقق طآرته • • وتفتح الفرصة  
عند استلام الحاضد أمر الخلافة ، وعند ما يحاول شيركوه اقتحام مصر • • لدى الرشيد  
يصل الى حركته فيكاتبه ، ويضم اليه (٥) • ويقوم الوزير شاور بالتصدي لهذه الحملة  
المناوئة ، ويرسل من يتعقب الرشيد ، الذي يختفي في الاسكندرية هاربا من يد ش  
شاور • ويتفق العجاء السلطان صلاح الدين الى الاسكندرية ومحاصرته فيها آنذاك ،  
فيخرج الرشيد راکبا ، متقلدا سيته ، وشاور يشتد في طلب الرشيد حتى يظفر به  
فيأمر بأشهاره على جبل ، وعلى رأسه طرطور ، وورامه جلواز ينال منه ، فطيف به  
على هذه الحال ثم صلب شنقا على الاثر ، ودفن في الاسكندرية الى ان نقلت رفاتنه

(١) وفيات الاعيان ١٤٤/١ — معجم الادباء ٥٤/٤

(٢) الاعلام : ١٦٨/١

(٣) الاعلام ١٦٨/١

(٤) المصدر السابق ١٦٨/١

(٥) المصدر السابق ١٦٨/١

الى القراءة (١) • وهكذا ومن حيث طمحت همته العالية الى الوصول الى أعلى المراتب ، كان القدر بالمرصاد يترصد وثباته ، ويفتح العيون عليه ، لتتال من آماله وطموحاته ، قبل أن تمتد اليد الاخرى لانتال من البقية الباقية من عمره • ورغم أن عقدة اللون لم تكن لتشكل مشكلة نفسية كبيرة تعيق من تحركات الرشيد ، الا أنها كانت سببا في نيل حساده منه ، هؤلاء الذين لم يروا سوى هذه المنقصة فيه ... وفق نظرهم — ليصوبوا حسدهم وظلمهم فوق رأس هذا الشاعر الاديبي • • ومن هذا القبيل ما قاله فيه ابن قادوس :

ان قلت من نار خلقت      وفقت كل الناس فهمها  
قلنا صدقت في السدى      أطفاك حتى صرت فحمها

كما يروى • • أنه لما توجه الرشيد الى اليمن من قبل الخليفة الحافظ، قال فيه بعض شعراء اليمن قصيدة بحثوا بها الى صاحب مصر منها :

بحثت لنا علم المهتدين      ولكنه علم أسود (٢)

### انتاجه الأدبي والشعري :

لم يكن الشعر هو الميدان الوحيد الذي طرقه الرشيد الخسائي، وإنما كان عالما متفقا في كثير من العلوم — كما ذكرت كتب الادب • •

فهو أديب متفقه ، عارف بالهندسة ، والطب ، والموسيقى ، والنجوم (٣) • واعتبره الحموي " كاتبا ، شاعرا ، نقيها ، نحويا ، لغويا ، ناشئا ، عروضيا ، ومؤرخا منطقيا ، مهندسا ، عارفا بالطب والموسيقى والنجوم ، متفنا • " (٤) وربط بالسبع بعضهم فاعتبره " أسود الجلد ، وسيد البلدة ، وأحد عصره في علم الهندسة ، والرياضيات ، والعلوم ، والشرعيات ، والآداب الشعرية • " (٥)

أما شعره • • فقد توزع بين المدح وبين الشعر الذاتي الذي يحكمسي فيه بعض تجاربه الشخصية • • وفي قصيدته التي أجاب بها أخاه المهذب، والذي بدأها بالغزل ، مصداق ذلك :

- 
- (١) الاعلام ١٦٨/١  
(٢) وفيات الاعيان : ٥٢/١  
(٣) الاعلام : ١٦٨/١  
(٤) معجم الادباء : ٥٧/٤ — ٥٨  
(٥) وفيات الاعيان : ١٤٤/١/١ •

يا رب ، أين الاحبة يعموا  
وسروا ، وقد كنتما الخداة مسيرهم  
رحلوا ، فلا خلت المنازل منهم  
وضياء نور الشمس ما لا يكتهم  
الى أن يبدأ بسرد الحكمة التي علمتها له الحياة :

جار الزمان علي ، لما جرتهم  
وغدت بعد فرائكم ، وكأني  
ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة  
في معشر خلقوا شخوص بها ثم  
ظلماء ، وطال الدهر ، لط ملتهم  
هدف يبر بجانبه الاسهم  
قل الصديق بها وقل الدرهم  
يصدى بها فكر اللبيب وبهم (١)

أما في الادب فكان إنتاجه غزيراً ، الا أنه لم يكن أكثر خطاً من إنتاجه الشعري من حيث استمرارية البقاء . . . فقد تناقلت كتب الادب مؤلفاته الكثيرة التي عدت منها : كتاب أمنية الألمي ومنية الدعوي - وكتاب المقامات ، كتاب جنان الجناس وروضة الأذهان في أربع مجلدات تشتمل على شعر شعراء مصر كلها ، ومن طراً عليهم ثم كتاب الهدايا والطرף ، وشفاء الخلة في سمت القبله ، ثم رسالته وتحوى خمسين ورقة وديوان شعر نحو مائة ورقة (٢) .

شخصيته :  
=====

من خلال أحداث حياة الرشيد الخسائي ، التي كانت بحثاً دائماً عن السلطة ، شعرنا بشخصيته القوية التي اعتمدت العلم والمعرفة والقيم الاخلاقية وسهلا ارتقى بها درجات الحكم . . . في الوقت نفسه الذي كان المجتمع يقف مترهباً به ، مثلما ترهب من قبل بالخليفة ابراهيم بن المهدي حين سمت نفسه الى الخلافة . حتى أهل العلم والأديب ، وهم ينقلون أخبار هذا الأديب للمتفقه ، ويعددون مآثره في سيادين العلوم المتنوعة ، كانت لهم غمزات لم يكن من صبر لها سوى تلك اللظرة الواضحة التي كان ينظر بها الى السود عامة دون تفريق وكأنهم - من خلال ذلك - يلفتون النظر الى استثناءات الحياة ، وما تحمله في بعض الأحيان من مفاجآت . . . " فهو أسود الجلد وسيد أهل البلدة " وهو " على جلالته ومفضله . . . أسود الجلد جهم الوجه . . . " وكأنهم استكثروا على أسود مثله أن

(١) معجم الادباء : ٥٧/٤ - ٥٨

(٢) المصدر نفسه : ٥٧/٤ - ٥٨

بتيرواً سدة الخلافة بعلمه •• وقد أفرعهم أن تطمح جلدة سوداء، مهط حملست  
وراءها من بيض الفحال، الى نيل المحظور لا سيما السلطة التي كانت وقفا على  
جطعة معينة • الا أنه رغم الاعتبارات كلها، والمعوقات جميعها، استطاع أن يحقق  
بعض طموحاته، وأن يصل ولو لفترة، وأن يسجل موقفا مشرقا لبناء جلده • وهذا  
ان دل على شيء فاقط يدل على همته العالية، ومقدرته في جواب العلم  
التصعدة •

## المسألة الثانية

القول عند الشعراء السوء



مقدمة :

ماهية الحب والخيزل :

حين قال أفلاطون عن تلك العاطفة التي اصطلح على تسميتها بالحب أو الهوى : " ما أدري ما الهوى غير أنني أعلم أنه جنون الهوى لا محمود ولا مذموم " (١) فهو يحاول ايجاد تعريف يستطيع من خلاله أن يصور كنه هذه العاطفة التي سميت بالحب أو الهوى . وحين يقول عنه ابن خزم الاندلسي معرفاً ومرشداً : " الحب أعزك الله أوله هزل وآخره جمد ، دقت معانيه لجلالته عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها الا بالمعاناة ، وليس يفكر في الديانة ، ولا يحظور في الشريعة ، اذ القلوب بيد الله عز وجل " (٢) تراه يكرر المحاولة لايجاد صيغة أكثر اقناعاً والتصاقاً بالنفس فيذهب الى ايجاد مسوغ مقبول لرأيه ، اذ القلوب بيد خالقها ، واذ هي موطن ذاك الحب ومبغمه .

وهذه العاطفة التي ولدت بولادة الانسان ، ونمت بنموه ، وتطورت بتطوره فاكتملت باكتناله ، برزت جليلة واضحة في ابهى صورها بين الرجل والمرأة . فكانت نقطة البدء ، أو بدء التكوين لعواطف اخرى تتدرج تحت بابها . . .

واذا آمننا مع ابن خزم بأن عاطفة الحب لا تدرك حقيقتها الا بالمعاناة ورحنا نبحث عما كتب حول هذا الموضوع ، ونقلب وجوه أقواله وفلسفته حول هذه العاطفة ترى الرجل بعد ذلك يسعى الى كسب ود المرأة بطرق شتى ، فيهرع ويخترع ويتفنن في الأساليب التي يراها كفيلة بالوصول الى قلبها . . . هناك . . . يبحثها لواعج قلبه وآلام حبه وآماله ، يبحثها أحاديث الهوى والهيام ليخبر لها عن أسرار جمالها في نفسه ، ويتوجهها ملثة على القلب . فتاريخ الامم والشعوب حمل ولا يزال يحمل اليها الوان الحب وقصصه المشهورة . وينقل على لسان أدبائه وشعرائه وفلاسفته وصفها دقيقاً للمرأة . وهذا ما يفسر اهتمامهم بها ، فقد أحبوها وتعلقوا بها ، فأيقظت

(١) كتاب الزهرة : للاصفهاني - النصف الاول / ١٥

(٢) طوق الحمامة : ابن خزم الاندلسي / ج١ - ص ٤١

روح الشعر فيهم ، وألهمتهم الوحي والخبيرية • وغدا الشاعر العربي ، في صحرائه المتراامية الاطراف ، وضمن ظروف الحياة القاسية. فيها ، غدا الرفيق الدائم لها ، وصاحب الخطوة لديها لا سيط في عطف الفلي • وغدت هي حديث القلب المفرج تارة والشجي تارة اخرى ، هذا الحديث الذي حمل بين جنباته حلاوة الوصل واللقاء كما حمل مرارة التمتع والحرام ، وكان حديث الحواطف والشاعر الرقيقة ، وحديث الحب والهيام الى أن اطلق عليه - فيما بعد - الغزل ، وقد يحلو لآخرين ان يسموه النسب والتشبيب • ودقة المعاني لهذه الالفاظ الثلاثة تعطيه مجازيم اللغة فيقول لسان العرب عن الغزل انه : " حديث الفتيان والفتيات ومنازل النساء : اي محادثتهن ومرادتهن " • (١) وعن التشبيب : " التشبيب بالشعر هو ترقيق أوله بذكر النساء ، وهو من تشبيب النار وتأريثها " ، ويقال : شيب المرأة قال فيها الغزل والنسب ، والتشبيب : النسب بالنساء • وعن النسب فيقول : نسب بالنساء يُنَسَّبُ وَيُنَسَّبُ أَي شَبَّ بِهِنَّ فِي الشَّعْرِ وَتَغَزَلَ (٢) • أما تاج العروس فالغزل فيه هو : " محادثة النساء ولحله من معانيه ، والمعروف عند ائمة الادب وأهل اللسان أن الغزل والنسب هو مدح الاعضاء الظاهرة من المحبوب ، أو ذكر أيام الوصل والهجر ونحو ذلك " (٣) والتشبيب " هو في الاصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء التصاد ، وسعي ابتداؤها مطلقا ان لم يكن فيه ذكر الشباب " (٤) ونسب الشاعر في المرأة ، شيب بها في الشعر والغزل ، وذلك في أول القصيدة ثم يخرج الى العديح • ونسب بها اذا ذكرها في شعره ووصفها بالجمال والصبا وغير ذلك (٥) ونسب الشاعر بالمرأة ونسب الرجل هما جميعا من الوصف لان من نسب رجلا فقد وصفه بأبيه أو ببلده أو نحو ذلك ، ومن نسب بامرأة فقد وصفها بالجمال والصبا والجودة وغير ذلك " • (٦)

(١) لسان العرب - مادة غَزَلَ ، المجلد ١١ / ٤٩٢

(٢) المصدر نفسه = المجلد ١ / ٧٥٦

(٣) تاج العروس ج ٨ / ٤٣

(٤) المصدر نفسه ج ١ / ٣٨

(٥) المصدر نفسه ج ١ / ٤٨٣

(٦) المصدر نفسه ج ١ / ٤٨٣

روح الشعر فيهم ، وألهمتهم الوحي والعبقرية • وغدا الشاعر العربي ، في صحرائه المتزامية الاطراف ، وضمن ظروف الحياة القاسية. فيها ، غدا الرفيق الدائم لها ، وصاحب الغنوة لديها لا سيما في عطفه الفني • وغدت هي حديث القلب المعرج تارة والشجي تارة اخرى ، هذا الحديث الذي حمل بين جنباته حلاوة الوصل واللقاء كما حمل مرارة التمتع والحرمان ، وكان حديث العواطف والشاعر الرقيقة ، وحديث الحب والهيام الى أن اطلق عليه - فيما بعد - الغزل ، وقد حلوا آخريين ان يسموه النسيب والتشبيب • ودقة المعاني لهذه الالفاظ الثلاثة تعطيه معاجسم اللغة فيقول لسان العرب عن الغزل انه : " حديث الفتيان والفتيات ومغازلة النساء : اي محادثتهن ومراودتهن " • (١) وعن التشبيب : " التشبيب بالشعر هو ترفيق اوله بذكر النساء ، وهو من تشبيب النار وتأريثها " ، ويقال : شبيب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب ، والتشبيب : النسيب بالنساء • وعن النسيب فيقول : نسب بالنساء يُنَسَّبُ وَيُنَسَّبُ اي شبيب بهن في الشعر والغزل (٢) • أما تاج العروس فالغزل فيه هو : " محادثة النساء ولعله من معانيه ، والمعروف عند ائمة الادب وأهل اللسان أن الغزل والنسيب هو مدح الاعضاء الظاهرة من المحبوب ، أو ذكر أيام الوصل والهجر ونحو ذلك " (٣) والتشبيب " هو في الاصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصائد ، وسمي ابتداءها مطلقا ان لم يكن فيه ذكر للشباب " (٤) ونسب الشاعر في المرأة ، شبيب بها في الشعر والغزل ، وذلك في أول القصيدة ثم يخرج الى المديح • ونسب بها اذا ذكرها في شعره ووصفها بالجمال والصبا وغير ذلك (٥) ونسب الشاعر بالمرأة ونسب الرجل هط جميعا من الوصف لان من نسب رجلا فقد وصفه بأبيه أو ببلده أو بنحو ذلك ، ومن نسب بامرأة فقد وصفها بالجمال والصبا والجودة وغير ذلك " • (٦)

(١) لسان العرب مادة غَزَلَ ، المجلد ١١ / ٤٩٢

(٢) المصدر نفسه = المجلد ١ / ٧٥٦

(٣) تاج العروس ج ٨ / ٤٣

(٤) المصدر نفسه ج ١ / ٣٨

(٥) المصدر نفسه ج ١ / ٤٨٣

(٦) المصدر نفسه ج ١ / ٤٨٣

فالغزل محادثة النساء ، والتشبيب النسب بالنساء ، والنسب هو التشبيب بهن . . . . وهكذا تتداخل معاني الالفاظ بعضها ببعض لتعطي فني النهاية معنى واحدا يدور حول الحديث المتعلق بالنساء من وصف لهسن ولجالهسن ، وما يثير هذا الجدل في النفس . وتذكر لا يام وصلهن الخالية ومسا تثير من حنين اليها ، وبكاء على ما دثر منها . . . . واشراقه أمل لما يمكن أن يعاد من ذاك الوصل . . .

وحد يثنا عن المعاني التي تشير اليها الفاظ الغزل والنسب والتشبيب يجربنا الى الحديث عن مسيرة الشعر الغزلي منذ جاهليته حتى العصر العباسي ، وهي الفترة التي تدرج فيها الشعراء السود موضوع هذه الدراسة ، وعن تطور هذا الفن خلال مسيرته ، والاسباب الداعية لهذا التطور . . . . كما تجربنا الى تبيان النقاط التالية التي استدعتها طبيعة البحث في الشعر الغزلي عامة ، والشعر الغزلي عند السود بشكل خاص :

- ١ - طهية الحب أو العشق
- ٢ - مكانة المرأة لدى الشاعر العربي ، وتطور هذه المكانة الزماني
- ٣ - مظاهر هذه العلاقة ، والمسالك التي سلكتها .

#### طهية الحب :

الحب نقيض البغض ، وهو الوداد والمحبة ، وكذلك الحب بالكسر ، والمحبة اسم له . . . . ونقول : تحبب اليه أي تودد ، والحب أيضا الحب ، وهنا يستشهد ابن منظور على ذلك ببيت من شعر أبي العطاء السدي :

فوالله ما أدري ، واني لصادق      أداء عراي من حبايك ام سحر (١)

أما العشق ، فهو فرط الحب ، أو هو عجب المحب الى محبوبه (٢) . . . . وقيل أيضا العشق مشتق من العشقة وهي شجرة تسمى اللبلاب تخضر ثم تصفر وتذوي (٣) . . . . وهكذا العاشق من تفتح الى اصفرار الى ذبول . . . . ولهذا فضل بعضهم الحسب " لان العشق فيه افراط " (٤)

- (١) لسان العرب ج١/٢٨٩
- (٢) المصدر نفسه ج١٠/٢٥١ - ٢٥٢ - طاج العروس ج٧/١٣
- (٣) المخصص - ابن سيرة ج٤/٥٩ - ٦٠ ولسان العرب ج١/٢٨٩
- (٤) لسان العرب ، وطاج العروس

وتحديد هذه العاطفة التي ربطت بين الرجل والمرأة ، والتي اطلق عليها اسم الحب نارة واسم العشق نارة أخرى ، ومن ثم ايجاد تعريف لها وتحديد ماهيتها كان أمرا شاقا على الدارسين والفلاسفة الاوائل رغم انهم حاولوا أكثر من مرة تحديد ذلك ، وكان كل واحد منهم اذا ما ذكر اشياء من هذا القبيل خفيت عليه أشياء أخرى حتى تعددت النظرات الى تحديد ذلك ، وان كانت كلها تعود فتجتمع عند المعنى اللغوي للكلمة . ذلك أنه من " أشق الامور تعريف المعلومات ووصف الامور المجردة البعيدة عن الادراك بالحس ، ففيها تختلف الأفهام وتتعدد الآراء " (١) .

وظالما أننا في صدد دراسة الغزل عند طائفة معينة من الشعراء ، والغزل طريقة للتعبير عن الحب بوجوه متعددة ، فلا بأس أن نلقي نظرة على آراء الأوائل الذين اهتموا بدراسة هذه العاطفة . . . وأفردوا لها كتباً ضخمة ما تزال تعبر جوهرة ثمينة تتوسط عقد المؤلفات العربية . خاصة أن اشعار الغزل تشكل الجزء الأكبر من تراثنا الشعري ، ومن ثروتنا الأدبية .

وأول ما يشدنا الى ذلك الدراسة العربية الاولى التي أفردت لموضوع العشق وهي رسالة الجاحظ في " العشق والنساء " (٢) فهو يعرف العشق بأنه " اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب (٣) " وهو بعد أن يتأمل شأن الدنيا يجد " أن أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبته والعاشق بطليبه " (٤) .

وابن داوود من الأوائل الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة في كتابه " الزهرة " مشيراً من خلاله الى الاتجاهات السائدة في فهم طبيعة العشق أو المحبة وحصريها في مجالات ثلاثة هي :

- الاتجاه الاسلامي
- الاتجاه الفلسفي
- الاتجاه الصوفي

(١) دراسة الحب في الادب العربي ج ٢ / ٥٩ - ٦٠

(٢) مجموعة رسائل الجاحظ / ص ٢٦٦

(٣) المصدر نفسه / ٢٦٩

(٤) المصدر نفسه / ٢٦٧

أما الاتجاه الاسلامي فيشير اليه برواية حديث عن السيدة عائشة عن النبي  
 (ص) أنه قال : " الأرواح جنود مجندة ، فط تعارف معها ائتلف وط تعارك معها  
 اختلف (١) " وكأنه من خلال استشهاده بهذا الحديث الشريف يريد أن يعطي  
 المحبين الأمان بهذا المؤيد الديني ، وهذه ناحية مهمة كان يلجأ اليها  
 الدارسون لطبيعة الحب والعشق ، ليبيّنوا بالتالي صحة آرائهم بما يوافق احكام  
 الشريعة والمشرّع .

وإذا ط بحث ابن داود في حقيقة العشق " لم وقع ، وكيف وقع اذ قصد  
 صح كونه عند العامة وخفي سببه على الخاصة " (٢) ، وإذا ط أورد الاتجاهات  
 السائدة في فهم طبيعة العشق ، تراه يخرج النظرية الى حيز التطبيق فيبين لنا  
 مراتب العشق حيث تتفاوت قوة وضخا من شخص لاخر مشيرا الى أن الحب يتولد  
 من النظر أو السماع فيقول تحت باب " من كثرت لحظاته دامت حسراته " : " ربّ  
 حرب جنيت من لفظه وربّ عشق غرس من لحظة " (٣) . ثم يسترسل ليبيّن مراتب  
 العشق " الأحوال التي تتولد عن النظر والسماع الاستحسان ثم يقوى فيصير مودة  
 والمودة سبب الارادة ، فمن ودّ اسألا ودّ أن يكون له خلا ، ومن ودّ غرضا ودّ أن يكون  
 له ملكا . ثم تقوى المودة فتصير محبة والمحبة سببا للطلاعة " . والمحبة بدورها  
 ترتفع لتصير خلة وتقوى الخلة فتصير عشقا ثم يزداد العشق فيصير تيمنا " ثم يزداد  
 التيمم ليصير ولها " والوله هو الخروج عن حد الترتيب ، والتعطيل عن أحوال التمييز  
 حتى تراه يطلب ما لا يرضاه ويتصنّى ما لا يهواه " (٤) .

وكما حدد ابن داود مراتب العشق ، تولى ابن حزم يتطرق الى البحث  
 في ماهية الحب فيرى أنه " اتصال بين اجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة فسي  
 أصل عنصرها الرفيع " (٥) وهو " استحسان روحاني وامتزاج نفساني " . ثم يبيّن

(١) الزهرة — النصف الاول / ١٤

(٢) النصف الاول من الزهرة / ١٤

(٣) المصدر نفسه / ٨

(٤) المصدر نفسه / ١٩ — ٢٠ — ٢١

(٥) طوق الحمامة = ابن حزم الاندلسي / ١٤

العلة التي توقع الحب فيراها في " أن النفس حسنة تولج بكل شيء حسن ويمثل إلى  
التساوير المتقنة • فهي إذا رأت بعضها تثبت فيه (١) "

وهذه المجموعة من التعريفات • التي تبحث في ماهية الحب • والذي هو صدى  
للنفس الداخلية ، تحاول أن تضغط كنه هذه العلاقة وفق قواعد وأسس معينة • • وما  
أبعد أن تعرف علاقة الحب وفق قواعد علمية واضحة • وما أبعد أن تعرف العاطفة  
وفق قواعد العلميين والمطققين • فهي قبل أي شيء احساس • • والاحساس يترجم  
إلى شعر — لا سيما إذا أعطي صاحبه حظاً من الشعرية • والغزل أو الحديث  
عن المرأة على وجه الاجمال كان وثيق العلاقة بالشعر منذ نشأته الاولى ، ومن هنا  
كان الشعر يحمل في عصوره المتعاقبة وثائق لتطور هذه العاطفة ودلائل لا تجاهاتها  
ومعانيها (٢)

وقبل الابتعاد عن دائرة التعريف لهذا العاطفة لا بأس أن نمرّ به بـ "مصارع  
العشاق" فربما وجدنا فيه ما فقدناه في تعريف ما مرّ بنا من قبل • الا أنه أكثر  
ما نستطيع التركيز عليه في هذا الصدد هو ما نقله ابن السراج في كتابه عـسـن  
تعريف لماهية الحب أطلقها حكما • وفلاسفة وأدباء في هذا السبيل دون تعليق  
منه عليها أو تأييد مباشر لها • ومن ثم يكتفي بإيراد أحداث وقصص تدور حول العشاق  
والمحبين ، فكان منهجه في الكتاب منهج منبر أكثر منه منهج باحث أو مؤلف • • وأكثر  
ما يجذب الانتباه ما أورده ابن السراج هو ما رواه عن اجتمع الطامون بيحيى بن  
أبى حمزة ضمن جلسة أدبية ، وسأله اياه عن العشق فيجيب ، أكنم : " هو سوانح تسلسح  
للمرء فيهتم بها قلبه وتؤثرها نفسه " ويسترف في تلميح بن الاشرس الذي كان من بيـسـن  
الجلساء — على هذا التعريف محاولا ايجاد أكثر شمولية — برأيه — واقترابا من الحقيقة

(١) دلوب الحطمة ١٥٧

(٢) دراسة الحب في الادب العربي د • مصطفى عبد الواحد ج ٢ • وقد أورد المؤلف  
ملاحظته حول لفظ الحب ثم العشق فرأى ان السراج وابن داود استعملوا لفظ  
العشق ، في حين استعمل ابن حزم لفظ الحب في الموقع نفسه ويرد ذلك إلى  
اشتهار لفظ العشق في البيئة العراقية • أو لدقته اللغوية • وقد أشرت في  
حيثه إلى المعنى اللغوي لكل من اللفظين كما وردا في معاجم اللغة •

فيقول : " العشق جليس ممتع وأليف مؤنس ، وصاحب ملك • سالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة ، ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها والعقول وآراءها ، وأعطى عنان طاعتها وقود تصرفها ، توارى عن الأبصار مدخله وعي في القلوب مسلكه (١) • وينال تمامة نتيجة لذلك جائزة من المأمون وما أظن في هذا التعريف تصويرا حقيقيا لماهية العشق • بل لا يعدو أن يكون وصفا لحوال العشاق ••

بعد هذه الجولة في أمهات الكتب الأدبية التي بحثت في موضوع الحب وماهيته وأحواله ، هل استطعنا التوصل الى تعريف مضبوط للحب يصح أن يكون قياسا فيما بعد ؟ •• وهل استطعنا أن نضع النقاط على الحروف المكونة للتعريف ؟ •• ثم بالتالي هل نستطيع أن نضع الحب في قالب جامد من التعريفات ؟ ••

ربما يكون الجميع قد أعطونا فكرة عامة ، بل وصفا شاملا لهذه العاطفة التي حيرت الفلاسفة والادباء ، وربما يكونوا قد لا مساو — بتعريفاتهم — طرفا من الحقيقة أو الحقيقة كلها بحسب ما يزعمون •• وربما لن نستطيع الوصول الى حقيقة كاملة لتعريف هذه العاطفة وتحديد ماهيتها، ولو أوردنا ما قاله أهل الرأي في هذا المجال ، وأعملنا فيه البحث والتمحيص • خاصة اذا ما آتينا بأن الحب يلتصق بالنفس أكثر مما يلتصق بالجسد • وعالم النفس عالم واسع رحب غير محدود من الصعب تحديده بحدوده، أو سكبه في قالب مادي قابل لوضع النظريات وتطبيقاتها • واذا ملأنا مع الشعراء — الذين هم أكثر من تحدث عن هذه العاطفة حديث مسانسة وتجربة — اذا ما آتينا معهم " بأن الهوى يهوى من سما"

القلوب

بلا شروط

ويقلت من فضائه

بلا مساومة

ويتسلل الى النفس

بدون قيود (٢)

(١) مصارع العشاق / ٣٢٢

(٢) لأنك حببتي / مجموعة شعرية لأسعد علي / ٥٦ - ٥٧



إذا ما أمنا بذلك ، وقفنا عند هذا الحد من الدراسة النظرية لما هيبة الحب ، لعمود نجد تطبيقاتها الحطية أكثر وضوحاً في تجربة الشعراء السود ، ولا سيما أن غزل هؤلاء كان له طابعه الخاص ، وكان من لبنة مفصلة " كان هؤلاء يختلفون عن أخوانهم من شعراء الغزل الآخرين بالضمون أكثر من الشكل . وهذا الاختلاف هو الذي دفعهم إلى تكوين نظرة إلى الحب والعشق مغايرة في أكثر ملامحها للنظرة التقليدية . . . وهذا ما سيتضح في الفصل الخاص بالغزل . . .

ولا بد لنا قبل الخوض في ذلك ، من القاء نظرة سريعة إلى مسيرة الشعر الغزلي ومكانة المرأة في العصرين الجاهلي والاسلامي ، ولا سيما أن شعراء السود منهم من عاش في الجاهلية . . . ومنهم من كان مخضرباً ، ومنهم من عاش الاسلام بحضريته الاموى والعباسي .

### مسيرة الغزل ومكانة المرأة من خلاله :

مسيرة الحب مع المرأة منذ الجاهلية وحتى الآن ، يذكرنا بدورها الكبير ذي الاثر العظيم في الشعر العربي ، منذ أن تفتحت فتاة تهفو إليها القلوب ، وشابة تلهم العقول الفكر الخلاق الصدى ، وحببية توحى وتحرك وتثير . إلى ان أينعت أطم تنشيء أجيال الحاضر والمستقبل ، وتعيد أبطال الغد المشرق في أكثر من مجال . . . لقد ربت اليها الميرون ، وتطلعت ومالت اليها القلوب ، تريد أن ينشوا حديث الوجد والهيام ، حديث الحب والخرام . فصار هذا الحديث فناً من أعرق فنون الشعرية وأحبها إلى القلب وصارت له مكانة سواء من حيث الكم والكيف في الشعر العربي ، ومن حيث تصوير خبايا النفس وكنولاتها ، فكان انعكاساً لذاتية الشاعر العربي رسم عليها كل تضاريس قلبه و حد فوقها مواقع حبه . . .

لقد أحب العربي منذ عصوره الاولى المرأة ، وتغزل بها ، فكان غزله هذا تعبيراً عن ذلك الحب ، وتجسيدا لذلك الاعجاب بجعلها الخلقى والخلقى ، ووسيلة للوصول إلى قلبها مهما كلفه هذا الوصول من مشقة حتى أنه في كثير من الاحيان اتخذ من المقدمات الغزلية في قصائده وسيلة للعبور إلى اقلبين اخرى في القول . . . فاذا ما اراد الفخر او الدخ او الوصف او حتى الرثاء نراه ينتقل إلى ذلك عبر مقدمة يفرغ فيها شحناته العاطفية كلها ، من تذكرا الاحباب الذين رحلوا وتركوا الحسرات والآهات الدائمة . . . ومن وصف لذيوار الاحباب التي كانت بألامس أهولة فرحة سعيدة بمن فيها . . . ثم وصف للحببية وصفا يأتي على كل عضو فيها من الرأس حتى القدمين ،

وفق مقاييس كانت هي القياس الا مثل والشرط الأكمل للجمال • هذا الجمال الذي أدركوه من خلال طبيعة بلادهم بصحرائها المترامية ، وشمسها المشرقة الساطعة وسدائنها الصافية المتألثة ، ونخيلها الساق ، وحيواناتها المتعددة الاليف منها والمتوحش ، فوضفوا ذلك كله وصفا دقيقا متكافلا ، ثم انتقل ادراكهم الجمالي الحسي المرأة فجدوا ذاك الجمال وصاغوه في قالب استعمال بفعل السحر لديهم امرأة مشرقة الوجه ناستعاروا اشراقة شمس الصحراء لصباحة وجهها •• وسواد الليل لسواد شعرها ، ووذوية الخدران لحلاوة ريقها ، وطول النخلة لقامتها الفارعة ، وحمرة الباسح لخدتها الاسيل الأملس ، ورشاقة الخزلان لعشيتها وحركتها •• ودمج عيون المهيبات لبريق وجمال عينيها ، نقلوا جمال الطبيعة الصامتة فأحالوه من خلالها كلاما وانخاط ، ونشيدا غذا يتشلى به الندامى ، وربط عكسوا الآية فاستعاروا بعضا ممن مواطن الجمال لديها للطبيعة الصامتة • فقدت الطبيعة جميلة جمال المرأة ، بسبل مستمدة كل جمالها وجاذبيتها من سحرها وفتنتها والواقع أن الوصف الحسي للمرأة كان الطابع المميز للخزل في العصر الجاهلي ، ونظرة فاحصة للملقات والمشر الجاهلي عموما تذهب الى تأكيد هذا • تذهب الى ان الشاعر العربي حين أحب ، غلب عليه هذا الحب وشغل قلبه ولسانه •• فجاءت أشعاره تجسيدا لذلك ، ووصفا دقيقا لحاله وحال الحبيبة معه ، متطرقا من خلال هذا الوصف الى وصف اكثر دقة لأعضائها فرأى مقومات جمال المرأة آنذاك متمثلة في الوضاحة والصباحة والهيبة والرشاقة وأحب أن تكون الرشيقة الهيفاء ضامرة الخصر ، متملقة الردفين ، بارزة النهدين •• " فالذوق العربي في دقة الخصور وهرور الاردا ف ذوق محمود يزيه حب التمسيق كما يزيه تكون وظائف الاعضاء " • (١) والمرأة عند امرئ القيس هي القياس لها أرادته العرب الاوائل ممن اوصاف للمرأة المثال •• وهي — في الوقت نفسه — الاوصاف التي تعاور عليها الشعراء من بعده مع تغيير طفيف في التفصيل واتفاق في الشكل العام • وفتاة امرئ القيس غراء فرعاء مهفهفة بيضاء ، مصقولة الصدر كالمرأة ، اسيلة الخسد ، عيناها كعيني بقر وحشي ، وجيدها كجيد الطبي الاغروقد زبنته بالحلى ، فبدا اجمل منظرا واشهى مقبلا •• أما شعرها فهو كثيف كعذق النخلة المتشعب وفاحم كليل مدلهم •• وأما لونها فأبيض ناصع مائل الى الصفرة ، ومشرق اشراقة تضيء ظلام الليل ، بنانها لطيف دقيق ، وساقها بيضاء لدمة مستديرة ، وهي الى جانب ذلك كله مترفة متعجة ينم عن ذلك تأخرها في الدوم •

هذه هي مقاييس الجبال الجسدي عند امرى القيس، وهي مقاييس عامة تعارف عليها الشعراء العرب قديما بشكل عام . . . مع اضافات بسيطة، ولمسات فردية تميز بها شاعر عن آخر، وتتفاوت جرأة وعفة بين شاعر وآخر، الا أنها تقترب في النمط العام من المقياس الاصلي . . . لكننا لا نعدم من بين تلك الاصوات المتفنية بأوصاف المرأة الجسدية،، اصواتا خافتة نغمت بجبال الدرة الخلقى، وانجذبت الى جمالها النفسي، لكنها مع ذلك لم تستطع سير فور هذه النفس، والتصرف على حقيقتها فبقيت طافية على السطح . . . ومع ذلك تبقى محاولة . . . كما لا نعدم في هذا المجال من كانت المرأة عنده وسيلة للوصول الى غاية أفضل وليست غاية تقصد لذاتها . . . وسيلة لتحقيق الطموح، وطموحا تمثل في نيل الغاية . . . وعنتره في هذا المجال الفارس المجلسي الذي رأى في لعمان واشراقة ابتسامة عملة لعمان السيوف القاطمة .

وجاء الاسلام . . . وعمت تعاليمه البلاد، فتغيرت بمجيئه مفاهيم وقيم، وشيدت فوق دعائمه حضارة رائجة عمدت المشرق والمغرب . . . وقام على انقاض المجتمع الجاهلي مجتمع اسلامي شرع دستوره كتاب سماوى ضم بين دفتيه احكاما وتشريعات رسمت بموجبهها صورة للمجتمع الافضل الذى تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية، فلا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى . . . وازدهرت الحياة وهي تحبو جلبا الى جنب مع تشريعات الدين الجديد . . . فكيف الحال مع الحب في ظل الدين الجديد، وكيف كان موقف الاسلام من هذه العاطفة؟ . . . وكيف تابع الشعراء مسيرة الخزل وفق احكامه؟ . . . وبالتالى فممن تتساءل هل خفت حده هذه العاطفة؟ هل خمدت جذورها؟ أم تابعت نبوها بأمان وأبدعت ثمارها باطمئنان؟ . . .

لا شك في ان الفتح الجديد وسح من أفق الحياة الجاهلية التي كانت مرتبطة أشد الارتباط بطبيعة الصحراء البكر، ومن طبيعة المجتمع الجاهلي المحزول وراء حدود القبيلة . . . وحمل معه تعاليم هي بحجمها غريبة على هذا المجتمع، ولم يكن دخولها هذا العالم المطلق سهلا . . . كما لم يكن انتشار مبادئه في العقول المحدودة التفكير سريعا وعميقا . . . حتى اننا لا نعدم في صدر الاسلام من وقف من الشعراء متذبذبا بين الحالين، عالم الجاهلية الذى بدأ بالاندثار تحت وطأة ضربات الدين الجديد . . . وعالم الاسلام الذى بزفت شمسه فمست كل شيء . . . وبدأت التلغزل شيئا فشيئا في اعماق الاعناق . . . وهذا ما حدث بالنسبة لفن الخزل اذ انه تضاربت اسباب عديدة للاكتفاء بالصورة التقليدية والاوصاف المكررة التي خطتها شعراء العصر الجاهلي والذي كان مفهوم من عمر مع العابرين الى عالم الاسلام وحاول الاندماج مع تعاليمه وتقاليد . . . ولذلك

" بقيت نظرة الشعر في صدر الاسلام الى المرأة هي النظرة العسية نفسها التي تحفل بالمفاتيح وتصفها بملح الحسين " (١)

ولما استقر الدين الجديد ، وتوطدت دعائمه ، وتغلظت تعاليمه الى اعماق اعماق القلوب ، واستقرت بالتالي حركة الفتوح فاتخذت الحياة الاجتطعية آتذاك وجهمة جديدة في كل شي ، في العقيدة ، في النظرة الى الحياة ، وبالتالى الى المرأة ، في طريقة التفكير ، حتى تعدى هذا الجديد الحياة الى الشعر بشكل عام ، والى النزل بشكل خاص .

لقد احترم الاسلام الحرية الفردية شرط الا تكون عائقا لاطم حرية الجماعة وبالتالى احترم عاطفة الحب ، وعمل على تصحيحها والسحبها من عالم الرذيلة الى عالم الفضيلة ، ومن عالم الشهوات والرغبات غير المحدودة الى عالم العفة والجملة السوعدة . صعد الميول والاهواء والرضيات وأطلقها في عالم الحب الرحب الذى لم يقتصر كما كان في بدايته على العاطفة المتبادلة بين الرجل والمرأة ، بل عد صورها ، وعمق مفهومها ، فأمد الشعراء بأفكار جديدة جالوا فيها ، وأمدهم بحواطف جديدة فكتبوا عنها ، وعرفهم بذواتهم فكفوا يتعمقون هذه الذات وينتأهلوبها يجولون فيها جولات داخلية ، فأغلو أشعارهم مما في ذواتهم من عوالم خلاقة مبدعة .

وجاء العصر الاموى ، وما يزال حظ الشعر النزلي في اتساع بعد أن استقرت الامور في البلاد ، وانتقلت السلطة من الحجاز الى الشام ، وبدأ المسؤولون فيهمسا يدبرون دفة الحكم بعد أن " عمل معاوية بدهائه على جمع القرشيين من اطراف البلاد العربية ودفعهم الى الحجاز لعلهم يجتمعون فيه فلا يخرجون على ان يؤمن رزقهم ومناعمهم من بيت المال ، وبذلك حبست الطبقة الارستقراطية من الحجازيين داخل الحجاز وأصبحت تعيش في رخاء ويسر لا هم لها من الحكم وانما يستطيع

أن تتصرف الى نفسها وشؤونها الداخلية وأن تعقد مجالس الطرب \* " (١) وهذا ما أعطى العصر دفعة قوية جديدة كانت آثارها وجود عدة مدارس غزلية \* تجلت في ثرائها الشعري الضخم أبرز مظاهر الشعرى الغزلي على امتداده هذا الجاهلية، كما تجلت في الشعر الغزلي أبرز مظاهر العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل والمسالك التي مرت بها ، والأسس التي بنيت عليهما \*

### مظاهر الحب في الشعر الغزلي :

هذه العلاقة بين الرجل والمرأة من خلال مسيرتها الطويلة برزت بشكل واضح في المدارس الغزلية التي اختطت كل واحدة لنفسها طريقا تسلكه وتعبّر من خلاله الى المرأة والى ارتباطها مع الرجل \* \* وتلتزم بمبادئه \* \* حتى أنها تستطيع أن تتهين الخطوط الصريضة لكل مدرسة، ومن ثم خصائصها التنسيقية امتدت خلال مسيرة الشعر الغزلي فكان أبرزها :

١ - مدرسة الغزل العذري : نسبة الى بني عذرة الذين يلتسبون بدورهم الى " عذرة بن سعد هزيم بن زيد بن ليث بن اسلم بن لحاف بن قضاة (٢) وقد اشتهروا بحفافهم في العشق \* وشوّه هذا النوع من الغزل ط هو الا نتيجة التفاعل المؤثر والمتأثر والحميق بين عاطفة الحب وتعاليم الاسلام \* فمن تلوّمهما نشأ هذا النوع من الغزل، واشتهر زعموه في البلاد بحبهم لسواحدة من بنات حواء ، قصروا حبهم وعواطفهم عليها ، وكابدوا آلام هذا الحب بصبر ، فلم يحفلوا برغبات الجسد أو شهواته بل سمت عواطفهم فوق كل ذلك لتصور ذلك الحب الروحي \* وقد أطلق على هذه المدرسة اسم " المدرسة البدوية " أيضا نظرا لأن شعرائها من أهل البادية، ورأوا أنها تعتمد في الغالب على الوفاء والياس والأسى

الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية لمجموعة من الأدباء / ٣٧٧

(٢) الغزل في العصر الجاهلي / ١٤٦

(٣) حديث الأرحاء / ١٥٠٢ - ١٨

(٢) مدرسة الفزل الحسني أو "الادب المكشوف" (١) : ورواد هذه المدرسة لم يروا في الحب قيادا يقصرهم على حب امرأة واحدة بل تعقلوا كالفراشة من زهرة الى اخرى، فكانوا بذلك على النقيض من زملائهم شعراء المدرسة السابقة . لقد رحل رواد هذه المدرسة أيما حط الجمال رحاله ، فتركوا لشواتهم العنان ، وأطلقوا عواطفهم دون تحرج أو خجل . . . وقد عرف بعض الباحثين هذا النوع من الخزل فقالوا : هو " الخزل الحسني الطادي الذي أساسه حب ممتزج به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التحرج ، وأوصاف ربط لا يرض عنها الا أنصار الأدب المكشوف" (٢) وزعم هذه المدرسة نذاك عمر بن أبي ربيعة، الذي أتيح له ، بمسا لديه من مال وجاه وثروة ، وأسباب اللهو والغزل ، التفرغ لهذا النوع من الحياة . وشعراء هذه المدرسة هم في الغالب من المترفين من أهل الحضر ، مع استثناء لبعض روادها لا سباب أخرى سيأتسي تفصيلها .

٣- المدرسة التقليدية أو الصناعية : (٣) ورواد هذه المدرستين الشعراء الذين لم يؤثروا حظا من الحب العميق، وان كان لهم حظ وافر من الشعرية، أو معاناة صادقة وانما قلدوا أصحاب المدرستين السابقتين فجامت أشعارهم لوحة فنية خالية من حرارة العاطفة وصدقها وعمقها . . .

وهكذا يتبعاد خطا الشعر الفزلي الجاهلي والاسلامي حينما لتتقارب أحياها أخرى، أو لتتداخل فتسيران جنبها الى جنب . . . فاذا ما أردنا أن نحدد العناوين الرئيسية لهذين الخطين ، اللذين ينضوي تحت لوائهما الشعر العربي الفزلي عموما استطعنا تحديدها كالتالسي :

---

(١) الفزل منذ نشأته : ٢٧  
(٢) الاصول الفنية للأدب عند الحميد حسين / ٢٤  
(٣) الفزل منذ نشأته / ٣٨

١ - الوقوف على الأطلال ، وما يتبعه من مشاهد التحمل والارتحال • وقد بدأ هذا الشعر صادقا نابعا عن معاناة صادقة أيضا • فحين كان الجاهلي يبكي الأطلال ، ويتذكر أحبته الذين كانوا لزمين قريباتهم الديار ، كان يبكي تجربة حب عاشها بحلوها ومرها ، ويتقادم الزمن ، ومجيء الإسلام • • • واستقرار حضارة جديدة بزغتها ، بزوغه ، أصبح هذا الهاب يولج لفتيته فقط دون أن يكون فيه شيء من صدق التجربة ، وأصالة المعاناة ، لذلك نستطيع ان نولج تحت هذا الهاب الغزل التقليدي ، الذي رأيناه قد اكتفى ونضج في العصر الإسلامي • • • وان كان هذا لا يمنع من افراد فصله مستقل فيما يتعلق بتجربة الشعراء السود التي تتضوى تحت هذا اللون • •

٢ - الغزل العذرى • • • وما يتبعه من تصوير دقيق لأعضاء المرأة الجسدية وأحيانا يتعداه الى وصف الجمال النفسي والخلقي للمرأة • • • هو في الأساس يقوم على وصف حال المحب ، وما جرائه هذا الحب من تبعات • •

(الجنسي)

٣ - الغزل المكشوف : وهو تلك الصرخة الشهوانية التي أطلقها بعض الشعراء ضاربين بعرض الحائط الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع وغير مبالين بالقيم الأخلاقية • وشعارهم في ذلك اللذة ورينها الذي يستدعيهم دائما فيلبون الفداء دون قيد أو شرط • •

على أننا نلاحظ أن خيطا ما يربط بين هذا النوع من الغزل وبين ما اصطلح على تسميته بالغزل الكيدي - وخاصة عند الشعراء السود - هذا الغزل الذي عرف الفرض منه بأنه " الكيد والافاظة " وتجريح الخصم والليل من عرضه " (١) وسرى ان هذا النوع من الغزل كان واضحا لدى بعض الشعراء السود الذين وجدوا فيه نوعا من التعويض لذواتهم وشخصياتهم المقهورة ، ونوعا من الانتقام والتحدى والرفض لمجتمعهم ، وربما اختلفوا في هذه النقطة عن غيرهم من رواد هذه المدرسة •

(١) الغزل في العصر الجاهلي / ٢٧٢ •

## الفصل الأول

### الأطلال عند الشعراء السود

الأطلال والطلول جمع مفرده الطلل ، والطلل ما شخص من آثار الديار والرسم ما كان لا صفا بالأرض ، وقيل : طلل كل شي شخصه (١) .

وإذا كانت الأطلال هي بقايا آثار لما أهل بالسكان من قبل ، وكانت بقايا سفح رواكد جثم ، فما الذي دفع الشاعر العربي الى الاهتمام بهما ، والتسودد اليها ، بحيث أعطاها من ذاته ووجهها من كيانه الشي الكثير ؟ ... ثم لماذا يتحدث شالسان عموط عن أثر شخص أو رسم بقي ؟ ... لماذا يتحدث عن مكان خاوا لا أثر لحياة فيه ؟ لم يخاطب حجارة صماء لا تسمع ولا تجيب ولا تتجاوب ؟ ... لا بد أن في هذا الأثر أو ذاك الكثير من خبايا النفس ... فيه الكثير من ذات الشاعر وذكرياته ، وهذا ما أكسب الحديث عنها طابع الحزن والشجون والألم . وهي حديث عن الايام الخالية حين كان شمل الأعبة ملتثما ... مقربا باللقاء وحلاوة المناجاة ، وسعادة الوصل ، ثم يتبدل كل شي حين يلوح في الافق غراب البين مهددا بالفرق والتشتت ... وط هي ليلة أو بعض ليلقة حتى يتبدل كل شي فلا منازل ، ولا أحباب ولا وصل ولا لقاء ، لقد ذهب كل شي ولم يبق سوى شريط من الذكريات التي احتفظ بها الشاعر لنفسه ، ليرى من خلالها - وحين يشتد الشوق عليه - أحبته ، ويستعيد وصله وحلاوة اللقاء معهم ...

والذي يدعونا الى التساؤل ونحن نتحدث عن هذا الحبر من الشعراء الغزلي ... هل عاش شعراونا السود هذه التجربة ... تجربة الحب الذي رحل وترك الذكريات ؟ بل هل لى الشاعر الاسود - على كثرة ما عانى - آلام هذه التجربة ؟

ما لا شك فيه أن الشعراء السود عاشوا هذه التجربة بكل ما تحمل من معان ، وعاشوا تجربة الحب كاملة ، وأكثر ما عاشوه وما عانوه سقم هذه التجربة ، لأنهم حين أحبوا وتوددوا الى محبوباتهم ، وتغزلوا بحبالهن ، كان المجتمع يقيمه السائدة

(١) لسان العرب المحيط ابن منظور ٢

القاموس المحيط للفيروز آبادى ٤



لهم بالمرصاد • فلم يسمح لهم بالتمادي في علاقاتهم التي اختاروها •• بل حاول المجتمع وأدما منذ أن رأت النور ، وكان بالتالي تاريخ هذه العاطفة حافلا بكل ما هو مؤلم ، مما أذى نار الحب وأرث لهيبها ، فكانت نتيجة ذلك حصيلة شعرية رائعة ، ولكنها حصيلة مميزة لها طعمها الخاص ومذاقها الخاص أيضا ، ولا سيما أن دائرة الحب المساحية كانت تضيق بهم شيئا فشيئا حتى تكاد تمحي فلا تشكل شيئا ، ولا تكاد تتجاوز بنات جنسهم من النساء السوداوات • ثم انهم " حين كانوا يمدون أعينهم وقلوبهم خارج دائرة لانتى السوداء يصابون بالاحباط •• بل بالقتل •• " (١) ودراسة هذه الحصيلة الشعرية من غزل الشعراء السود سوف ترشدنا الى جزء من خلفية حياتهم التي عاشوها • كما سترشدنا الى طبيعة تلك الحياة وما عاشوا فيها •• ما أسروا وما أظهروا •• ما كان حلما ومما كان واقعا طموسا •

#### الأطلال عند الشعراء السود :

• كان لعنتربص السبق في الوقوف على الأطلال من بين الشعراء السود • فلم يخل شعره من البكاء عليها طالما أنها اقترنت بذكرى الحبيبة • كما لم يخل من التمازج معها واستنطاقها ثم تحيتها والقاء السلام عليها • وقد تبع عنبرة في هذا الضمار بعضاً من طائفة أمثال عدة بن الطبيب وعلي بن جبلة وخفاف ابن ندبة وزيد بن الجون ونصيب الأصغر والأكبر •• هؤلاء اهتموا بالوقوف على الأطلال اهتموا متمايزا يتراوح بين المرور السريع ، وبين التوقف الهنيء والتجاور •

#### ١ - مخاطبة الدار وتحيتها والدعاء لها :

حين يخاطب الشاعر أعجارا وثوبها منهدها ، وداراً ذات أثر لساكن رحيل ، فانه - بالطبع - لا يقصد مخاطبة من لا يجيب ، والتمازج مع أشباح •• بل انه يرى في هذه الأطلال مثبها طبيعيا لأشواقه المكتومة منذ رحيل الأحبة ، انه يرى فيهما سعادة الماضي بحلاوة وصله وحرارة أشواقه في حلم لذيذ لا يلدث أن يصحو منه مذعورا على واقع الرحيل • فتدمي الحسرة قلبه ، ولا يجد السلوالا في العودة ،

وحيث يستند بن الشوق أكثر فأكثر ، يستعجد بصاحبه ، ويرجو ما أن يتوقفا معه قليلا عند ديار المحبوبة ، وأن يشاركه شعوره ويترفقا بحالته ، ويساعده على تحمل ما صعب تحمله ، وما كان فوق طاقتيه :

خليلي ما أنصفتك إذ وجدتني  
بذي الاثل دارا ثم لا تتفان  
ولو كنتما مطلي اذا لو قفتما  
على الربيع أو وجدى الذى تجدان (٢)

ونصيب الأصغر يستغرب أمر هذه المنازل التي لا ذاتها لصمت المطبق ، لذلك فهو شديد الوجد ، وما يزيد في وجدته سكوتها وصمتها • لكنه لا يلبث أن يصحو من أحزانه على الحقيقة المرة يخاطب حجارة صماء وصخور خرساء ، فلا من مجيب ولا من متعاطف يشد من أزره • وان كان لا يزال يحمل مزيدا من الحب لهذه الديار فيدعو لها بالسقيا وهي لا تزال عنوان ذكرى ، ومرتع الاحباب في زمن كان كل شيء فيه على ما يرام • • الأرض خصيبة من جراء هطول الأمطار المتواصلة • • والحياة رغبة سعيدة تعكس سعادتها على وجوه الأحياء فتهدو أكثر جمالا وفتنة وشبابا وسعادة :

ما للمنازل لا تكاد تجيب  
أنتى يجيبك جندل وجسوب ؟  
جادتك من سهل الثرياد يمة  
ربا ومن نوء السماك ذسوب  
فلقد عهدت بك الحلال بخبطة  
والدمر غضى والجناب خصيب  
اذ للشباب علي من ورق الصبا  
ظل واذ ضمن الشباب رطيب (٢)

ولم يكن نصيب المرؤني بأقل عاطفة من زملائه • • وريح الاحبة عنده - وان بدا مقفرا الآن - فلقد أقفر بعد اعمار • • والواجب يحتم الوفاء له حتى بعد الرحيل ، رحيل من كانوا بالأسماء العين والبصر ، وظلوا لليوم في القلب والوجدان

ألا أيها الريح المقيم بحبيب  
سقتك الشوادي من مراح ومعذب  
بذى هيدب أبا الرهن تحت ودقه  
تتردى وأما كل واد فيزغيب (٣)

تحديد الأماكن :

أولع شعراء الأطلال بتحديد الأماكن التي كانت تشغلها أيام خلت محبوباتهم

(١) المصدر نفسه / ٨٩ - وذو الاثل ، موضع يهودان • وذات الاثل في بلاد تميم

واصل الاثل شجرة تشبه الطرفاء الا انه اعظم منه واجود عودا •

تجدان = من الوجد وهو الشوق والحزن

(٢) الاظاني ٢٢ / ٤١٤ - ٤١٥ - السهل : المطر

(٣) شعر نصيب جمع وتقديم د • داود سلوم / ٦٢

وأهل اليمن • وهم يتحد يد هم هذا ضموا لتلك المنازل خلودا عبر التاريخ ، ويقام رغم  
عوامل الطبيعة ، ورغم مرور مئات السنين عليها فدحن لشجر — وللوهلة الاولى — أنها  
مائلة أمام أعيننا • • وأنها م زالت تضم بيوت ليلي وعذبة ورقية وسعاد :  
مضرة حين يتحدث عن علة ، يتحدث عن الأماكن التي نزلتها مع أهلها فيقول :

وتحل علة بالجواء وأهلنا  
بالحزن فالصمان فالمتكلم

ثم يتساءل متبرما :

كيف المزار وقد تربع أهلها  
بعزيزتين وأهلنا بانفيلم (١)

وتطول الإقامة ، وهو بين قبول بالامر الواقع وبين رفضه • وهو لا يكاد يصدق ولا يريد  
أن يصدق ما فعله اليمن :

طال الثواء على رسوم المنزل  
بين الكيك وبين ذات الحومل

فوقفت في عرساتها متحيرة  
أسل الديار كعمل من لم يذهل (٢)

وعرض عدة بن الطبيب للامانة التي حلت بها سليمي فيقول :

حلت سليمي بطن وجرة فالرجا  
واحتل أهلك بالسفال الى القرى (٣)

وخفاف بن نديه يهجه منظر الرسوم والأللال التي ظهر <sup>تسم</sup> لها واندر القسم الآخري  
والدثور منها والمعلوم قد حدد في أماكن بعينها يسميها فيقول :

بين الشام وهضمية وذى بقر  
كأنها صحف يخطها تالسي (٤)

ومهم من يتحدث عن الديار وأمكنتها ، وحديثه هذا لا يشفي وجده ولا يروى قلبه  
ولا يطفى شوقه ، وهكذا هي الحال مع أبي دلالة اذ يقول :

قف بالديار وأى الدهر لم تقف  
على الملازل بين الظهر والنجف

وما وقوفك في أللال منزلة  
لولا الذى استدرجت من قلبك الكلف

ان كنت اصبحت مشغولا بساكنها  
فلا وربك لا تشفيك من شغف (٥)

(١) الديوان ١٨٧/ والحزن ما غلط من الارض (وهو موضع بعينه) الصمان = جبل تميم  
المتلم = موضع

(٢) الديوان ٢٤٦/ — الثواء : الإقامة — الكيك وذات حومل — موضعان

(٣) شعر عدة بن الطبيب د • يحيى الجبوري / ٩٠ • وجرة : موضع بين مكة والمدينة  
والرجا : موضع • السفال : موضع في ديار بلي سعد بن زيد بن طاة

(٤) شعر خفاف = جمع وتحقيق د • نوري حمودي القيسي — الشام : موضع من اعمال

المدينة — والهضم سقل الجبل — ذوى بقر = واد بين احيلة حمى الريدة

(٥) الاثافي ٢٤٧/١٠ •

وأيضا، ولعم ولعماً بتحديد أماكن بعينها، تجمع كثيراً من ذكريات ظالية، هو نصيب السرواني يقول:

عفا منقل من أهله فقريب  
فسرح اللهوى من أساهر فقريب  
فذو المرح أقوى فالهراق كأنها  
بمخورة لم يخلل بهن غريب (١)  
ويقول في مكان آخر:  
وقد كان من أيامنا بسويقة  
وليلتنا بالجيز ذي الدلج مذهب  
إذا العيش لم يمد طيناً ولم يخل  
بنا بعد حين ورده المتقلب (٢)  
ثم يقف على أطلال سعدى، وقلبه يحترق بالملامح التي لم يرأى الديار بعد أن غلبت  
من أصحابها:

أقفر من آل سعدى الكتيب  
فالسبح من ذات السنن فالعلوب (٣)  
وليس الكتيب فقط، هو الذي أقفر من وجود الأجنة، بل العيال نفسها مع وأسند  
وأماكن أخرى يحدد هما فيقول:

عفا وأسند من أهله فالضواري  
فدفع رأيات مضع فقارب  
ويقول:

عفا سرب المحبل الدميك المشلل  
فخرش الجبيل بعدلنا فالمشلل  
فذو سلم فالصفيح إلا منزل  
به من مخائبها حديث وسحول (٤)  
والأماكن بعينها تمثل عند نصيب، ودان ذكريات، إلا من القريب، السعيد، وكما يقال في  
الحزين، فلا وهي في اقتارها وغلوها تربي الوحشة والكآبة في القلب:  
عفا الجرف، من حله فأجاظه  
فذو الأثل من ودان وحشر ملازله (٥)

(١) شحر نصيب / ٦٧

(٢) شحر نصيب / ٦٥ - سويقة = جبل بين بين وبين المدينة = الجيز : معطف الوادي  
ذو الدلج = وادي بين المدينة وبدر - لم يمر = لم يصبح مرأ \*

(٣) المصدر نفسه / ٦٧ والعلوب = بحر في العتيق عند الماريق من المدينة إلى مكة  
وهي من مياه بلسي عوف \* وأسند = في معنى شربة في بلاد بني كلاب بالبادية -  
والضواري = دفع وغارب = أمكة قريبة منها \*

(٤) المشلل = ثنية مشرفة على قديد قرب وادي غروب وهو قريب من المدينة \*

(٥) المصدر نفسه / ١١٤ = الجرف والأجاول وذو الأثل، وأضع قرب ودان

المعالم الباقية وصورها الثابتة :

كما يهزم الانسان ويشيخ تهزم الاحياء الاخرى، وحتى الاشياء، وتشيخ ..  
 وكما ينتهي الانسان على ما اعطى من عزم وقوة تنتهي الاحياء والاشياء وبأبسط  
 قدرها ، اذ لا خلود الا لهدع الكون ، وكل فيط عداه الى زوال

وكما يخلق الانسان بعد موته ولدا يذكر به ، او عملا شيئا صالحا يخلد  
 بذكره ، كذلك هي المنازل والديار بعد اقفارها وزوالها تترك أثرا يذكر ، وذكرها  
 يخلد بطيب عيش الزمن الطافي ورغدته .. وحلاوة الوصل وحرارته ، تتلوه الشجر  
 وكل له فيه ذكريات لم يستطع زهر الزمن سوما أو اضحاف، أثرها \* فهي أقوى من  
 الموت ، وغرسها أصعب من أن يدع الانواء تعتمر عودها الغصن الطرى \* لذلك  
 فهي أن امتعت عن ظهر الارض طادت جذورها الى التخلخل في التربة ثابته لتعود  
 من جديد الى السطح .. وهكذا هي الديار التي كانت لزمن خلا عامرة وأهلية  
 عصفت بها عواقل الزمن فغيرتها وأققرتها لكنها لم تستطع أن تلتقي \* جذوة الحبيب  
 فيها الى الأبد ، بالشاعر عين يحود اليها يرى فيها بقية من ذكرى حبيب ، وأثرا  
 من بقايا ديار يخلدونها ، ويكي عبه فيها ، ويصف آثارها .. وهذه من حال  
 عطرة بعد أن رحل الاحبة وبقيت آثارهم فيط أقفر من رسم وط عشي من أثر فيقول :

عنى الرسوم وبقاى الا دلالات	ريح ، مشاء ، مشاء ، مشاء
لمبت بها فيها وخلق رسمها	وكيف كل من اجل مطال
كانت بنو عند مشط : ارمها	وتهدلت خيدلاً من الآجال (١)

وهذه الآثار على ما فيها لم تشط في قلبه ، ولم تخفف من وطأة حبه لذلك يعود  
 ليدعو عليها :

الأ قاتل الله الدلول البوالها	وقاتل ذكراك السنين النوالها
وقولك للشئ الذى لا تناله	إذا ما هو احلولى الأ لبت ذالها (٢)
الأ قاتل الله تلك الأطلال المنقرة كم تجلب من ذرن ، وكم هورت من نار الشوق ،	

(١) الديوان / ٣٧٦

(٢) المصدر نفسه / ٢٢٣ - احلولى = معنى العالجة والكثرة ، واحلولى الشئ  
 من حلا يحلو .

وقاتل تذكر ما كتبت فيه من نعمة الوصل واللقاء في الزمن الخالسي . . . فإذا  
مدأروعة قليلا ، أعلانا صورة ندية جميلة لها عفا من الديار . وهي صورة تعاور  
عليهما الجاهليون ، وكل يضيء عليهما من ابداعه لمسات لتعود اليها  
بحلية جديدة ، فيقول واصفا ديار علة :

الأ يدار علة بالداروي كرجع الوشم في رسخ الهندي

كوعى صحائف من عهد كسرى فأهدانا لأعجم طلمسي (١)  
يشبه آثار الدار بعد اتقارها بالوشم الذي كانت تنقشه بعض النساء على أيديهن  
فتبقى آثار سواده ، وهذا ضرب من التجميل كانت المرأة تستعمله من جملة ما كانت  
تستعمل من حلي (٢) . . .

ولعبدة بن الطبيب أيضا صور فنية من هذا القبيل ، وهو يشبه الرسوم  
بخصيرة لسجتها يد ماهرة فرشت على أديم زرين :

وذكر نيهلجست قد نسيتهما ديار عليها وابل متصق

بأكناف شطت كأن رسومها قضييم صناع في اديم متسق (٣)

فاذا ط بلبت المنازل . . . وتناثرت بقاياها هنا وهناك . . . وسامت الريح فما من مجيب !  
وكيف تجيب منازل تلاوتها رياح الشطل والجوب ، حتى نفضتها ، وأصبحت كبتايا صفحة  
كتاب كتبت سطورها منذ زمن بعيد . . . عند ذلك يقف علي بن حيلة حزينا لما حصل  
بالديار ، يائسا من عودة ط حلا وط طالب من لقاء ، بعد أن سكنت الليالي بسكون  
سعيها وموتها ، وبعد أن طوت خيام الساكنين كما يدلون الثوب استعداد للرحيل  
فيقول :

ومن الدار دثور ليس فيهن من محيبر

بليحت طهما المغاسي مثلا تهل السلسور

قسم الدين عليهم من رواج وبكبر

وليال سا جيسات تام عنهن السعيبر

(١) الديوان / ٢٦٨ - الدلوي = البئر ويراد به موضعها بعينه . طلمسي = لا يكاد يوضح

الهدى = المرأة تهدي إلى زوجها

(٢) الخزل في الشعر الجاهلي / ١٢٥

(٣) شعر علة / ٥٢ = الوايل = الدار الخزير = مدفح بالها = فجأة .

الأكناف = اللواحي والجوانب ، شطت = موشح . القضييم = خصير شون .

فطوت أغنية الحسي كط يطوى الحبير (١)

وصورة خفاف التالية شبيهة في اجزاء منها صورة علي السابقة حين يقول :

ط هاك اليوم من رَسوا دلال  
منها مهن ومها دار من هال

بين السام وهضيمه وذي بقر  
كانها صُحْفِيْخَطْها تالسي (٢)

أط نصيب المرواسي فوقنته على أطلال المحبوبة أطول ، وقفة من هول ط رأى فيها  
من تخيير وتهديل طارىء ، لم يستطع تحمل هذا المنظر الحزين بفرده ، بل يستنجد  
بصاحبه يريد أن يشاركه حزنه وألمه ، وسؤال الديار بعد اقارها .. وخين لا  
يلقى جوابا منها ، تحبب عيناها بدموعها الخيرة :

قفا أخوى ان الدار ليست  
كط كانت بعهدي كط تكون

ليالي تحلمان وآل ليلسي  
قتلين الدار فاحتمل القطين

فحوجا فابنار اتبين عما  
سألناها به أم لا يقين

فظلا واقنين وظل دهرسي  
على خدي تجود به الجفون (٣)

لقد هيج منظر الديار المقفرة ط سكن من أشواقه ، وزاد في حزنه ط تبقى معالمها  
التي لا تتعدى بقايا أولاد وأثافي ما زالت ساكنة جاثمة في مكانها ، وإضافة الى  
أحزانه المكبوتة راعه صموت حطمة فقدت أليفها واستمر ألمها وحزنها عليه حتى  
المضت .. وط حالة هذه الحطام اللطاعة بأشد أسى ولوعة من حالة نصيب اذ يقول :

أهاج هوك المنزل المتقادم  
نعم وبه ط شجاك معالم

مضارب أولاد وأشعت دائر  
مقيم وسفح في المحل جوائيم

لقد راعني للبين بوج حطمة  
على غصن جاوبتها عمائم

هوانفأ ما من بكين فعوده  
قديم وأط شجوهن فدائم (٤)

(١) ديوان علي بن جهلة / ٤١ - الدمن : بقايا الدار . دثور = بالية . مخبر = مجيب

المخاني = المنازل . الحبير = الثوب

(٢) شعر خفاف . المهن = البلاهر . الدارس العاني

(٣) شعر نصيب / ١٣٥ القطين = سكان الدار وأهلها

(٤) المصدر نفسه / ١٢٨ = أشعت دائر = أي الوند . سفح = سود ويقصد بهما

الإثافي = جوائيم = الجاثم - الساكن في مكانه

وسحيم \* \* على قلة ما روى من شعره الدللي ، فقد استلقت انتباهه  
أقنار ديار سلسي بعد أن كانت غامرة ، وقبل أن تتعاونها رياح شديدة الهبوب  
وأملار غزيرة الهدلول :

عفت من سلسي ذات فُرققناؤدُها      وأقنر منها بعد سلسي جدُّها  
أزبت عليه كل هوجاء مُعصِن      وأسحم دَان نزهه يستعيدها (١)

### تحول الديار الى مسرح للحيوان :

تتاول الشعراء وصف أقنار الديار من الأدبيين ، وعاول، الحيوانات محلهم \*  
وإذا ما أقنر مكان من أهله سكنه الحيوان وأوى اليه \* وهذه صورة ليست  
غريبة على العربي في صحرائه الشمالية الاطراف، حيث تضم أنواعا لا حصر لها  
من الحيوانات كالظباء والنعام والنعاج \*

وصورة الظباء والنعام استلقت انتباه عنترة ، فإذا بوصفه الدقيق يأتي  
على كل جزء في الصورة ويضفي عليه من الابداع والروعة الشيء الكثير \* \* فديار  
عجلة درست وعفي أثرها ، ورجل سكاكها ، وما لبثت الظباء أن أقامت فيها \* \*

فان هي ذهبت تركت في عرصات الديار ابعارها الشبيهة بحب الفلفل، واذ بالنعام  
وهي تدور حول تلك الديار الدارسة أشبه بدوران النصارى، وهم يطوفون حول الهيكل

يا دار عجلة من مشارق بأسل      درس الشؤون وعهدا لم ينحل  
فاستبدلت عفر الظباء كأنما      أبعارها في الصيف حب الفلفل (٢)  
تمشي النعام به خلاه حوله      مشي النصارى حول به الهيكل

واما ديار قبيلة التي يتحدث عنها خفاف ، فقد فعلت فيها الرياح فعلها، فأقنرت  
من كل شيء عدا نعاج الضأن والبقر الوحشي مع اولادها ما صغر منها ، وما اشتد  
ساعده ، تمشي بيها وتدور معها الى مشى وكيف دارت :

دار لقبيلة اذ قلبي بها كلف      أقوت منازلها من بعد أحوال  
تمشي النعاج بها والدين مطلقه      الى رواشح قد غفت وأطفال  
ظالمت فيها كئيبا غير مضطجع      همي وأسبل دمهي أي اسبال (٣)

(١) ديوان سحيم / ٤٩

(٢) ديوان عنترة ٣٢٨

(٣) شعر خفاف / ٩٢ — وقيلة : اسم امرأة — المطلقه = التي مع اولاد — الراشح = ولد

العناية اذا قوى \*



الفراق والهجر :

الحديث عن الادلال يستتبعه حديث عن الهجر والفراق • ففي الفراق بعد ••  
 وفي البعد لوعة •• وفي اللوعة ألم •• وفي الألم عذاب •• والعذاب مستهجن  
 كيفما كان نوعه •• فكيف اذا كان مادرا عن فراق حبيب لحبيبه •• وغل لخليله ••  
 والذلاليفه •• لهذا وجد فيه ابن داود بشاعة فقال : أما الفراق فمستغن ببشاعة  
 اسمه عن الاغراق في وصفه • " (١) والسبب نفسه أكد أنه " ما خلق الفراق الا لتعذيب  
 العشايق • "

وشعراؤنا السود كانوا من الخزليين الذين اكتوت قلوبهم بنار الفراق، فرقت  
 احساسهم حتى الرغبة في البكاء ، وربط وجدوا في الدموع بعض التنفيس عما في داخلهم،  
 فكانت ذوبا من قلوبهم ، ومن لوعتهم، وكانت مزيجا من يؤسهم الذي لا قسوه  
 ويأسهم الذي ذاقوه في هذا الحب • وفي دعاة نصيب المرواني على الفراق نفسيات  
 من حرقة قلبه حيث قال :

جزى الله ايام الفراق ملامة الأكل ايام الفراق طيبم

سقى الله اياما تلاقين ما مني برىء وكانت قبل ذلك تحوم (٢)

وهو بقدر ما يدعو على الفراق الذي شنت الشمل ، يدعو للايام الخوالي أيام القرب  
 والوصل •

واذا ما اطلال احد البعد بين الاسبه • ولم تلح في الجو بارقة أمل في اعادة  
 الماضي السعيد ، وفي عودة الالف الى اليقه • هيبت الذكرى الشوق والحنين فسي  
 قلب أحمد ابن ابي فن ، فكدف على ذاته ، ووجد في ادراك الدموع خير مفرج للكرب  
 الذي امسى فيه • وهو مع ذلك يخاف أن يفتضح أمره ويتهم بالضد وقلة الصبر، لذلك  
 يريد أن يقتنع بل يوهم من يراه بأن هذه دموع تتأوب ونعاس وليست دموع ألم الفراق :

ولم أبت عيناى أن تطلق البكاء وأن تحساح الدموع السواكب

تظلمت كي لا يفكر الدمع منكرا ولكن قليلا ما بقاء التناوب (٣)

(١) الزهرة = لابن داود الاصفهاني • الباب السادس والعشرون

(٢) شعر نصيب / ١٢٥ — تلاقين = تداركن — تحوم = تدور في الجو

(٣) زهر الآداب وثمر الآباب ٢ / ١٠١٧ — ١٠١٨

وقد رأى كثير من الشعراء في الخراب نذير شوم، ودليل تفرق وبعد، وفي اسمه أيضا دليل على ذلك . . فكانت رؤيته تجلب الهم والحزن كما سيحل، ولما سيقع من تشتت الشمل . وعنترة، على ما عرفنا فيه من البطولة والشجاعة عيأته فارس مقدار من فرسان الحمارك، فهو خائف متشائم حين يكون ضمن ساحة الحرب، حين يتصل الأمر بحلبة . فإذا ما أئذره الغراب بالهين تطير<sup>١</sup> واستطاع تطالك نفسه لأنه على يقين من نراق الاحبة وهو عند ذلك يعطينا صورة فنية في الكثير من الجمل والابداع لتصوير حاله :

ظعن الذين نراقهم اتوقع	و جرى بينهم الغراب الأبقع
حرق الجلاح كأن لتبي رأسه	جلطن بالأخبار هشر مولع
فزجرته ألا يفرخ عشمه	أبدا ويصنع واحدا يتفجع
ان الذين نهبت لي بفراقهم	قد أسهروا ليلى التمام فأوجهوا (١)

لقد ارتحل الذين توقفت فراقهم . بعد ما سمعت من تحيق الخراب ذي اللونين الأبيض والأسود والذي قضى بحقيقته على كل أمل باللقاء . . . وجعل الصورة هنا يكمن في وصف الخراب الأبقع الذي تثار ريشه وتساقد<sup>٢</sup> وهذا أيضا دليل شوم، والذي فتح منقار<sup>٣</sup>ه وكأنه مطع<sup>٤</sup> يبخي قطع حبل الوصل . . . والخراب في كل هيش ومسرور بل ومولع بما سيحل من نراق وهذا ما لا يتحمله بل ما به قدرة على تحمله، فما كان منه إلا أن زجره بالأ يفرخ عشمه . . .

ونصيب المرواني يؤكد ندارة عنترة إلى غراب الهين، وط أن يراه ما تلا على غصن حتى يزجره مؤثبا الغصن الذي حطه، ومتوقعا في الوقت نفسه نرقة قريبة تجر وراءها ألا ما عناية فيقول :

أراع قلبي من سلاية أن غدا	غراب على غصن من الهاب يتعجب
لنازجر ذلك الهان بينا وما شكا	وغرقة دار ما تداني نصيب (٢)

وهو دائم الخوف من غربة الألى التي فرقت بينه وبين أم بكر، خائف من البعد، خائف من المستقبل، وخائف أن تنساه أم بكر بعد أن يباعد بينهما الزمان، وتتباعسد

(١) الديوان ٢٦٢ - ٢٦٣

(٢) هجر نصيب / ٦٥ = والدواشك = القريب . ١. يحقب = يقرب

(٣) المصدر نفسه / ٨٢

بهذا الامتعة ، فيحزن له الصديق ويشمت به العدو •• ترى •• هل تقوى أم بكسر  
على فعل هذا ؟ ••

ألا ليت شعري ما الذي يتعدى بي	تذا غربة العائى الفراق والهدى
لدى أم بكر حين تقترب بالنوى	بما ثم يخطوا الكشحون بها بعدى
انصرمى عند الألى هم لنا العدا	فتشتمهم بي أم تدوم على الصهد (١)

والصورة الأكثر جلالاً وابداعاً في تصوير ألم الفراق تنسب للنصيب الروابي حين يقول :

كأن القلب ليلة قيل يُغدى	بليلى العاصية أو يُجراح
قطاة غرماً شرك بها تسد	تجاذبه وقد علق الجراح
لها فرخان قد تركا بوكسر	فمشهما تصفته الرياح
إذا سمعا هبوب الريح تما	وقد أودى به القدر المراح
فلا في الليل نالت حـا ترحى	ولا في الصبح كان لها براح (٢)

لقد شعر نصيب بدو ساعة الفراق، لحظة وداع المصيبة فأخذ قلبه بالافتقان بخسوف  
وشدة فعله فعل قطاه حبست في شرك وقضت ليلتها تحاول الخلاص منه، ولكن كيف  
السييل إلى الخلاص وقد طق جناحها بالشرك ؟ •• وكانت هذه القطاة قد تركت  
فرخين لها في عشهما كلفها سمها هبوب رياح نفاه صوت جناح أمهط ودليل قد ومهما  
ولكن ألهط ذهب أذراع رياح ، نالا القطاة استلذت العجاة •• ولا هي عادت إلى  
فرخها بعد أن بدأت محاولتها للخلاص بالانشل ••• في هذه الصورة يفرغ نصيب  
الشحنة العاطفية كلها ولا سيما في تصوير ذلك الصراع الداخلي  
الذي كان يدور في داخله دون أن يستطيع انبهاره، والذي هو أشبه بصراع القطاة  
مع الشرك ، والخاسر في هذه الجولة هي القطاة التي يمثلها في الصورة القطة قلب  
الشاعر الجريح ••

وإذا كان الفراق دليل حزن وألم فالأمل دليل فرح وسعادة وهناء ، وهو أنسر  
ببقي من ذخيرة بين يدي السحب ، فكيف هي الحال مع الهجر الذي وصفه بعضهم

(١) شعر نصيب / ٨٢

(٢) شعر نصيب / ٧٤ — وقد نسبت هذه الأبيات في بعض المؤلفات لتوبة عبد الحميد ••  
وقفاورها — اداكتور داود سلام في شعر نصيب ••

بأنه "التجنب والاحتجاب مع قرب الديار، وهو أشد من الذي" (١) ويسهب صاحب الزهرة في وصف الهجر وتبيان مساوئه محاولاً تقسيمه إلى أربعة أضرب فيقول عن هذه الأقسام: "هجر للال، وهجر دلال، وهجر مكافأة على الذنوب، وهجر يوجه الغنى المتكمن في القلوب" (٢) إذ اكرأ في هذا المضطر قصة نصيب مع صاحبة له لم تكن مخلصه في حبها له... وهذا ما اكتشفه نصيب عدو مر بها يوماً فوجد عندها فتى يحدثها ولم تطلب منه الدخول انشأ يقول:

أراك طموح العين مذاقاً لهوى      لكل خليلٍ منك وصلٌ مطرفٌ  
متى تجعنين مدفين لا أك مطهط      فهبي بفردٍ لست ممن يسردف (٣)

ثم ترك الباب وانصرف.

ولست الآن بصدد تبیان انواع الهجر، وإنما الخافية هي اظهار شعور الشعراء حوله والآلام التي عانوها من جراء وقوعه... هذه الآلام التي كانت سبباً في ابداع ما وصل اليها من اشعار جميلة يدور فلكها في هذا المضمار... وهي الى جانب جمال الشكل والضمون تسهم الى حد كبير في التعرف على ذواتهم، فأظهرت البؤس الذي وجدوه في حياتهم... ولا سيما في عواطفهم، حتى كانت صفة اليأس هي الصفة أو السمة الأكثر بروزاً في عوالمهم الشعرية الغزلية بل تستطيع الذهاب الى تلقيبهم بزعماء الحب اليأس اليأس... هكذا أراد لهم مجتمعهم، بل ما أرادته لهم الواهب وطبقتهم الاجتماعية، فالقدر اختار لهم - رغبتهم - هذا السبيل، وأطلق بسبب الألم ألامهم في محاولة فهم لاجداث اي تغيير.

والعودة الى الحديث عن الهجر، عودة الى الحديث عن الالم، والفراق والحزن ودية محبوبة نصيب الا صغر تشهر يسرور في تعذيبه بالهجر فتذيقه من نار الهجر، وتحربه من حلاوة الوصل، وهو ما يزال يسترضيها ويتقرب اليها:

طرقك ميةً والعزار شطيمب      وتثبيك الهجران وهي قريب  
لله دية خلة لو الهسا      تجزي الوداد بودنا وتثيب

(١) الزهرة ١/ ١٤٩

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٤٩

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٥٠

أما نصيب بن رباح فيحاول التجمل بالصبر بعد أن يمتحن نفسه ، ويمتحن قدرته على تحمل هجر الاحبة :

وأي لا ستحيي كثيرا وأنتني  
 وأبذ بالهجران نفسي أروضها  
 عيوننا وأستبقي العودة بالهجر  
 لتعلم عند الهجر هل لي من صبر  
 ترى .. هل يعرف المحبوب لغة الصبر ؟ .. وهل تحرف قواميسهم معنى ومضوننا  
 لهذه الكلمة ؟ .. ؟ ..

الكل يتحدث عن النأي والهد ، عن الفراق والألم ، عن الهجر والحرقان ، والكل يتناوبون وصف أحزاليهم وهم في هذه الحال . فأى صبر هذا الذي يتكلم عنه الناس ؟ . هذا أحمد أبن أبي قنن يرى الموت الأكد في الهجر والفراق ومقابل ذلك فهو من أشد الوطنين بأن في القرب والوصل حياة .. ومن أجل الحياة وعلاوتها يريد أن تصبغ حبيبته إلى سابق عهدا في الوصل ، فهذا دليل رضاها .. وهو لا يخفي غير هذا الرضى . والا فالهجر والموت أمران اخلاص مر .. بل يرى الموت المحقق والسبب الزطاف في موت الهجر :

صحيحُ الودِّ لو يمسي عليلا  
 أراك تسوده الهجران حتى  
 لنتعب أو ترى نكم رسولا  
 إذا ما اعتل كنت له وصولا  
 يكون على رضاك له دليلا  
 وموت الهجر شرهما سبيلا (١)

وأذا كان الغراب وصيغته طالع شوم على المحبين ، ومندرا أيامهم بوقوع الغرقة .. فالخطام رفيق حزن دائم لهم ، وأليف شجوه في شجوه تنفس لا لهم ، وفي هدياه خفق لا فقدتهم .

وعلى قلة ما نقل الشعر الجاهلي من صور للخطام في رفقته الدائمة لاهل العشق والهيام ، فان صورة القطاة . ذاك الطائر التواجد بكثرة في البيئة الصربية . لا تكاد تخلو من صورهم الغزلية الفنية .. وان كنا نأخذ بعين الاعتبار الصورة الحزينة المنتشرة حين يأنس به الحزن والتأثر حد البكاء وهو يستمع نوح الخطام ، ومخيلاته تستعيد ذكريات حبه الحزين خصوصا وان ارتعاشه وثيقا يصل ط بين حالته وحالة العظمة التي تلوح على فقد أليفها :

أفمن بكاء حطاة في أيكسة      ذرذت دموعك فوق ظهر المحل  
 كالأدر أو خضري الجمان تقطبت      به عتائد سلاته لم قوصل (١)  
 فالدموع مدارة سعية تتساقط من عينيه اثر سماعه النوح الحطاة وهذه الدروع شبه  
 بدر أو جمان انقطع سلكه فتفرقت حباته وتساقطت \*

أما الشاعر الأكثر تصادقا مع الحطام ، والذي لم يجد لصحبته بديلا ، بل هو  
 دائما المذكر الذي يذكره الهوى والشوق \* ذلك هو المصيب النرواني الذي يهتبه  
 البعض انه اول من " ابتكر هذا النوع من الصور وهو الذي ادخل الحطاة الى الأدب  
 بهذا الشكل " (٢) :

وحتوف الضحى ورفاء يذكره الهوى      بكأها هديلا شجوها حين تهتف  
 وهي دائمة توثق ما خبا من نيران قلبه \* فهي بترنمها لا توقظ ما نام من احزان فقط  
 بل وتوقظ ذكريات كل محب مستهام :

وقد هاجني للشوق نوح حطاة      هتوف الضحى هاجت حطام فتردا  
 طروب غدت من حيث باتت فباكرت      بعولتها غملا من الاثل أغيا  
 تخفت عليه ذات شجوة مرساة      بصوت يشوق المستهام المصيدا (٣)  
 حتى لكأنها أشد حزنا منه ، وأشد تذكرا للأيام النرواني من أيام الحب دلالا ابهنا  
 توقظاه بترنمها ، وهذا دليل يقينها الدائمة \* \* فهل تكون هذه الحطام أشد  
 حزنا منه \* \* هذا الذي يزعم أنه ذو صبابة لسعدى ، وأنه دائم الحب والتذكر لها :

لقد هتفتني حين ايل حطاة      على فترن وهذا واني اندم  
 فقلت اعتذارا عند ذلك واني      لنسي فما قدراته للاقم  
 أزعم الي هائم ذو صبابة      لسعدى ولا أبكي وتبكي الحطام  
 كذبت وبين الله لو كنت عاقبا      لنا سبقتني بالبقاء الحطام (٤)

- (١) الديوان ٢٤٧/ المحل = محل السيف ، أو أنه حين سمع نوح الحطاة بكى  
 فسالت دموعه فوق ظهر سعدى بيته \*  
 (٢) هو الدكتور داود سلوم = وبضيفة على قوله اظلاه : بأن دواوين الشعراء الجاهليين  
 تناو من ذكر الحطام أو التشبيه به ، إلا أن قول معتزة اعلاه يؤكد وجود هذه الصور  
 على قلتها في الشعر الجاهلي = شعر مصيب / ٣٦ \*  
 (٣) المصدر نفسه / ٨٥ = بعياحها وبوحها وبكائها = الاخير = الاثقل او الباع  
 مرنة = مرتدة = المصيدا = الذي اسطيد  
 (٤) المصدر نفسه / ١٢٤

مشاهد التحمل والارتحال :

ورحلة المحبين مع الحطم طويلة ، تكفي بهذا القدر منها مع نصيب ، الصديق  
الصدوق للحطم ، والعاشق الصب المستهام ، لينقل الى رحلة اخرى مع النسوة هسولة  
النسوة اللواتي فجرن بحبهن وبخضهن . . . باقبالهن وادبارهن . . . بقرهن وبعدهن  
بوصلهن أو بهجرهن ، فجرن عقيرة الشعراء ، وألهمن خيالهم بالرؤى المتصورة والصور  
المبدعة . ويطأنا لم نخرج بعد من دائرة العزن والاس في الحب واللاوعة والم الفراق  
والحنين والابتن على الراحلات بعيدا ، لا بد . . . واكتالا للصورة . . . من أن نخرج على  
رؤية صورة الطعائن المرتحلة ، والهوادج المحملة ، والراكب التي تهيأت واستعدت  
للسير .

وصورة مشاهد التحمل والارتحال هي الاكثر ثباتا في مخيلة الشاعر الحب ،  
وبالتالي فهي الاكثر حزنا . وهل هناك لحظة اقسى واصعب على قلب الحب من لحظة  
الوداع ، وقساوة الموقف التي تستلزم التجلد والا فالجدة والمساعدة من الرفيق والمديق  
ثم التساؤل والحيرة ثم ان على عيبه غشاوة من هول الموقف ، وهو لهذا الاثر لا يري  
أن يصدق ما الكرب الذي اصبح فيه ، ثم لا تلبث قواه أن تسترد جلدتها شيئا فشيئا  
ولا ترعد ذلك من التسليم بالامر الواقع ، والا يمان . . . صاغرا . . . يرى .  
وسحيم العاشق دائما اول ما يروعه الدمار ، ويدخل الخوف الى قلبه فيلجأ  
الى صاحبه يستجدده :

تخطن من جنبي شروري غواديا	تبتّر خليلي هل ترى من ظمائي
ولا لاحقا تنالني الا سواريا	تأطرن حتى قلت اسن ميوارحا
اذا قلت قد ورعن انزلن حاديا (١)	أخذن على القرارة او عن يمينها

وقد يلجأ في في احبان قليلة الى وصف الراحلة التي تنقل الحبيبة وأهلها ، وهي  
عده عبارة عن جملتين يصورها بدقة فيقول :

بعتين من جرما رشوا حصاهما	اذا ما أبحنا ارسالا لكلليهما
بعتين فالتفتنا ديهان شهاهما	كأن صياح ملحين تطلب
فأحسن فكسوين اذا كسبهما	أخذن بألفي درهم كسوتيهما
من الحسن جانا فاستطير كلاههما (٢)	دوايب حتى قلت لو جرت مركب

(١) ديوان سحيم / ٢٤ - شروري : بن بغي أسد . تأطرن = تلبثن = سواريا = بن السر  
وهو السير في الليل . القرارة = وضح . ورعن = كففتن أو رددن ويقال : ورعت الابل  
عن الماء زدتها . كسوتيهما = كسوتها . ديوان





وهو دائم العليلين رغم ما انصرم من ايام اللقا بيده وبين سلمي ، فهو قسود  
فوجس بفراقهم ولم يكن وقتذاك قد اعدّ المعدة للرحيل ، وقد ابتعدوا عن اراضيه غداة  
يموا وجههم شطر الهامة ثم العراق ، وانظارهم شاخصة الى السحاب والبرق  
يراقبون مسيره ، ووجهة لا مطار التي يعطها :

ولا صرمت من سلس الزطاد  
وفاجاني فراق الحي لهما  
ولم تجد لم يبني الوامسا  
أشط نواهم الا لماما  
ويقول :

وما ان نخل وجر اذا استقلت  
لها سحق ومنها دانيات  
مكمة وط ريت الصرامسا  
جوانح يزدحم بها ازدحاما  
بأحسن من طعائن آل سلى  
غداة تهلن ضاحية سلامسا  
فيمن الهامة محرقسات  
وشدن بروض عالجه الخمامسا (١)

وهو بذلك يعطينا صورة فنية لمشهد رحيل سلس مع اهله ، وهي صورة مستعدة من  
طبيعة الصحراء ، النسوة وقد اعتلين الهوادج بأثوابها الطونة المزركشة بفريط بين هذا  
المشهد ومشهد نخل موضع وجر قد بسقت اشجارها ، وغلى السعف ط ظهر من  
ثمارها الحمراء اللذيذة التي قاربت من الفسح ، والتي منها ما علا فابتعد عن يسود  
القاطف ومنها ما تدلى فدنى منه . . . ومناظر النخل هذا على جماله ، وتكاثر اوائله  
وتناذجها ، بأحلى ولا أكثر جمالا ، واذ بنية من مناظر الذلعاثن وقد اعتلت الهوادج  
بعد ان تنوعت ثيابها واختلفت الوامسا .

ومن البيئة نفسها يستند المكوك صورة مطالة للصورة السابقة يصف فيها  
سهولة حي محبوبته ، متأثرا بفعل الرياح الديور التي شنت ثمار النخيل الهدية  
المناظر ، الشهية المأكول ، وبفعل المدب والقسط اللذين شنت شملا الإحبة بعد التثام  
وفرقهم بعد محبة . . . فبدأ مناظر النخيل السامق السعدل بما اصغر وأحمر ولذ وطلاب من  
الشر مؤلم بما فعلته الرياح من شنت لهذا الشر وذاك ، فقلها هذا . . . لم يقتصر  
على الشر بل امتد الى الحي فشتته كما شنت ثمار النخل فدلوا خيامهم ، واستعدوا

للرحيل بحثا عن مأوى أكثر خصوبة واستقرارا، مخلفين وراءهم ظبايا وبعاث بعد ان كانت  
 الحور العين ملء القلب والبهر :

فطوت أخبية الحسي	كنا يطوى الحبيـر
فاستجروهم ثـدوت	من نوى البين جـرور
وبحبيتك حمول الحسي	والبين الشطيـر
كذرا الغل أشاعت	زموها الريح الديـر
حلقت بالدار حـور	وغدت في الظلم حـور (١)

الطيف  
 =====

بعد أن أتقنت الديار وغنيت آثارها • رحل الـركب بها فيه زمن فيه ، وابتعد  
 الجمع ولم يبق منهم غير الذكرى والحنين • • فكيف تمر الايام بأهل الصباية والهموى ،  
 وما هو السبيل الى سلو الاحبة ؟ وهل من طريق الى النسيان ؟ • • ان المحب اذا  
 مفارق حبيبه ونأى عنه مرغبا ، لا يفتأ بتذكرة كيف تحرك أو سكن ، فذكراه ماثلة امام  
 عينيه ، وصورته لا تغادر مخيلته • • هكذا يقضي المحبون لياليهم بعد ان تشـط  
 بهم غربة النأى ، فيستعويضون خيال المحبوب بسعادة اللقيا ، ويستأنسون بالطيف  
 نائبا على اول اللقاء مرة اخرى ، اذا ما ابتسم لهم الزمان ، واعاد وصل ما انقطع •  
 وأكثر ما يتراعى وصف المحبوب للمحب أثناء الليل • • بعد أن تفرقه الذكريات  
 فيأبى جفناه الاطاش • • ويشند به الشوق ، فيلوح في سماءه طيف الحبيب مؤسسا  
 وسلما ، وط هي الا لحظات حتى يختفي ، فتعود باغتفاله الآم سحيم فيقول :  
 ألم خيال عشاء خطافنا      وام يك اذ طافا الاختطافنا (٢)  
 والصيب ما زال مغمورا بفرحة اللقاء بطيف محبوبته ، وهو في هذه الحال اشد  
 ذهولا وحيرة فهو مستيقظا أم نائم ؟ • • أهو طيف خيال أم لحظات لقاء وجهها  
 لوجه :

أيقظان أم هب الفؤاد لطائف      ألم فحيا الـركب والحين نائمة

ووقت المساء هو أفضل اوقات زيارة طيف المحبوب دائما بعد أن يكون الأرق قد استبد  
 بعيدة بن الطيب ، وعمره لذة النوم ، وتخلل اليأس قلبه ، فطيف هند اذ ذاك هو

(١) ديوان عيسى بن جبرلة / ٤١ - شعر النبطوك = ٥٨ - جمع وتحقيق حسين مطران

استجرتهم = أصابع ، م المذب والشدة = دوت = ذهبت = البرى = النية والرجسمة  
 البرور = أكرم الابل •

(٢) ديوان سحيم / ٤٢ = ألم بالشسي اذا أظاه ولا يلزمه •

المونس من بعد وحشة ، والشرح من بعد طول اكتئاب :

تأوب من عند خيال موقر إذا استياست من ذكرها النفس يطرق (١)

والطيف يقطع مسافات كهيرة — عند اغلب الشعراء — ويتحمل مشاق الرحلة مهما اشتدت

وقد يلجأ البعض الى تعداد الاماكن التي يقطعها كما فعل الصهيب حين قال :

سرى من بلاد الخور حتى اهتد ولنا ودعن قريب من عمود سواده (٣)

وهو مع قطعه مسافات كهيرة ، قد يلاقي كثيرا من الاهوال والصاعب في طريقه ولكن

هذا لا يثنيه على العودة ، ولا يشغل من همته بأمل اللقاء .. بل يتخطى كل شيء

ليقوم بالزيارة فيقول علي بن جبلة :

بأي من زارني مكتمنا

زائرا نَمَّ عليه حسنه

رصد الخفلة حتى أمكنت

ركب الاهوال في زورتنه

والمشاعر تزدحم في افق الشعراء بعد زيارة الطيف .. وكل ينقلها با لطريقة التي

تعجبه .. فبعضهم من كان مسرورا متفلا ، وبالحق — آنذاك — من ليلة اذ بردة العيش

نهبها ناعمة كما يقول نصيب إلا كبر :

أيقظان ام هب الفؤاد لطافني

سرى من بلاد الخور حتى اهتد ولنا

بجد وما كان بعهدي رجلاه

ووالله ما من عادتك في السرى

ولكنك نطت ليلا لذي الهوى

فيها لك ذا ود وبالك ليلة

ومنهم من يعاوده اليأس والحزن ، فلم يثر الطيف في نفسه الا زيدا من الهموم

ولا عجب في ذلك طالما ان الحزن واليأس هما اساسان بني عليهما الحب بكل تفاصيله

(١) شعر عدة / ٥٤ = تأوب = جاء الخيال ليلا — يطرق = يأتي ليلا

(٢) شعر نصيب / ١٢٩ = سواده .. اسم ماء لشفي وجبل بالقرب منه .. وقيل عمود سواده = جبل بنجد ..

(٣) شعر الحوك / ٧٦ = نَمَّ عليه = دل — رصد = انظار وراقب

ديوان الحوك / ٨٧ = وقد وردت هذه الابهات في الديوان في القسم الثاني سنين

شعره الذي نسب للشاعر ، مع تغيير بسيط

(٤) شعر نصيب / ١٢٩

عد هذه الطائفة بن الشعراء ..

فسحيم - ثلاثا - يضحى مريضاً بعد زيارة الدليف له .. على ما نرى هذه  
الزيارة من حلوة لقاء بعد نأى ، وعلى ما فيها من معاناة أجهدت جسمه وأهكتته :

ألم خيالٍ عشاءٍ فطافنا

ولم يكِ إذ طافنا الا اختطافنا

لمية إذ طرقت موهبنا

فأضحى بها دنفا مستجافنا (١)

وعدة بن الطبيب تتأوه بقايا احزان ايضاً عندما يمر به طيف الحبيب ولو للحظات

فخامر القلب من ترجيح كثرها

رسي لطيفاً ورهن منك مكبول

رسي كرسٍ أخى الحى اذا عيرت

يوم تأويه من عاقبيل

وللاحقه ايام تذكرها

وللنوى قبل يوم الين تأويل (٢)

حتى الصهيب .. ان فرج مرة ، بلقاء الطيف ، والتأبته قشعريرة سرور وسعادة لا تستمر  
اكثر من لحظات ترحل بعدها ليخيم الحزن ويحتم على صورة ثانية ، وهو لا يترك نفسه  
يتنى لو تطول فترة اللقاء ، ويطول فيها الليل ليصبح حولا كاملاً لا يفترق عن زيب  
أبدا ..

تأويلي طيف الخيال المورق

هدوا فهب الا كف المتشوق

مروءاً فلما لم أجد غير فتية

نيلام واكوار لديهن اينسق

تمهيت لو ان الليل حول وأتني

وزيب طول الحول لا تنفترق (٣)

والاحزان تجر احزاناً أخرى .. والهموم تتكاثر مع هموم أخرى .. حتى تتقلل  
على قلب الشاعر المحب الذى تأت ديار محبوبته عن دياره ، فبعد عليه المسوار  
وعز عليه اللقاء .. ودب اليأس الى قلبه ، وبفا النوم عينيه ، ولهذا تسرع  
شي شعرهم ..

فالذى ارقه الحب ، وعده السهر ، والذى رقق كبده عزنا على الحبيب ،

والذى أحب بها لم يجد من أحب قبله ، ظله أو أكثر منه هو الصهيب يمينه

حين يقول :

(١) ديوان سحيم / ٤٢

(٢) شعر عدة / ٥٨ - ٥٩ = فخامر القلب = خالطه = الترجيح = مرة بعد مرة - الرسي =

الخفي - رهن منك = مرتون - ك

(٣) شعر نصيب / ١٠٨ - هدوا = اول الليل - الا يتق = جمع ناقة - الاكوار = ج كور

وهو الرجل بأداته

أرق المحب وعده سهده  
وذكرت من رقت له كهدى  
لا قومه قوي ولا بلد عيبه  
ووجدت وجدا لم اجد احدا  
لطوارق الهم التي تردده  
وأبى فليس ترق لي كهده  
فتكون حيلة جيرة بلسده  
قبلي من اجل صيانة مجده (١)

وهو من كثرة الهموم التي تعاوده يرى ان ليلته يزداد طولاً حتى يظن أن لا نهاية  
له فيجنوه النوم وبأبى جفناه الاطباق وكأن بهط قصراً يعمصها من ذلك . . . ولقد  
دنا آخر الشهر ودنا بدونه التأى :

أقول وليلتي تزداد طولاً  
جفت عيبي عن التغميض حتى  
كأن فؤاده كره تنزى  
يروعه السرار اذا رأ . . .  
أما الليل بجدهم نهيار  
كأن جفونها عنها قصار  
حذار العين لو وقع الحذار  
مخافة ان يكون به السرار (٢)

وصورة الليل الطويل المثل بالهموم والاحزان تعود الى الظهور عند السواد لوجود  
ارتباط وثيق بينها وبين حياتهم التعيسة . . . وكما أن ليل امرئ القيس طويل وكان  
تجنوه شدت بحبل الى جبل يذبل فكذلك هو ليل سحيم حين يقول :

تأوي ذات العشاء هموم  
وط ليلة تأتي علي طويلاً  
عوامد منها طارف وقد يم  
بأقصر من حول نكباته نعيم (٣)

وحين تتكاثف الهموم من كل جانب ، ويتقدم كل امل بعودة الوصل واللقاء . . . يسدب  
اليأس في القلوب ، وأية سعادة بقي الحب تلك التي تترك لليأس مجالاً للتناول عليها . . .  
وهل كان اليأس يوط ليل شفاء للمحب ؟ . . . لير عند نصيب :

فلو كانوا اذ بانوا يمست فلم يكن  
اذا لشفاك اليأس من كلفهم  
لهم اذ هم شغل عليك رجاء  
وفي اليأس ما لا يُنال شفاء (٤)

ومن كان التأى والهجران ، التحمل والارتحال حظه في الحب كان اليأس هو نهاية

(١) شعر نصيب ، ٨١ / طوارق الهم = ط يطرقة ليلاً من الهموم

(٢) المصدر نفسه ، ٨٩ / تنزى = تنفر - السرار = جمع سر وهو آخر ليلة من الشهر -  
والسرار الثانية = ملاجاة الوداع = وهو مصدر ساره مساره وسرارا .

(٣) ديوان سحيم / ٣٧ تأويه = جاره ليلاً - عوامد = قواصد . طياه = دطاه

(٤) شعر نصيب / ٥٧

اللطاف • ونحن يكون اليأس هو نهاية اللطاف ، بعد لقاء فوصل ، فسعادة • • ثم فراق ومجر وألم • • فهل معنى ذلك أن رحلة المحبين ستنتهي عند هذا الحد . وإذا ما افترضنا انتهاءها عند هذا الحد ، فهل تكتمل الصورة دون الحديث عن المرأة كما رأها الفزولون من الشعراء السود ؟ وهل يمكننا تجاهل هذا السحر الانثوي • • لا بد إذن من التعرف على رؤية هؤلاء للمرأة . التفزل بها • • التفخي بجمالها ، انطلاقاً من التفخي بجمال طبيعتهم • فهم خير من عرف المرأة والمرأة الحبيبة بالذات • • فأدرك جمالها ، ووصف هذا الجمال بكل دقة ورقة وسكب على هذا الوصف من عواطفه وأبداعه ووجدانه ما أضفى عليه طابعاً إنسانياً وجذاباً محبباً وجذاباً •

إذن • • هي مواطن الجمال عند المرأة • • تلك التي أدارت أعناق الرجال وبهرت أنظارهم ، قد دخلت قلوبهم دون استئذان ؟ • • وما هي أبعاد الصورة التي رسمها لنا الشعراء السود في وصفهم للمرأة ولمحاسنها ؟ • • لا سيما المرأة البيضاء بالذات التي كانت تشكل مدغمها صعب الوصول اليه • • وربطاً اعطتها أوصافهم فيها فكرة عن أوضاعهم ، فللمس برلق موضع جرحهم العميق ، ونشعر بمحاناتهم في هذا الحب اليأس •

مواطن الجمال في جسد المرأة كما وصفه الشعراء السود :

مهما اطلق الشعراء عامة من أوصاف على المرأة ، ومهما تغفوا بإبراز جمالها جملة وتفصيلاً ، فإنهم لا يكادون يختلفون بعضهم عن بعض في السياق العام لهذه الأوصاف فلقد استعاروا أجمل ما في الطبيعة ليعتوا به جسد المرأة ، وأعضاءها وفي أبيات عطرة الغالية صورة جميلة للمرأة ، تبرز أجمل ما فيها من عيون وشمم وخذ وطيب رائحة • فهي طيبة العناق عذبة القبل عيناها كعيني رشاً من الفزولان وطيب رائحتها لا تضاهي في رائحته الذكية بشر أجمل الرياحين وأذكارها • • وط رضاهما فلا تضاهيه في طيب مذاق الخمرة المحققة :

طوع العناق لذينة المتبسم  
عذب مقبله لذيد الطعم  
رشاً من الفزولان ليس يتوأم  
سبقت عوارضها اليك من القم

دار لآسة غشيز طرفها  
اذ تستبيل بأصلي ناعم  
وكأنم نظرت بعيني شيلان  
وكان فأرة تاجر بقسيسية

فيه قليل الد من ليس بمعلم

مط تحتله ملوك الأعجم

فترك كل حديقة كالد رهم (١)

أوروضة ألقا تضمن بهتهدا

أوغاتقا من اذرعات معتقدا

جادت عليها كل عين ثيرة

ولا يختلف بقية الشعراء في اوصافهم للمرأة عما أورده عنترة الا في بعض التوسيع

فسي وصف وضو وبراء جماله على حساب بقية الاعضاء \*

### الوجه واللينون :

اللون الابيض كان مقياس الجمال عند الشعراء العرب عامة وعشق النساء البيض لم يقتصر على السود من الشعراء \* بل كن دائق مطمح الجميع منذ امرئ القيس والون الابيض لون محبوب الى النفوس \* ويكنى به عن كثير من الصفات \* فقد كنى به عن الانفال الحديدية الخيرة لجماعة من القوم فقالوا عنهم : بين الصخائف \* كملوا في معرث الدح \* فلان أياديه بيض وهذا كناية عن فضله الخير مع غيره من الناس \* وكنا بالون الأبيض عن طيب الاصل والحرق وكرم الجوهر وثقاه ، وهذا تبرز صميم المشكلة عند السود ، التي سببت لهم فيما بعد عقدة تقص كانت تبرز في كل زاوية من زوايا شعرهم لانهم كانوا يعيشون في مجتمع تحكمه عادات وتقاليد لا تعترف بالقرب عنهم - اذا اعتبرنا السود من الغرباء - واذا اعترفت به فهو دائما في الطبقة الادنى \* وهو الى ذلك مسروم من أدنى الحقوق ، وسليتم في الوقت نفسه - بانواجبات كلها ، وتدخل المرأة في نطاق المحرمات لا سيما المرأة البيضاء ، كما يدخل في هذا النطاق الحديث عنها والتفزل بجمالها \* \*

أما اوصافهم لوجه المرأة ففيه الكثير من معطيات الطبيعة \* بل أجمل ما في الطبيعة \* فقد وصفوه بالبياض واللحوة وكأله الدر ، فقال نصيب الأصغر في ذلك :  
وأبدى شهور الصبح منها محاسن - ووجهها متى يحلل له الطيب يشرق (٢)  
فوجهها متى ضوخ بالعطر أشرق ايما اشراق \* \*  
وهو بالهدرارة وبالللال تارة اخرى ، وفي الاخير جمال وضاء وفي ذلك يقول الحكوك :

(١) ديوان عنترة / ١٨٤ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢

(٢) شعر خفاف

بأبي بن زارني مكتوما

حذرا من كل وأشن جزعا

زاراً لمّ عليه حسنه

كيف يخفي الليل بدرا طلعا (١)

فوجه حبيته — عتي في الخيال — أشبه بهدر طلع فهدد ظلمات الليل •• ويكرر  
نصيب المحلى نفسه فيقول :

ذكرت عتي ليلة الباب قابضا

على كف عيون المدامع كاليدر

وجه المرأة بدرعد العكوك تارة •• وهلال تارة أخرى •• ولائتان لا يخلوان  
من الجمال ••

من أين ما امتحت محاسن وجهها

بهر العيون بها هلال مائل (٢)

وشبهوا استنارتها وأشراقه بالديار السقييل اللامع فقال سحيم :

ترك غداة البين كفاً ونحصماً

ووجهها كديار الأعرّة صافية (٣)

الخد :  
=====

وقياس جمال الخد عدد الأسود الأسيل ، العام يقول نصيب الأكبر :

وكم دون ذلك العارض البارق الذي له اشتقت من وجه أسيل مداومه (٤)

العيون والنظر :  
=====

لغة الحب في النظرات ، وجمال الدلارات في العيون الكعيلة •

شبهوا عيون النساء بديون النهاة ، فتقاوا كل ما فيها من جمال وسحر

وجاذبية وأحاطوا به جمال عيني المرأة كما فعل عمدة بن الطبيب يحيى حبيته :

كأن ابنة الزهد يوم أقيمتها

منيدة مكبول الدامع ترشق

تراعي خذ ولا يفر من العرد شادنا

تموس من النعال التذاف وتعلق (٥)

وفي المحلى نفسه يقول إبراهيم اليهودي :

(١) شعر علي بن جبلة / ٧٦

(٢) شعر علي بن جبلة / ٩٧

(٣) ديون سحيم / ١٨

(٤) شعر خفاف / ٩٢

(٥) شعر عمدة / ٥٢



شافح من مقلتيه

يه فقبلت يديسه (١)

والعيون عند سحيم عيون مها أيضا ولكن أية مها •• انها التي شخصت بيهرها  
نحو الاغالي لتناول ط علا من القطفة، الخضراء من الشجر :

د تحطوا بها فاق وتثرو تماما (٢)

وعيني مهاة بسقط الجمال

وعيون المرأة عند سديفلاط منحها الله من جمال وبريق أخذ، تفضل عيون المهوسا

بجمالها وهي ناعسة وكأن بها مرش. وكانت هذه أيضا من نعوت الجمال عند العربية

وقضطنهن ساجرا وجفوننا

واذا طرفن طرفن عن حدق المها

ولهن أمرش ما رأيت عيوننا (٣)

وأصح ما رأيت العيون ساجرا

وقد يكني أحدهم بالوصف عن العوصوف •• فاذا ما ذكر الحوك ، حور المقل ، فانه

يريد المرأة التي من أجلها يريد أن يستبدل الشباب بالشيب ، ليعود الى سابق

عهده معها ، ومع عيونها الجميلة الكحيلية :

ب لبت الشباب البديل

بدا بدلا بالشباب

تحاطه حور المقل (٤)

جلال ولكنسه

وخفافا لا يكتفي بالوصف المجرد لايراز جمال عيني المرأة ، بل يبعد الى ذلك من خلال

صورة فنية بديعة ، فما ذاك الخيال الأحر وقد ذهب يبحث عن مكان ظليل فسي

روضة بوجرة أو بطن عقيق ليقيم به هربا من حرارة الشمس الضرقة ، فاتخذ مكانا ذليلا

تحت تلك الشجرة التي دنت بأوراقها وغصونها فوقه فأظلمت ••• هذا الخيال على

جماله وجمال نظراته الناعسة وهو يقيم ظليلا ، هو بأجمل من سليحي عند ما تتراعى

عينهما المكحولتان الأخاذتان وسط الظلام :

تتبع روضة يقرو السلامنا

وط أن أحور العينين طفل

يقيم به اذا ما اليوم حاطنا

بوجرة أو بطن عقيق بس

دنت من وهد دائية فلنا

اذا ما اقتافها فحنت عليه

(١) الاظلي ١٠/١٤٣

(٢) ديوان سحيم ٤٣/ سقط الجواد : استله = تحطوا = تتناول • النظر = الاخضر من

الشجر - العارف = جمع تعف = وهو ما انخفض عن الجبل وارتفع عن الوادي

(٣) زهر الاداب وثمر الالباب ١٥/١

(٤) شعر الحوك ٩١/ ديوان الحوك ٦٠/ ٦١

بأحسن من سليمى إذ ترامت إذا ما ربح من سدف، فحاما (١)

أما نظرات المرأة فحدِيث يطول شرحه . . . فهي تلخص في نظرة من نظرات تهـمـا  
ما تريد أن تقوله وتشرحه في صفحات ، ونظراتها دائما مستعدة من نظرات الخزلان  
الناعسة المطروقة . . . قال عنتره :

وكأنها نظرت بعيني شادن رشاً من الخزلان ليس بتوأم (٢)

لقد تطلعت بعيني شادن جميل من الخزلان ممن أتم خلقه ، وحسن مظهره كونه  
لم يزحه في بطن أمه توأم آخر . . . ولا رضح معه آخر أيضا . والمرأة عند عنتره  
— عموط — فآخرة النظرات :

كأنها يوم صدت ما تكلمني ظبي بحسبان ساجي الطرف مطروف (٣)  
وما تلك الخزّالة الأم التي جمعت لصاعة البياض ، وشدة السواد في المقلتين بأحلى  
من ليلي نصيب الروابي حين طرفت ببصرها فكانت تشبه ببقرة وحشية طرفت ببصرها  
حين أجهلت وسط القطيع

وما مخزل أدما تام فزالها بأسفل نهي ذي غرار وحلب

بأحسن من ليلي ولا أم ترقد فضيفة طرف رعتها وسدل ريزب (٤)

الثغر والأسنان والريق :

١ - الثغر : وهو طبع الحنائق ، لذيق التمس ، عذب القبل ، لذيق الطعم عند علة  
كما رأها عنتره . . . وهو على ما فيه من جمال وجاذبية يكاد يذهب بعقل  
الناظر إليه :

دار لآسة غنيز طرفها إذ تستهيل بأصلي لأعسم  
وثنير فتاة سحيم لا يقل جمالاً وعذوبة ولذذة في التمس عن ثغر علة .  
لوع الحنائق لذيدة التمس عذب مقبله لذيد المطعم (٥)

وقد ضمنت إلى الأحشاء جارية عذب مقبلها ما تصولها (٦)

(١) شعر غفاف / ٩٢ - والسدف، بالتحريك = الذلعة

(٢) ديوان عنتره / ١٩١

(٣) المصدر نفسه / ٢٧٠ و ٢٩٠ الساجي = الخائر النظار - المطروف = الذي ابرفت عينه بثوب

أو غير ذلك فيغتر نظرها وتلين أشغارها والعين توصف بذلك لذلك قالوا : عين سقيمة  
(٤) شعر نصيب / ٦٩ - ٧٠ - أدما = أيضا سواداء المقلتين . ذ و غرار = ذو برودة

حلب : والحلبان والحلباب والحلبوب : أسماء بنات  
(٥) ديوان عنتره ١٨٤ و ١٩٠ تستهيل = تذهب بحقلك

(٦) ديوان سحيم / ٥٩

وفم عملة على ما يمتاز به من جمال وجاذبية ذو رائحة ذكية تضاهي بطيب بشرها رائحة المسك والعنبر ، كما تضاهي بشر تلك الروضة التي جادت عليها السماء بأقطار ثمررة والأكثر من هذا وذاك تضاهي رائحة الخمرة التي عي بتحقيقها ملوك الاغصم:

سبقت عوارضها اليك من الدم	كأن فأرة فاجر بقسيمه
غيبك قليل الدم من ليس يعلم	أوروضة أنفا تضمن ببتها
ما تحققت ملوك الأعجم	أو عاتقاً من اذرع ممتقا
فتركن كل حد يقه كالدرهم (١)	جادت طيبها كل عين ثمررة

وليب الرائحة صفة مستحبة في الفتاة ، فهي دليل صحتها الجيدة وشبابها الشبان لان رائحة الفم ما هي الا نتاج السير الطبيعي والمعتاد للأعضاء الحاملة في جسم الانسان بصورة كاملة دون خلل . لذلك يرى الشعراء يتحاورون على وصف أفواه حبيباتهم مركزين على هذه الصفة بالذات . . . وللاسر نفسه أشد نصيب العرواني مع الرعيان لواضحة الاثياب طيبة العشر :

وما أشد الرعيان الا تعلقة      لواضحة الأثياب طيبة العشر (٢)

كـ الرقيق : ويريق المرأة عدهم نزيح من الخمر المعتق ، ومن طاء الديق ، وخليط من انواع المسك والعنبر . . . وسندهم يؤكد على ذلك فيقول ان ريق فتاته بعد هجعة من اللوم رغم تغيير طعم الفم ، لهو أشبه بدلعن السلافة الصردة المعتقة ط ان تصيب في الكأس حتى يطفو الزهد فوق وجهها :

كأن على اثيابها بعد هجعة      من الليل نامتها سلافا صردا

سلافة دن او سلافة ذارع      اذا صبأته في الزجاجة أزيدا (٣)

وعندما يشعر ان ريق فتاته فوق ط يصف ، وانه لم يف حقه . . . يعود فيؤكد حلاوة مذاقه ولبيب بلعنه باضغاء مزيد من الصفات ، وهو ما هنا خمرة يخالطها القرفل والزنجبيل والمسك ، ما تعود بهبه تجار الهند . . . وطعمه هذا لا يتغير ولا يتبدل كلما اردت أن ترتشف من رحيقه أعسست بحلاوة اللعصم :

(١) ديوان عنتره ١٩١ - ١٩٢ - الفأرة للمسك = نافحته - القسيمة = جوة الطيب

العين = المطر الدائم

(٢) شعر نصيب / ٩٣ - تعلما = طيبة

(٣) ديوان سحيم / ٤٠

ل والمسك خالدا جفنا قطانا  
 سهاها الذي يستبها سلافا  
 ر ظار يخالدا رسكا دافسا  
 على كل حال اريدت ارتشافا (١)  
 وجعل نصيب ريقها خمرة مبردة بماء الندى ، فسلادلسه ولذ للمرتشف :  
 ببرد ثانيا أم عسان شائق  
 كأن على انيابها الخمر شايها  
 وهي تجود عليه بالرحيق المذب ، نقابا . مزيد من حديثه الشيق الممتع :  
 تجود عليها بالحديث وتارة

الأستنان : وأجمل الإستان هي الطنائة باستواء ، البيضاء اللامعة . . . . .  
 أنهم شهوها باستوائها وبياضها وبريقها بالدر والألى ، فتال سديف :  
 واذا نطقن تغالهن نواظلا  
 درا يفصل لؤلؤا مكوتلا (٤)

### الجهد والجدار :

وجمال الجهد يكون في طوله ولدونته ورونته في التثني والالتفات ، ولهذا  
 استعار الشعراء جمال عنق النابي ولدونته ليصفوا به جمال عنق المرأة ، وجهد عديمة  
 عد عترة أشبه بجهد غزالة صغيرة كريمة الأصل ، وغير خاف ، علينا جمال عنق الخزال  
 ولفنته التي تحفل معاني الكبرياء والشمسوخ :  
 كأنها التفتت بجهد جدانية  
 رشا من الخزالن حرا أرشم (٥)  
 ولا يخرج سديف بن ميمون عن هذا الاطار في الوصف ، حين يصف نسوة رأهن فيقول :  
 وكان أجياد النظباء تدهما  
 ونصيرهن لداقة ولدونلا (٦)

- (١) ديوان سحيم ٤٤ /  
 (٢) شعر نصيب / ١٠٨  
 (٣) شعر نصيب / ٩٧  
 (٤) زهر الآداب وشعر الالهاب ١٥ / ١  
 (٥) ديوان عترة / ٢١٤ - الجدانية = الغزالة الصغيرة ... شعر ارشم = كريم ... والارشم : الذي  
 على انفه سواد او بياض  
 (٦) زهر الآداب وشعر الالهاب : ١٥ / ١

وكذلك الامر عند تصيب الاصغر حين يقول :

وكأن مية حين الطخ جيدها      رشا أغن من الظباء ريب (١)

وسحيم يضفي مزيدا من الجمال المصطنع على جيد فئاته فوق ما تتمتع به من جمال طبيعي ، فهي تزينه بأنواع من الحلي ، حتى أضفى تآلف بين هذا الجيد والحلي وما ذلك الا لوجود تشابه في الجوهر بينهما :

وجيدا كجيد الخزال الدريد      لا يأتلف الدر فيه التلانا (٢)

ودلالتا أن جيدها تعود التزيين بالحلي .. فهو ينقي أجملها شكلا ، وأغلاها تما وهذا يكسب صاحبها مزيدا من الجمال والجاذبية :

وجيد كجيد الريم ليس يحاظر      من الدر والياقوت والشذر حاليا (٣)

وهذا الجيد المصقول الطويل النقي اللون ، الحلو اللغات ، قائم على بحر يضاهيه اشراقا وجمالا ، وحتى هذه الجواهر التي تزين بها كالثرى المشعة التي عكست نورها على البحر فزادته توهجا واشراقا ، أو جمر فضى أذكته الرياح فزادت توهجه :

وجيد كجيد الريم ليس يحاظر      من الدر والياقوت والشذر حاليا  
كأن الثريا علقت فوق بحرهما      وجرم غش هبت له الريح ذاكيا (٤)

### الشعر :

هذا التاج الذي يخطي هامة المرأة .. والذي يتدلى بفخج ودلال فـ فوق

كتشيتها ، كان له عديدها طويل مع الشعراء ، حتى أنهم تشبوا في وصفه ، وفي إبراز جماله ، ولكنهم اتفقوا على أن طوله .. ولونه الفاتح .. وفزارته .. وكثافته .. هي أمور يحبها الرجل في المرأة بل يتغنى بها الشعراء ، ويتنادرون في إبراز جمالها عن طريق التصوير .. الا أنه على ما يبدو ، ومن خلال ما توتر بين أيدينا من سادة حول هذا الموضوع في شعر الشعراء السود أنهم لم يهتموا كثيرا بشعر المرأة ، رغم أنه كان عنوان جمالها ، وربما يكون الشكل الطام هو الذي أغراهم في المرأة فوصفوه بحد حب ، وتغزلوا بجمع اعجاب .. وربما يكون جزء من شعرهم الذي ضاع والتدثر

(١) الاظلي / ٤١٤

(٢) ديوان سحيم / ٤٣ العريف = الذي توشده .. والعريف : المتزوف الذي انتزعه عقله

(٣) المصدر نفسه / ١٧

(٤) ديوان سحيم / ١٧

كما اندثرت حياتهم فيط بعد ، حتى جاء من حاول انعاشها من جديد \* \* ودع ذلك كله  
 ترى منهم من اهتم بهذا الطاج الالهي كما فعل عنترة الذي لم يترك عضوا في جسده  
 عيلة الا اشعبه وصفا ، ومن جملة ذلك وصفه لشعرها \* \* فالليل بذالامه الدامس  
 يسرق من شعر عيلة لونه ، بعد أن كان الشعراء يسرقون من الليل ومن جميع  
 مظاهر الطبيعة اللون والحركة والطعم والجمال ليلصقوه بحبيباتهم :

هنطف الظلام كسارق من شعرها فكأنه قرن الدجى بدياجي (١)  
 أما فتاة سحيم فصيادة قلوب طهرة \* \* ووسيلتها في الصيد ذاك الشعر الاسود  
 الفاحم الخيزر وقد تدلى على كتفيها :  
 لئالي تصطاد القلوب بفاحم تراه أمينا نام العبت طيفا (٢)

الخصر والارداف :

والخصر النحيل الرشيق مع الارداف الممتطة كانا مقياس الجمال \* \* وعلى هذا  
 يؤكد طي بن جبلة حين يقول لغناته :

تجاوزت أقصى الطيبي فخلقتك لا يوصف  
 فما تحته مقليل وط فوقه أميرف (٣)

ويستعير سديف بن مهنون من طبيعة الصحراء مزارا ، ليشبه به أرداف فتاته . فنصرها  
 ضامر ، وأردافها مثقلة وكأنها كنان رطبية :

كأنون اذا نهضن لحاجر نهضن بالسعدات من يبريتا  
 وكأن أجساد الطيباء تمدد وحضورهن لطفة ولد ونيتا (٤)

فيتفق بهذه الاوصاف مع نصيب الاصر الذي يقول :

لصفان ما تحت الوزر عندك دع عن أغر وفوق ذاك قضيب (٥)

(١) الغزل في العصر الجاهلي ٥٢ /

(٢) ديوان سحيم ١٧ / = الاثر = الخيزر \* والعائني الكثير وهو من الاضداد \* \* يقال  
 عا الشيء اذا درس وذهبت

(٣) شعر علي بن جبلة ٨٧ / . الديوان ٥٦ /

(٤) زهر الآداب ١ / ١٥ - والعقدات ج عقدة وهي السفح والكثيب \* يبرين = اسم مكان

(٥) الاطلسي ٢٤ / ٤١٤



الأصابع والمعصم والذراعان :

حتى اليدين كان لهما نصيب من الشعر ، ولقطة من الشعراء .. نجملهما ،  
ورقتها وعمومتها دليل حياة مترفة لاعمة ..

أما الأصابع فزيبتها وجطلها في صبغها بالخضاب .. حتى اذا كانت ليلى  
في الحج ترمي الحجار بأصابعها فظهرت واضحة للعيان بخضابها الأحمر  
الذي يسمى العيون فيقول نصيب الأكبر :

ولم أر ليلى بعد موقت ساعة      يخيف على ترمي جمار المصصب  
ويبدى الحصاص منها اذا قذفته      من البرد أطراف البنات المصصب (١)

والمعاصم الممتلئة      دليل الجمل عند سحيم ، خاصة اذا كانت تلك المعاصم  
تحمل أكفا ذات انامل بضعة ليلية لاعمة :

وأبدت معاصم فكورة      تزين أناملهن اللآلئ (٢)

الساق :

والانسجام مع ما سبق من الاوصاف يقتضي أن تكون الساق ممتلئة ملتفة  
لدنة ، ولا بأس ان زينتها بالخلاخل لتزداد جمالا وفتنة ودلالا .. يقول علي بن  
جبله :

من أين ما امتحت معاسن وجهها      يهر العيون بها هلال ما شيل  
شجيت خلاخلها بساق قخذ لسة      وشجيت عيدا بالذي هو قائل (٣)

أوصاف طامعة :

في هذه الاوصاف عودة الى المرأة جملة ، بعد أن تناولوا أعناءها  
بالوصف تفصيلا . وكأنهم أحسوا بالتقصير في حق الجمل ، فحلوا الى صورته  
ككل ، وأرادوا أن يؤكد صدق قولهم في المرأة .. فمن عدهم كأعجب من  
الذي وجدية ذات معان مجرد .. وهي أطلح الناس وأكثرهم بشاشة ، وبشوب ،  
جطلها الدل والخفسر ..

(١) شعر نصيب / ٦٩

(٢) ديوان سحيم / ٤٤ والمذكورة = الممتلئة

(٣) شعر علي بن جبله / ٩٧ - الديوان / ٦٢

فعدتة هو الهيمان دائما بالجمال، يندار الى الفتيات فيراهن أكثر  
جمالا وفتنة وهن على أول عتبة من عتبات الصبا، في ريدان الشباب وقد كعبت  
نهودهن، وأشرقت وجوههن الجميلة التي لم تغسل من العياء :

وكواعب مثل الدمى أحبيتهما      يظنن في خفر وحسن دلال (١)

وإذا كان عدتة قد أصبا الكواعب من الفتيات فان سحيم - رغم تاريخه الحافل -  
يصح بأنه لم يله بالبيض الكواعب التي هي أشبه بالدمى لجمالها فيقول :

ولم تله بالبيض الكواعب كالدُمى      زمانا ولم تتعد من الارض سفها (٢)

ولكن الجميع هيام بالصبا والشباب الفخمين، الذي ينتج كالبرعم، والذي عقبت  
ظاره فعدتة هوذا مكوره، وهذا هذا الجمال دمي جميلة تسلب الألباب، وتصيب الحليم  
فما يلجوا من جاذبيتهم سليم حتى سحيم :

لهعد وأتراب لها شبه الدُمى      يصدن فما يلجولهن سليم

كواعب أتراب لهن بشاشة      إذا علق شيط فليس يرهم (٣)

وصورة الفتاة الكاعب، هي الأكثر اجتذابا في عالم الرجال، لا سيما الشعراء  
السود .. لهذا يرى علي بن جبلة يفتل زيارتهم فيقول :

وأزور الكاعب الخبـور      د تواربها المستور

اذ عيون الدار صبور      واذا الجيرة عيبـور (٤)

وقد يختلف أبو خيلة، فيفضلها بجدة السحاي طيبة الشر :

بجدة ذات معان معجـود      كأن رياضها بعيد المرقد (٥)

### الجمال المعنوي للمرأة :

وهذه المرأة التي استهوت الشعراء فتعدثوا عن جمالها الجسدي ..  
تعدثوا عن أعجابهم بشعرها وعينيها، بثفرها وأسلانها وريقها، اشراقية

(١) ديوان عدتة / ٣٣٧

(٢) ديوان سحيم / ٤٢

(٣) المصدر نفسه / ٣٧

(٤) شعر الحكوك / ٥٩ السود = الفتاة الحسنة - صور = تنظر اليه - الخير = الكرم

والشرف - ديوان الحكوك = ٤١

(٥) الاغني = ٣٨٨/٢٠



وجهها وبياضه ، جمال عبقها وحررها وصدورها ثم أردافها وذراعيها وساقها ..  
 هذه المرأة التي فجرت منابع الالهام والابداع لديهم .. هل استطاعوا تصاوير  
 شكلها الى شيء ما في داخلها ؟ هل بدت لهم صورة لجسد جميل فقط ؟ .. أم  
 اجتذبتهم بروحها كما اجتذبتهم بقدها ؟ .. أم حاولوا التلويح الى اعناقها ليروا ما  
 يسوؤها وما يسعدھا .. ما تحب وما تكره .. ما كانت تمثل لهم أفكارا ومواقفا  
 وأخلاقا بعينها ؟ .. اذن .. أين اهتمامهم بكل هذا ؟ ..

في الشعر الذي بين أيدينا للشعراء السود حديث مقتضب لجمال المرأة المعنوي  
 حتى أنهم وان ذكروا أجزاء منه ، فهي كلمة لجمالها الجسدي وعن حلاوة الابتسامة ،  
 التي تضي على الوجه اشراقا ، والاشراق فيه يزيد من الجمال والجاذبية ، وطيب  
 الرائحة وفي طيبها وشرها نكتة ، وجمال مشيتها .. وفي مشيتها دلّ ودلال ..  
 أم حياؤها فاكتفوا بقولهم أنها فضيلة اللطف .. وأما جاذبيتها العامة  
 فهي نسبي الحليم وتصبي الزاهد .. هذا جعل ما تحدث به الشعراء السود  
 في وصفهم لجمال المرأة المعنوي ..

والاهتمام بالروح والمضمون الاثني قليل الاهتمام عند الشعراء عموما .. وهو  
 وان كثرة لإضفاء مزيد من الجمال على جسدها ، بل وكملاله .. فالسري منذ أن وعى  
 الحياة في صحرائه البعيدة لم يجذبه فيها الا المدسوس ، وهذه سنة طبيعيتها  
 لا منتظمات الانسان العادي وهو لا يزال بعد ينحيز بدائيتها التي هي بدورها  
 تتنقل في العادة أكثر ما تتنقل في الروح .. ولكن .. ومجيب الاسلام .. ألم يشير  
 من الأمر شيئا في هذا الضمار ؟ ..

الدلائل تشير الى التفسير الكبير في كل شيء لبداية من العقيدة بعد أن كانت  
 موزعة بين شتى مذاهب الطبيعة حتى جاء الاسلام فوحدھا .. وساول الوصول الى  
 الأمل قوا جنات كل اثر لبداية الشعوب التي ادانت به .. وطلى مر الزمن كان لا بد  
 من أن تزول مبادئ وعادات ومثل وأعراف وتقاليد ، حتى تحل مكانها مبادئ وعادات  
 ومثل مغايرة حطها اليوم الدين الجديد .. أما تأثير ذلك على الشعراء السود  
 فقد كان عميقا من ناحية وساديا من ناحية أخرى .. شأنهم في ذلك شأن كثير من  
 القلوب التي كانت بحاجة الى مرور زمن .. حتى تنير ما في داخلها ..

كان الدين الجديد طارا للسود الذين اختلفوا العيش مع العرب، وكانوا عربا بالاصل، اهدوا بنوره الى بر الأمان .. لأعلام الحرية بعد عودية ، وميسرا لهم الاعتراف بوجودهم ومساواتهم مع غيرهم كي الحقوق والواجبات من بعد انكار لحقهم في كل شيء .. أعطاهم الحياة الحرة بعد أن سلبهم اياها السادة ، وطحهم المساواة بعد أن كانوا طبقة دنيا خلقت للخدمة .. وهم في المقابل دافعوا عنه وحملوا لوائه في أكثر من معركة ضد أعدائه .. وكانوا رعية صالحة لرسول هذه الدعوة بعد أن محا النظرة العربية القديمة التي كانت تنكر الحبيد ، وتفرق بين الناس نسي اللون والنسب فجعل التفرقة بينهم على أساس التقوى " (١) لذلك كانت اولى الاصوات التي اطلقت تدعو للدين الجديد وللإيمان به اصواتا عيشية سوداء متمثلة في مؤذن الرسول الكريم ..

ولكن ، مع هذا الفتح الذي حققه الاسلام ، وهذا التغيير الذي اصاحه نسي القيم والتقييم ، ولم يستطع في المقابل أن يدخل الأعناق بالسهولة نفسها ، ولا سيما أن أصوات الجاهلية لم تنزل في كثير من زوايا المجتمع .. ومن هذه الأصوات كان ما تمثل منها في هذه الاوصاف الحسية للدرأة ، والتي ما زلتا ترى في آثار الاسلاميين من الشعراء شيئا منها رغم أن هذا لا يمنع من وجود تيار معاكس تجلى في مفاصلة الخزل الذي اصطلح على تسميته بالخزل المذرى .. مع كل ذلك .. لا تصدم أوصافا عامة في المرأة اهتمت بالجانب المنطوي فتمتكت كسبا جديدا للاوصاف السابقة وزادتها جمالا .. فأية جوانب تلك التي ركزوا اهتمامهم على تصورهما ؟ ..

ليب الرائية :

بكايه المرأة مع العطور حكايه قديمه ، وحديث الشعراء عن عطور المرأة وليسب نشرها ايضا قديم . فقد وجدوا في ليب الرائية مصدر رأها من مصادر جاذبيتها .. و يذهب اليه أبو خيلة الراجز فيقول :

(١) بين الحبشة والعرب عبد المجيد طهدين / ٨٧

نجدية ذات معانٍ عجمية  
 كأن رباها بعيد العرقيد  
 ربا الخزامى في ثرى جعددي  
 كيف التصابي فعل من لا يهتدي (١)  
 وطيب الرائحة يجذب نصيب كما اجتذب قبله أبا نخيلة ، الذي أشد لطيفة العشر :  
 وما أشد الرعيان إلا تعلقة  
 لوأضحة الأنياب لطيفة العشر (٢)

### الابتسامة :

والابتسامة تضي على الوجه اشراقا مستحبا ، وتفتنة فيها الكثير ممن  
 الجاذبية والحديث عن البسمة يقترن في أكثر الأحيان عند الشعراء بحديثهم عن الفم  
 والاسنان ، فقلنا تحدثوا عن جمال فمها ، وحلاوة ريقها ، وانتظام أسنانها . . . تحدثوا  
 عن البسمة التي تتوج ذلك كله . . . والبسمة عند سديف غمامة أو زمرة اقحوان لأصحة  
 البيضاء زادتها الأظفار جلالا ومعاندا وبريقا :  
 وإذا ابتسمن فالهن غمامة  
 أو اقحوان الرمل بات محييا (٣)

### الحياء :

وقلة من الشعراء السود هم الذين تحدثوا عن حياء المرأة . . . ولم يكن حديثهم  
 إلا حديثا طابرا رغم أن الحياء من الصفات المستحبة في المرأة ، وهي دليل سمعتها  
 الطيبة ، وشرفها المصون . . . وأكثر ما قيل في هذا المجال من وصف أنها غضيضة  
 الطرف ، خفرة ، وعنترة ونصيب ، اللذين نستطيع اعتبارهما من رواد مدرسة الخبز  
 الوجداني كما سيأتي ، هم صاحبها ذلك ، حيث قال الأول :  
 دار آلاسة غضيض طرفها  
 بلوع الحقائق لذيدة الخيسم  
 وقال :

وكواعب مثل الدس أهبيتها  
 يفتانن في خفر وحسن دلال (٤)

(١) الأغانى ٢٠ / ٣٨٨

(٢) شعر نصيب / ٩٣

(٣) زهر الآداب ١ / ١٥ والمعين = المطور حين يضي المطر زيدا من الجمال على الزمرة

(٤) ديوان عنترة ١٨٤ / ٣٣٧



يحب المرأة ، واذا ما أحب شموخ قسا وكبرياءه ، فما ذلك الا لان قسا أخذ شموخه  
وكبرياءه من عند ساعة لقيها في رعايه من الشاعر الذي يقول :

أحب قنا من حبّ مندي ولم أكن

ألا ان بالقيحان من بطن ذوقنا

أروني قنا انظر اليه فانسى

وليست السحب بأقل تائرا بحطال المرأة ، هذا التأثر الذي يتحول عظام ووزقنا  
يتم على الجميع :

أرى الناس من ليلاك سقطا وقربها

حياة كما الغيث الذي انت بناظره

ولو سألت للناس يوما بوجهيها

سحاب انثريا لاستهلت مواظره (٢)

جميل أن يتأثر الانسان بالجمال ، وأن تتأثر الدابضة - وهي منبج الجمال - بجمال  
المرأة . . . ولكن الأجل من هذا وذاك أن يستعمل هذا التأثر عظام ، والحطام غيرا  
وزقا على الانسانية . . .

وبشكل عام . . . هذه هي صورة المرأة كما رأينا الشعراء السود بأعينهم

ومن خلال احساسهم نحو الجمال الانثوي . . . فاذا ما حاولنا تجسيد هذه الاوصاف

فكيف تبدو لنا هذه المرأة ؟ . . . وهل هي شبيهة بأختها التي تنزل بها

امرو القيس أو الأعمى أو عمر بن أبي ربيعة من بعد . . . ؟ . . .

المرأة عند عطرة وسحيم وجماعتهم . . . اذا صح هذا التعبير . . . جميلة بيضاء

مشرقة كالبدر في السماء والجمال ، حورا كحلام فضينة اللطرفة ، أسنانها ملاوطة

كاللؤلؤ ووريقها المستزج بالقرنفل والزججبل أذ بلعما من السلاف المعتق ، ثمرها

دائم الابتسامة والاشراق ، طبع الحطاق ، يحيد بجمال هذا الوجه شمر كثير ، فاسم سرق

لونه من سواد الليل ، جيدها مثل الشزال ، ودمرها أظلم مشرق يزيد فتلته وجمالها

تلك الحلي التي تزينه . . . حلوة اللغات مثل رشاً من القزلان ، معلقة الذراعين ، مضمضة

البنان ، نحلة الفصير بمطقة الأرداف ، خدلة الساقين ، وهي الى ذلك كله دليبة

الشر ، مضمضة الدر ، رشيقة المشية كالقلاة ، ومخلوقة مثل هذه لا غرو ان تحدث فتنة

في القلوب ، حتى في قلب ذاك المختشع التائب الى ربه :

(١) شعر نصيب / ٧٨

(٢) المصدر نفسه / ٨٤ - ٨٥

فكيف هي عند غيرهم من الشعراء ؟ •• هل تختلف في أوصافهم  
ومحاسنها الجسدية والمعنوية عن رأيه عن السود ؟ •• أو بحبارة أخرى، هل  
كان الشاعر الأسود يحلم بامرأة فريدة في أوصافها ، مختلفة عما كان يحلم به غيره  
من الشعراء أو بتعبير أدق •• هل كان الشاعر الأسود يحلم في اعاقه أيضا بتميزها  
أو عواطف مختلفة ، أو قلبا مغايرا ، أو نظرا متفردا •••

قد يكون الأمر مستغربا حين ألجأ إلى عقد مقارنة بسيطة في هذه العواطف  
مطلقة منها إلى اثبات أمر بدوي ، وحقيقة أكيدة تؤكد السائبة الانسان من كان ،  
وأيضا كان بغض العذار عن اللون والجنس •• ومهما كانت الظروف ، ولا اعتبارات الاجتماعية  
لمجتمع ، والتي لا بد أن يمتد تأثيرها حتى إلى عواطف الانسان ولكن ربما مسرت  
هذه الهمم على كثير من الناس ممن كانوا يستهجنون ان يتنزل عهد ملوك — مهبط  
كانت صفاته — بفتاة من فتيات القبيلة يعيها ويخلص لها السود، لذلك يماولون سلبه  
حقا منح الله كما منح لغيره من عبادته •• وهل نستطيع حصر العواطف في  
قوانين وأنظمة نوزعها كيفما شئنا بين أبناء البشرية ؟ ••

ابتداء من هذه العقيدة، لا بأس من ادراج المواصفات التي ذكرها الشعراء  
السود من خلال حديثهم عن محاسن المرأة الجسدية والمعنوية والتي كانت بالنسبة  
المهم هي الأوصاف، الخال في ظلم الجمال •• وان نذكر بمقابلتها مواصفات ألقها  
شعراء من غير السود ، ممن كان لهم باع طويل في الخزل ، ومن كانت لهم صولات وجولات  
مشهورة مع المرأة ، ولا بأس أن نتقي أحد شعراء الجاهلية وليكن امرؤ القيس ، وأحمد  
شعراء العصر الاسلامي وليكن عمر بن أبي ربيعة ، وللاثنين تاريخ حافل في الخزل  
والصباية والهسوى •

عصر والدرد في	و ما فو له أضيف								
الأصابع والمهم والذراعان		يبعد في المصطلح إذا تفرقت أب معاصم مذكورة							
الساق	شبهت خلا خلا بهام خلية وتشبهت بها بالذراع صورتا كل								
الشبيهة		معاشية وشبه القلابة							
أوصاف عامات	ما ذود الطاعن المفرد	للهند من أترابها كوالعاب أترابها بنات شعبة							
طبيب الرأفة		طبيبت النشر							
أدبتا في والياو		ففيقة طرف رعدك مسقط بربر							
أدثر النفسي		كبدن لعمر الله يد من فتنته لخضوع به ضيضا لله تأيب							

فالصورة على ما يظهر جلها وواضحاً متشابهة ومتقاربة في أكثر اجزائها بل لم تكد تتباعد قليلاً حتى تعود للتقارب بل للتحد في حلقة مستمرة ، فتعطي في النهاية صورة لامرأة هي النثل الأعلى لما كان يحلم به الشاعر العربي الجاهلي والاسلامي عموماً مع بعض الاضافات التي أطلتها طبيعة التطور الحضاري وظروف المجتمع في كل زمن . . . فالرشيقة الهيفاء الضامرة الخصر ، المطلقة الردفين المشرقة الوجه ، الاسهلة الخد ، المطقة الذراعين والساقين ، هي المرأة المشوقسة عند الجميع منذ امرئ القيس . . . وحتى عمر بن أبي ربيعة وإلى نصيب الأكبسر وطلي بن جهلة ونصيب الأكبسر . . . وغيرهم . . . (١)



### الغزل الوجداني عند السود :

قبل أن يقف الشاعر الاسود على الأطلال ، وقبل أن يصف مشاهد التحمّل والارتحال • قبل أن يتجرع من كأس الآلام بعد رحيل الأحبة ، وتصوير رحلة الحذاب الذي خلفه الهمم • كانت له وقفة مع المرأة • وقفة لم تكن بالقصيرة ، ولا غرو • • • فقد احتلت من قلبه مكانا متمسكا تحركت اشجانه على ما في قلبه من أشجان • • وأيقظت همومه على كثرتها ، وأرقت ما خمد من آلامه ، حتى غدا جديده عليها متنسلا لكل ما يستل في داخله حمله هموم اللون والنسب ، حمله هموم وجوده ، حمله هموم انسانيته الموهودة ، حمله هموم حبه المحكوم عليه بالاعدام حتى غدا الشاعر منهم محطم القلب ، حزين النفس مهضوم الجناح • • وثائرا ثورة عاتية حينما آخر ، أو متأقلا على كره منه مع جسم المجتمع السائد أحيانا أخرى • • وكان له بالتالي • • ردود فعل تتأثر بها أشعاره قسوة وضعفا • • وهذا التذبذب بين الثورة والسكون ، بين اليأس وبصيص الأمل ، بين الطاعة والخروج عن القانون السائد هو الذي صبغ أشعار السود بأصبغة متعددة الألوان • • إلا أنها سرعان ما تتحد لتكسب هذا الشعر طابعا مميزا ، ولتتضوى كلها تحت شعار الحب الموهود كما أدى تذبذبهم في موقفهم من المجتمع الى اختلاف في مذهب الحب • فبينما كان بعضهم يستجمع ما في داخله من هموم وأحزان وآلام ليطلقها ثورة مجلجلة في وجه المجتمع تهتك أعراضه وتلأل من سمعة فتياته ، ولا سيما بنات زعماء القبائل وذوآبات القوم كما فعل سحيم في تغزله الفاحش بنساء بني أسد وبالنساء التميميات من بني جبير بن يربوع • كان بعضهم الآخر ينكفئ على ذاته متحملا بصمت كل ما يلقي على هذه الذات من تبعات الحياة في تلك الظروف الصعبة • • وهذا الصمت كثيرا ما كان الشاعر يترجمه بأحاسيس المرهفة الى كلمات شعرية ، تحمل الى جانب شاعريتها - كثيرا من هموم حبه التي هي خلاصة لهومومه المتعددة • وهذه الفئة من الشعراء أحببت بكل ما تملك من عواطف ، أحببت بحرارة الشوق وعانت من قساوة الحرطن وألم الهمم وذائق مرارتها • أمضت الألم فرقت عاطفتها وشفقت نفسها في أشعارها • بل اتفقت في كثير من الخصائص مع أشعاره الحب عند بني عذرة هؤلاء الذين نذروا نفوسهم للحب والحبيبة ، وما زالت قلوبهم وألسنتهم تطهج بالحب وكلما به حتى آخر لحظة من حياتهم •

من هم بنو عذرة ؟ وما هي خصائص مدرستهم ، وهذا الحب الذي دلوت شهرته الآفاق وكون مدرسة لنا خصائصها وتقاليدها • ولها شعراؤها الذين التزموا بتلك الخصائص والتقاليد • • • هذا الحب اختصر في أول عهده ببني عذرة • • هؤلاء

القوم الذين ينتهي نسبهم الى " عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن هذيم بن ليث بن أسلم بن لحاف بن قضاة •• ومولود جميل وصاحبه (١) " • وهم الذين قيل عنهم أنهم " اذا عشقوا ماتوا " فقد روى أن سعيد بن عقبة الهمداني سأل اعرابيا : من الفتى ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا • قال : عذرى ورب الكعبة ، فم ذاك ؟ قال الاعرابي : في سائنا صباحة وفي فتياننا غفة • (٢) وما نقل عن القوم في هذا المجال كثير ، وأكثره تعبيراً عن أحوالهم في هذا الحب جواب أحد الحذريين لعروة بن الزبير حين سأله : " انكم أرق الناس قلوبا ؟ " قال الحذري " نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل وما بهم داء الا الحب " (٣) وكما أودى بهم هذا الحب الى السل أودى بهم الى الصوت • حتى عاب بعضهم على بني عذرة هذا الحب واعتبروه ضعف يقين ، ووهن عقيدة وضيق روية • أما دفاع الحذريين تجاه هذا الاتهام فيتجلى في قول أحدهم " أما والله ، لو رأيتهم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحمول حسب النزج ، والشفاة السمر تهم عن الثايبا الخمر كأنها شذر الدر لجعلتوها اللات والعزى وتركتهم الاسلام وراء ظهوركم • " (٤) من الطبيعي أن هذه الاجابة لا تلتصبي حقيقة بشيء هذا النوع من الغزل الذي قيل " التقاء عنصرين اثنيين أولهما الساطفة الديهة والثايبى الحيول الجنسية — في نفس المؤمن السدى حسن اسلامه وقوى يقينه • " (٥)

وقوم كانت هذه عقيدتهم في الحب ، لا بد وأن يكونوا زعماء مدرسة لها شعراؤها في القبائل العربية كلها •• ولها مریدوها ، ولها خصائصها •

أما شعراؤها ومریدوها فأكثر من أن يحصو ، وأن كان يتزعمهم بجداره جميل بن ميمر •• وأما خصائصها فتتلخص في اصور أهمها :

١ - قصر قصائد بأقطها على الغزل :

- 
- (١) الغزل في العصر الجاهلي / ١٤٦  
 (٢) مصارع العشاق / ١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٦ - ٤٠  
 (٣) المصدر نفسه / ١ - ٤٩ - ٤٠  
 (٤) المصدر نفسه / ١ - ٣٢ - ٣٣  
 (٥) تطور الغزل شكرى فيصل / ٢٣٦ •

٢- الخزل الروحي العفيف الذي وان كان فيه آثار للأوصاف البسدية، فهي من آثار ضئيلة •

٣- التصديت بحبيبة واحدة لا تتبدل

٤- الوفاء والقضية والاذعان والخضوع في الحب •

٥- الشكوى من تمنع المحبوبة ومن الوشاة والظن

٦- الأثم من الفراق الى حد الوصول الى اليأس

٧- وهو الى ذلك كله •• مشرق وضفاف اشراق شخص الصباح (١)

فهو كان من سبيل لشرائعنا السود الى هذا الحب ومدرسه •• ؟

وإذا كان هناك من سبيل مهمما قُصِّرَ أو طُسال، سُمِّه ل أو صعب •• هل ساعدتهم

ظروفهم النفسية والحياتية والالتفاتية على السير قدما في ذات الاتجاه •• ؟

قبل البحث عن أجوبة لهذه الاستفسارات، يجدر بنا أن نلخص ولو

العامية تفسيرية بالظروف التي أحاطت بالشاعر الأسود لوجود ترابط قوي بين هذه

الظروف وبين حياة الشاعر من جهة • وبين حياته • التي لها انعكاساتها على

ذاته • وهذه العاطفة الرقيقة التي ألقى عليها اسم الحب ومن خلال هذه العاطفة

بين الشاعر والمرأة، نستطيع أن نستشف آثاره في الحياة، كيفية تعامله مع

المجتمع ومع أفرادها، ومع نفسه • وذلك أن عاطفة الحب لدى الشاعر الأسود من

أقوى المواطنف تأثرا بهذه الظروف • ذلك والآن • بشافية الحب تشفى نفس

الشاعر، ويرقتة تشرق، وسعادته يعمد، وشأنك يشقى • وهو الى هذه

الظروف لم يثر من والديه إلا ما يزيد في بعد الهوة بينهم وبين مجتمعهم •

وإذا ما بحثنا في ملامح الظروف التي مرت بها هذه الطائفة من الشعراء،

وجدناها كثيرة ومتنوعة، لكنها لا تلبث أن تعود لتنتج عن أسباب رئيسية ثلاثة •

تكمثل في :

١- عقيدة اللحن : فليد كانت هذه العقيدة واثم أحزان الشاعر الأسود ومأساة

كلها •• كانت واثم عوديته وكانت واثم فقره، كانت واثم فشل

١- أخذت هذه البنود بتصرف عن المراجع التالية : تطور الخزل / ٢٢٦ - ٢٢٧

الخزل في المصو الباهلي / ١٤٦ - دراسة الحب في الأدب العربي ٧/١ - طوق

الحمامة لابن حزم الأندلسي / ٧٥ - ٧٦ - ٦٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٦١ - ١٨٥ - ٢٢٠

الخزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية / ٤٦ - ٤٣ - الزمرة للأفندي •

قسي المبتصع كاسنان له مكابته ، كما كانت وراءه فشله كمعبات افتتعه  
 عمودين البيض وقلوب الميالات \* فهي اذن نقلة بعد \* \* \* \* \* وقد الأحد زان  
 التي تكالبت على الشاعر وحصرت تفكيره في ايجاد طريقة العيش واثبات الوجود \*  
 هذا الوجود المتأرجح بين الموت المصنوع له وبين الموت المادى عن طريق التهايمية  
 المحتومة بالقتل والتمثيل أحيانا \*

وضح أن مجيئ الاسلام خفف من حدة الشعور بهذه العقدة ، الا أنه - رغم  
 عدالة أفكاره ومبادئه - لم يستطع القضاء عليها أو محوها \* وسنرى فيما بعد  
 كيف أنها ستكون وراء هذا الارث الشعري الأسود الذى كان يسدوره بصوت الاحتجاج  
 على المبتصع \* وعلى الحياة البائسة اليائسة التي عاشها ومازال يعيشها \* \* \* \* \*  
 ولذلك نرى عطرة يريد أن يفتح قبيلته أولاً ، وعجلة ثانياً ، أن يبيض فمالسه  
 قعيبة بأن تصحسوا لونه \* \* \* \* \* وأن لمان سيفه وجرائحه في الممارك كهيكل  
 بأن يمشى عار عوديته \* فهو يطل - رغم سواده - وليس السواد بمسز  
 ولا يخل لمكابته ، وبأن يكون كذلك \* وهذه الذخمة كثيراً ما تسمى بالتمرد  
 في أشعار سحيم ونصيب وكثير غيرهم من الطائفة نفسها \*

٢- المبته الطبقسي : وكما كانت عقدة اللون وراء مآسي الشاعر الأسود كانت وراء  
 تصنيفه في الطبقة الدنيا من طبقات المبتصع ، أى طبقة  
 الصبيد \* هذه اليهودية التي لحقتهم من أمهاتهم الأماء \* فعدترة مهمما  
 حقق من انحصارات للقبيلة ، كانت سبباً في حفظ شرفها مرات عدة ، ما يزال قسي  
 يذمهم ابن زبيبة \* والأمرفضه يتكرر مع ابن شكله ، وابن لبه ، وابن السلطنة  
 وهذا السبب القائم وقف حائلاً بينهم وبين التصالح التام مع مجتمعهم \* وبالتالي بينهم  
 وبين محاولة تصعيد معادلاتهم ورضائهم في كثير من الأحيان ، ومن ثم الولوج الى قلب  
 المرأة ، والتعلق بهما وحبها حباً وجدانياً يحمل شفاقة العذريين \*

فإذا ما حاول عدترة السير قدما في هذا الطريق ، والتصك بأهداف الحزب  
 التظريف السامى المبادق \* لاقى الاعراض والتصع من علة ، كما لاقى الذل والهوان  
 من قبيلتها \* مثلما لاقى نصيب بعده التمك والسخرية اللاذعة حين أمضى  
 الشوق ، وأشمس نار قلبه البرد والحين ، وتمثل عن قبيد أو غير قبيد خطى  
 العذريين \*

٣- الفقر : والفقر هو الحاصل الناتج أو المحصلة الطبيعية لما سبق  
 \* فكما اشتكوا من السواد واليهودية \* \* \* \* \* اشتكوا بالتالي من الفقر  
 الذى لازم هاتين المصفتين \* وكان سبباً في مد أيديهم الى الناس وسؤالهم على  
 مآسي السؤال من مذلة \* \* \* \* \* كما كان سبباً في تذلفهم للسلطة والسادة تذلفها

ويصفوه في كلمات وأشعار كانت تحمل في كثير من الأحيان حقد المكبروت...  
 وسخرية من سلطان كبير أسكتت غروره بها \* كما كان يراء<sup>(١)</sup> تصمك بعضهم  
 كالسليك ، وبراء<sup>(٢)</sup> نوع من " التصمك الذليل " كأبي دلامة \* ومع أنهم كان لكل  
 واحد منهم طريقة في الصيغ في الحياة ... وفي التغلب على بعضهم المادى  
 والمصنوع ... كانوا الى حد كبير " ملتحقين بطبقتهم " وقد التفتوا الى الحياة  
 من حولهم بما فيها من خير وشر " وقرهم الحميم من الحياة جعلهم يمثلون  
 تيارا ماديا صلبا وسط روحانيات الحياة " \*

ولهذه الأسباب متعة ، الى جانب ما أثارتها من أسباب فرجة ، عيش  
 السود على حافة العبث وليس في وسطه ... عدد الناس وليس بينهم ...  
 ولا غرو بعد ذلك أن نجد أكثرهم بعيدا عن تيار الايجابية في الحب \* وربما  
 أعطتها الرواية التالية التي نقلتها الأغانى دليلا على ذلك ، كما أعطتها دليلا  
 آخر على السخرية والتمك الذي تان يلحق بهم اذا ما حارلوا أن يعيشوا  
 بهم ، وان يتركوا لصراطهم الحيدان ، وأن يعيشوا بما يحتمل في قلوبهم الحزينة \*

فلقد روى أحد من قائلها " فدوت يوما الى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة  
 وهو محتل بالرحبة ، فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا ، فأناه فقال له : ذاك التصيب  
 منذ ثلاث بالقرش من ملك متدد كأنه والده في أثرقوم شاعين \* فنهض أبو عبيدة  
 وطربنا معه \* فاذا تصيب على الحجر من صقر ، فلما عابنا ورفأبا عبيدة هبط  
 فسأله عن أمره ، فأخبره أنه صبح قوما سائقين ، وأنه وجد آثارهم وصل بهم بالقرش  
 فاستولمهم ذلك \* فضحت أبو عبيدة والقوم وهو يقول : انما يهتر اذا عشق من انتسب  
 عزيزا ، فأما انت فمالت ولها ذاك فاستحيا وسكن<sup>(٣)</sup>

فهبل يحرق لها هذه الطبقة المقهورة ، المخلوبة على أمرها ، التي  
 صاحبها التوتر الدائم لما لقيته في حياتها ... هل يحق لها أن تذوق طعم  
 الاستقرار والراحة \* هل يحق لها أن تطلق عواطفها من سجنها \* هل يحق لها  
 التعلق بمحبوبة ، وأن تتسحب الى هذه الدنيا التي عرف عن أصحابها سائر لما عرف  
 الاستقرار النفسي وبالتالى العاطفي ...

مامر معنا من الملابس التي اعتزمت حياة السود تؤكد بعدهم من هذه المدرسة  
 عمرا ... لأن الناس ... وفق تقاليد المجتمع آنذاك ... أصناف وهم من الهدف الذي فوس عليه

- ١ - حياة الشمر في الكوفة / ٤٧٦
- ٢ - الشمر في اليوم / ٦٧٩
- ٣ - الأغانى / ٢٤٤

الحظير، والحد، والعاظفي خميسا • وهم ان حاولوا التمرد على هذا  
التعريف، وحاولوا رفض اليهود لا قوا ملاقاته لئيب من سخوية وتهمكم •••• وما  
لاقاه عترة من فشل في حبه ••• وما لاقاه سحيم وغيره من لم يمسسه  
مفجسة •

على أننا - ورغم كل ما تقدم - لانعدم أصواتا حاولت تصعيد رغباتها  
ويولها مفتحتات المجدح و وأجبت بصدق واخلاق وديمومة، وبكت وشكست  
وتذكرت وأضهها الشوق والحد من شأنها في الحب شان الشعراء المذريين • حتى  
أنها صاقت معهم في كثير من الخصائص وكان أصدا حبهما صوت عترة بن شداد  
وتحصه نصيب الأكبر ثم تصههم قلدة من الشعراء الذين اختلفوا في أمور عن المدرعة  
العدوية، لكنهم لا سرا ••• من بعيد أو قريب ••• بعض خصائصها ••• ولذلك فلا  
بأس من المسرور بهم لتكون قد وفيدا البعث حقه ••• وفيها ان شعراء حقهم  
أيضا •

وحب عترة في هذا الميدان حب فريد من نوعه، ولا سيما في ذابفة ••  
سما به فوق عالم المادة ، وتالسخ من خلاله الى حريته فكان باعنا ومحرنا ومثورا  
ليلها ومن ثم تحقيق ذاته • لقد أحب ابنة عمه مالك بن قراد الذي هو سيد  
من سادة عيس • وقد دافع عن حبه لها دفاع المستعيت وهو البطش بل  
المثوار الذي كانت تصفجند التهيئة به وقت الحابة، ثم تسمى بعنتها حين  
يتضسى لها تلك الحابة •

وعترة في حبه لهيلة عاشق ولهان ، يزيي لها القوافي، ويقرب لها الاشعار  
التي تصعد حبهما وتحيط به فمن اطار من العفقه حتى نراه يدنو بشدة من جميل  
وأصحابه ويشترت معهم في خصائصها :

آ... قصير قفايد بعينها طن النزل : فبيله موجدة في أشعاره كلها ••• فسي  
الحرب والسلام ، في الويف والفخر والحكمة ثم في النزل ••• وفي الأبيات  
التالفة مختصر لحب كبير رضي معه بالقليل القليل :

مدل قريبي حادث الدهر بالهد	إذا رشتت قلبني سهام من الهد
ولا قيت جيش الشوق بنفردا رحدى	لبست لها درعا من الدهر مانع بها
ولو بات يسرى في الظلام طن خدى	وتلطفك يد يا جميل قلده •••
على كهد حوى ت ذوب من الوهد	فبالله يارب الحجاز تلفس •••
فحسي بني عمن طس الكم السعدى	وما برق ان عرضت من جانب الحمس
فكن أنت في أكتافها ل نير الوقعد	وان خمدت ديران علة موه •••
يذكرها أني مقهم على المههد	وخل الندى يتهيل فوق خيامها

رقدت وما مئّلتُ صورتها هدى  
 ينوح عيسى فحسن وطيب من الرد  
 كمثل الذم أخفى ويهدى الذي أبدى  
 قتهل غرام لا يوشد في اللحد (١)

هدمت اللقا ان كنت بعد فراقها  
 وما شاق قلبي في الدجا غير طائر  
 به مثل ما به فهو يخفى عن الجوى  
 ألا قاتل الله الهوى كسهم بسوقه

٢- فسر حبه على فتاة بعينها :

فقد أجمعت كتب الأدب التي تحدث عن عترته على أنه أخلص وداده دوما  
 وأبدا لابنه عنه علة، وهو دائم الحديث عنها وأسير هواها يخاطبها فيقول:  
 اني امرؤ سمح الخلق... ما بد  
 ولكن سألت بهذا علة خبثت  
 وأجيبها إنا دعيت لعظيم...  
 لا أتبع النفس اللجني...  
 أن لا أريد من النساء...  
 وأعيرها ولكنني... (٢)

وهو دائم ما يبثها حبه ، ولواعين قلبه ، فاذا ما شعر بفتورها بهواد اعراض  
 تلوح هبها ، تسبح بالحجة الى جانب العاطفة ، وحاول اقناعها بأنه جدير بها  
 وجدديتوبه . وهمل هناك من يفضله شجاعة وقوة بأسا وعبارة شبي الرأى  
 وهذا في النظر وجامعا لكل أنواع المكرمات والفضائل :

وصلت حالي بالذي أنا أمه  
 يا عدل كم من فترة باشرت بها  
 فيها لوائح لوشب دت زماها  
 أما تريني قد دخلت ومن يكن  
 من ودّها وأنا رخي المطول  
 بالنفس ما كادت لهرك تدي  
 لسوت بعد تخضب وتكحل  
 فرضا لا طراف الأسد يد (٣)

٣- الاذعان والخشوع في الحب ، والتذلل للمحبوب :

ولا يجد المحبون المذريون غضاضة في التذلل لمحبياتهم طالبا للتسرب  
 ولكسب الوّد . فقد جملوا من مقاييس صدق العاطفة والخشوع في الحب  
 والاستسلام لأمره ، ثم أسرى في حسب من يهبون لا يملكون تصرفا ولا يحصلون  
 منها . "ولذلك يصعد صاحب الزمرة الى تخميم باب لهاذا الموضع تحت عنوان  
 التذلل للحبوب من شيم الأديب" (٥) والسبب في ذلك هو عترة رغم شدة  
 بأسه والاعتراف في الحروب ولم يجد في الخشوع لحب علة مذلة . فلا شموخ ولا كبرياء

١- الفزل في العصر الجاهلي / ١٩١ - ١٩٧ (٢) ديوان عترة / ٢٠٨

٢- المصدر نفسه / ٢٥٥

٤- دراسة الحب في الأدب العربي / ١ / ٩١

٥- الزمرة / ١ / ٥٢ - الباب السادس .

في الحب • وعثرة اذا ما تودد الى علة وأذعن لحيبها عن رضى ورفاعة عبر  
عن ذلك بصورة غير مباشرة ، وهذا للمصنف في أشعاره كلها تقريبا ، أو بصورة مباشرة  
وبسراحة كقوله راجيا وصحيفا •

لا تصوميني يا عبدل راجعي	في البصيرة بضرة المتأمل
قلرب أملح منك دلاً فاعلمي	وأقر في الدنيا لعين المبطل
وصلت حبا لي بالذي أنا أهله	من ردها وأنا رخي الطول (١)

٤- والتذلل والخضوع للحيب بحد المحذرين ينقلنا الى صفة أخرى ترتبط به مباشرة  
فهم اذا ما خضعوا مرفعين للحيب فلأن فيه من صفات الاجلال والتأثير الغلاب  
والجاذبية مالا يمكن مقاومته أو الافلات منه • حتى ان عثرة بفعل هذا التأثير  
تراه صلوب العقل ، لمجرد أن اطلت عليه علة بثورها العذب المتبل حتى ومسو  
في ساحة الرفس ، والفرسان مشبكة برحى الحرب دائرة يرى في لعنان السيوف  
اشراقه ثورها فيود تقبل (٢) :

اذ تستهيك بأهلي ناعم	عذب مقبله لذيد الملمع
ولقد ذكرتك والرماح نواهل	مني وهيب الهند تقطر من دمي
فسوددت تقبل السيوف لايتها	لمحت كسارق ثغرك المبعث (٢)

٥- الشكوى من العذال

واشكى عثرة كالمحذرين من العذال الذين كدروا عليه ، فهو الحبيب وحاووا  
أن يثروا علة عن هذا الحب ••• لكنه من جهته لا يابه ليسانسهم بل  
على الحكيم زاده تميمي وعادا في حبه ، أما علة فيبدو أنها أعتهم اذا  
صافيه فيخاطبها قائلاً :

قلن صرمت الحبل يا بنة مالك	وسمعت في مقالة العذال (٣)
قلعصر جددك اني لعمايي	لبي وانى للطوك لقال لي

٦- الاستمالة بالرسول :

وعثرة اذا ما خاف الرشاة والعذال ، فانه يحاول كتمان ما في قلبه ويستخفي  
عن اللقاء المباشر مستعينا بالرسول ليتكفله امرها :

١- ديوان عثرة / ٢٥٤ - ٢٥٥

٢- القرومية في الشعر الجاهلي : نوري حمودي القوسي / ٢٨٢

٣- العذوان / ٣٢٦



حرفستلي وليتها لم قصرت  
فتحصسي أخبارها لي واطم  
والشاة مُمكدة لَمَنْ هو مُرتَم (١)

ياشاة ما تقم لي لمن حلت لسه  
فمحت جارتي فقلت لها اذهي  
قالت وأهست من الأيادي مرة

وهترة في هذا الحب كله من ادق العاطفة نقي الفؤاد ، دائم الحنين والتذكار  
للهمة . . . فهي معه في حله وترحاله ، في برمه ويقتضيه ، في السلم  
والحرب يستعد من حبها المصيف القوة ، كما يستمد منه التصميم والتحدى . حتى أنه  
كان باعثا له على محامد الأشمال ، ومكارم الأخلاق ، وإذا ما أردنا أن نرسم صورة  
لمنترة من خلال شعره الذي اخطت فيه صفات البطولة بملاح العفة والتفويض  
عن الدنيا ، رأيناه يمثل المثال الاعلى للانسان . . . كما رأيناه في حب . . .  
يمثل أعلى وأكمل صورة في الحب ، هذا الحب الذي عكس صوراً شتى . . . صورة  
مثل أخلاقية الصربي المصوم فيما يعصب وما يكره ، وصورة يخطط فيها الفخسر  
بالحب وفايته اقناع المصمم القلبي بوجوده كإنسان ذي قيمة لا كجسد . . . فإذا ما  
اعترفوا بوجوده وبأنه فارس القبيلة أفضى بهم به دارته بحب عملة كونه الشاب الأكثر  
كمالاً في القبيلة .

سمح مخالفتي اذا لم أظلم  
مر مذاقتة كطعم الحلقم  
ركد الهوا رب المشرف المصلم  
قربت بأزهر في الشمال مقدم  
طالي وعرضي وافر لم يكلم  
وكما علمت شمالي وتكلم  
ان كنت جاهلة بما لم تعلم  
نبيح تصاوة الكماة مكل  
ياوى الى حيد العيسى ع روم  
أش من وأحف عند النختم (٢)

أذني علي بما غلبت ثباتني  
فاذا ظلمت فان ظلمي باسأل  
ولقد شربت من الدامة بعدما  
بزجاجة صفراء ذات أسيرة  
فاذا شربت فاني صتيرد . . .  
واذا صحتوت فما أظهر من ندى  
مسلاً سألت الخيل يا بعة مالك  
اذ لا أزال على رحابة سابيح  
طورا يفرق للظمان ودساره  
يخبرك من شهيد الرقائق أذني

وفي هذه الأبيات لخص منترة مجموعة من الشائل والصفات التي كانت مجال فخر القبائل  
كلها ، والتي قريته . . . بالتالي . . . من صفة الكمال .  
ولم يكن عترة الوحيد من بين الشعراء السود الذين كانت لهم صلوات قرابة شعرية

١ - ديوان عترة ٢١٣ - ٢١٤

٢ - المصدر نفسه ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥

صح أصحاب المدرسة العزيرة باتفاقه معهم في بعض الخصائص ، بل رافقه في هذه الطريق شعراء آخرون لا صورا يرفق عفيفة خصائص المدرسة المذكورة . . . ولم يكن نصيب الأكراب من هؤلاء الذين أحبوها فكثرت قلوبهم بنار الحب والامه من بُعد وفرقة ومبصر . . . فتألم ويكس وكان بكأوه فيه الكسير من اللوعة حتى اذا ما تكاثرت عليه الام الوجد والصباية ، ولم يشعروا بحلاوة الحب لسدب حظه وحظ أمثاله الى حد قوله :

ساكنين اهل العشق ما كنت أشتري  
جميع حياة العاشقين بدينهم (1)

اشددة الشوق والهوى يتزامن في كثير من الأحيان بين طيات شعور الفزائل عند الشعراء السود ، ولا سيما الورداني مدسه . . . وكأنهم بذلك يريدون أن يحمدوا حبهم للمرأة . . . ومع همومهم الذاتية منها والعامه . . . ولا شك أن المد والتمسح الذي هوأ في توددهم للمرأة ، والمرأة البيضاء خاصة . . . لزم عدسه في كثير من الأحيان شدة في التحلق وزيادة في الشوق الذي وصفه الجنكوك بأدبه فوق طاقتيه .

لو أن لسي صهرما أو عدهما بزعي  
لا أحمل اللوم فيها والشرام بها  
اذا دعا باسمها دأح فأسمني  
ولم يكن نصيب الأصغر بأقل من المحكوك تأثرا  
المصنف فقال :

لقد سامني طرفي قد خرف نفسه  
فلم استطع سيرا لما بي من الهوى  
فيا بوس من نأى عن الالف داره  
وازداد شوقا حين أدنو توحشا  
وأذهب ما أكلت بين الدوانسج  
ولم يخف ما أضمرت والقلب فاضح  
ربابوس من في القلب كالمسناج  
لغاذ بوشك البين منك ورايح (2)

واذا ما اشتد الشوق واليهام بنصيب الأكراب طراه يلبس دعوة الاحرام . . . لكنه هذه المرة ان يحرم طلبها للاستغفار مما طلق به من ذنوب كثيرة من المحرمين . . . بل من اجل الدعاء والرجاء من الله أن يحمسه بمن يحب ، وبعد ذلك ، فليحاسبه الله كما يشاء وهو أرحم الراحمين :

دعا المحرمون الله يستغفروه  
بمكة يوما أن يُمحى ذنوبهم

١ - شعور نصيب / ١٢٢

٢ - شعور المحكوك / ٧٨ - ديوانسه / ٥٧

٣ - ليليات الشعراء / ١٥٥

(١)

وناديت أيا رياه أول سؤلتي لنفسي ليلس ثم أنت حسيبها

٢- وهم دائمو الشكرى والتكلم من محبوباتهم، وليس من أمامهم إذ ذاك إلا الهيب زيب  
من الخضوع والا ذعان لهذا الحب والتذلل لصاحبه، ربما يلين القلب وتسررق  
النفوس فتجسود بشي من الوصال، وأول ما يطالعنا هنا صوت الصياد  
حين يتوجسه الر صاحبيه يسألها أن ينشرا حبه منح العامرية وستة النساء  
الخبر... هل مازالت على الصهد أم تقاعدت الأسباب، ومهما كانت النتائج  
فهم ومقهم على الصهد ومنتظر لحظة الرضى •

أيهن لديها الزدأم يتقضب

ولكنه عن رقبة يتدسب

لكم راه من دوتكم مترقب

ولو صدر من في حبالك مشب (٢)

خليسي زورا العامرية فانثرا

وقولا لها ان يمد لك فلا قلى

يرى دوتكم من يتقي وهو السرف

فصد وما يستطيع هرمك أدسه

وهو دائم التفكير في أمرها ، هل هي مستمرة في حبه ؟ أم أصاب قلبها المد ؟

فان لم تول على الصهد فهو في مأمن ومدى من قرة الحرمان ، والام النأى :

وقل ان تعليسا فما مدك القلب

قديما ونأى الدار يطلبه القرب

فلا مثل مالا قيت من حيكم حاب

عابك من عانيت فيما له عتب

لذى وده ذنب وليس له ذنب (٣)

ألم بزيت قبل ان يرحل الركب

وقل ان قرب الدار يطلبه العدى

وقل ان لل بالوذ منه محبة

وقل في تجيبها لك الذنب انما

فمن شام رام الوصل أو قال ضالما

والنأى هو مصدر الخوف دائضا بالنسبة للمحبين ، وسرته أفتح من أن يحفظها المعبون •

ولها ذاتى لصيب يستعين برقيقه عليها يخفها من وطأة السذاب :

بزيت لا تفقد كما أبدا كصب

فداة فدعها دعا أهلها تكب

اسلم لنا في حبا أم حسرب

بساد وما فيه لمدع الذى شعب

فقلت : كذبتم ليس لي دوتها حصب (٤)

خليسي من كصب ألما مد يتما

من اليوم زورها فان ركابنا

وقولا لها يأم عثمان خلستي

وقولا لها ما في الهماد لذى الهوى

وقال رجال حبه من طلابها

٢ المصدر نفسه / ٦١ والربيع المحاذية  
والسظار

١ المصدر نفسه / ٦٢

٤ المصدر نفسه / ٦٠

٢ المصدر نفسه / ٦٠

وهي وان احسن منها ملل في أثره تباعد . . . وتباعد في أثره قطع . . . عاد  
مهيض البناح مكسر الخاطر ، وهل عن الشكي أنشد من بديل . . . ؟ . . .

ألا أن ليلس الحامرية أصبحت طس النأي مني ذنب غيري تتعجم  
وما ذاك من شمي\* أكون احترمه اليها فتزيني به حيث أطمعهم  
ولكن اسانا اذا مل صاحبها وحاول حروما لم يحزل يتجسس . . .

وكما هي الحال عند نصيب هي عند ع . . . فكم من مخرج وصيد . . . ونأي وقطع . . . رغم  
ما في قلبه من حبهما ، ورغم ما واجهه من لوم وعتاب على شدة تعلقه بهما :

يا أم عمر لا تذي صرما وكيف تصرمين حبل من يصم . . .  
وذاك جهيل بل الأنا قاتلنا حبتك أن حبتك قد . . .  
باكرني بسحرة عراذلي ولمهتق خبل من الخبل  
يلمني في عارة ذكرتيها في عصر ازمان ودمر قد نسل (٦)

وطسي بن جبلة يتحمل . . . طس منهن . . . فاقها ، وهو طس يقين من أنها لا تريد  
من حرمانه وألمه إلا لأنها تعرف منزلتها ومكانتها عنده ، فتدلل وتمعن فسي  
بعدها عنه وفي هذا سوء . . . وأى . . .

تسي\* ولا تستكر السوء انبها تدل بما تلهوه عدى وتعرف (٣)  
فمن أين ماستطافتها لا ترق لسي ومن أين ما جريت صبري يذبحف

٣ - وللوشاة دور . . . وان صغر . . . في غزل السود . . . ألا يكفيهم غضب القدر عليهم  
حتى يسائده غضب البشر . . . هؤلاء الذين رموا الفتحة بين المحبين ، فاشتكس  
منهم نصيب كما اشكى من قبله جميل وتيس وغيرهم ، وهو لها إذا يكتم أمر حبه  
خوفا ، وأهدا .

وما زال بي ما يحدث النأي والنذى وأعلى حتى كدت بالعيش أب . . . رم  
وما زال بي الكتمان حتى كأني يربح . . . واب السائلني عنك أعجم  
لاسلم من قول الوشاة وتسلمي . . . سلمتني وهل حي من الناس يسلم (٤)

ولم يمت معبته بأقل خوفا وحذرا من أولئك الوشاة . . . فلم من مرة راودتها بنسبها  
بالويل إلا أنها كانت تتراجع وتفضل الصمت والابتعاد رغم ما في قلبها من لوعة وحسب ،  
ورغم ما في عينيها من دموع سواكب .

١ . . . شهر نصيب / ١٦٦ . . .  
٢ . . . شهر طسي بن جبلة / ٨٥ . . . الديوان / ٥٩  
٤ . . . شهر نصيب . . . ب / ١٦٦

رقت لها كما تعلمني  
 ولما رأني والوشاة تحدرت  
 أخال بها التسليم ان لم تسلم  
 مداها خوفا ولم تكسلم (١)

حتى سجدهم عند بني الحسحاس الذي صورده لنا كتب الأدب اسانا معها لكسا  
 على اللذة ضارها عرض الحائط بتقاليد الصريح القبلي كلها ، مقترفا  
 الاقدام في سبيل الرسول الى المعصية . . . هذا الانسان العبد الذي اقترن  
 اسمه . . . في أكثر الأحيان . . . باللذة معها كان تعلمها ، ترك لنا بعض أبيات صور فيها  
 الجادب الآخر محبة ومن غزلهم . . . فهو قبح كل شيء انسان . . . وانسان  
 محب ذاق مرارة النأي واكتفى بنار البعاد وأضربه الشوق ، وأصابه الخوف والذعر  
 على فتاده التي دب المرء في أربابها ، وجدت مفردة على معيها فطفق يردد :

كل مال لو بهمه تبيع	ماذا يريد السقام من قمر
أماله في الرثاق مفسح	ما يهني جاز في محاسنها
فريد فيه المال والبذع	غير ممن لو بهما وصفها
ها أنا دون الحبيب يا وبيح	لو كان يهني الفداء قلت له

ولكن ما حسب هذا الشعر الا طفرة ، رقت فيها مشاعره ، وسدت حتى صارت اللذة السديقة  
 وارتفع مع روحانية الجيب لحظات لم يلبث بعدها أن صاد الى طبيعته السديقة  
 التي تبدل في كالأرض ما يكون في الخزل الجفسي .

الغزل الحبسي عند الشعراء السود :

طبيعته = حين يتصد الشعراء الغزلي عن يبعوه الأصلي ،  
 المتعدل في التلقب الفياض بالمواطف الياشمة الرقيقة ، التي تصدح من الشاعر .  
 اساداً آخر مفرد الحسامية يسعدده القرب بولمه البعد ، تكببه الذكر .  
 وتترق الأمال المرجوه من فمه بسمه التفاؤل باللحمة . ات القادمة \* وتسرور  
 النظرة أو النصة الحانية غليله \* حين يتصد الشعراء الغزلي عن الخط  
 لينطرف بشدة ناحية التيار الماكس ، تتأجج في ديران الساطفة ، وفي دور  
 رباح أنجوس لتطهب بسياطها قلب الشاعر ، ولتلفح بوجهها وجهه ، وتتحرك  
 في أعاقبه قلقاً لا قرار له ، وتوتسرا بحيث يسكوده \* عند ذاك تتحكم به الذات  
 الدنيا " التي تمخط من أجل الحصول على الارتياح من التوتر " ويدب . . .  
 عن ذلك السلوك المحزون الدافع والمحزون ، وهذا ما يحدث فعلاً عندما يفقد  
 الشخص سيطرته الاعتيادية على شخصيته <sup>(١)</sup> هذا السلوك المحزون لا يبد أماته  
 إلا في الفنون في بحار من اللذة تعصي بهوره ويصيرته \* ليورد بعدها الأشياء  
 على السطح ، محملاً بتجربته شعرية بديعة قريبة ، نصف كامل لتجربته وما إناته ،  
 ضارباً عن الحائط بالأخلاق وقيمها . . . بالتقاليد وأعرافها \* لذلك كان هذا  
 النوع من الشعراء الغزلي الحبسي الذي يحكي تجربة الفرد البسيطة \* متأرجحاً بين  
 بين خصوم مدافعين عن الذم الأخلاقي ، والذي يرى في الخير والحق والجمال  
 صفات أساسية يجب بعثها في نفوس البشر بشيعة تحقيق المجتمع الفاضل . . .  
 مؤسدين معارضين لحبس الشاعر لمواطفه ضمن جدران من القيم والأخلاقيات ،  
 ومعلنين صريحاً بحاب مدرسة الأديب المكشوف بأن الأهداف ، والغايدة هي الفن  
 أينما وجد ، سواء في التعبير عما يختلج في الذات ، أو في التعبير لا حساساتها  
 وفي وصفه لما يسعددهما في هذا العالم وما يؤلمها منه .

ومن هنا عرف الغزل الحبسي بأنه الغزل المادي الذي أساسه حب تمتزج  
 به هوس شهوانية ، أو عاطف خالية من التحرج ، وأوصاف ربما لا يرضى عنها  
 الأديب المكشوف <sup>(٢)</sup>

وبذلك نستطيع أن نحدد معقومات هذا الغزل ، التي هي - باختصار - عكس

١ - نظم النفس التبري : كالفن - هول تعريبد \* دحام الكيال / ٤٦  
 ٢ - الأصول الفنية للأدب = عبد الحميد حسين / ٧٤ \*

لمقومات الحب الوجداني أو العذري والتي تتركز على :

١- المتعة = لاسيما المتجسدة في جسد المرأة •• هذه المتعة غير المحبوبة ••  
بمحدود •• وغير الخاضعة للقوانين والأعراف ••

٢- المادية المفرقة = وهذا يتف الخزل الجنسي على التقيس من الخزل  
الوجداني الذي ظف بخدمة حريضة سمعت فوق الشهوات •

٣- التمدد والتفعل = فهو لا يعترف بالحب الذي يقتصر على امرأة واحدة ••  
بحينها وإنما يتقبل عوئها •• اللذة •• وهيق حينها يستمتع  
بالخصن الدافي لأن اللذة هي الغاية والمهتد أفئما وجدت وحيثما حلّت •

٤- السباحة = فهو لا يهتم بتحليل نفسيّة الشاعر ولا المرأة أو الخوض في  
أعاقبها •• ولا يحفل بتدوير الأملها أو أمالهما •• بل

يقتصر على تحقيق مبدأ اللذة للذات الدنيا في الشاعر •• والتي يقتصر  
عليها على " " الأعداد للمقاومة المبرهنة لكميات التهور والتوتر التي  
أطلقت في الكائن الحي بواسطة هذه داخله أو خارجيه (١)

نشأته ، جسمه ، شعراؤه = امتدّ الشعر الخزلي الجنسي على رقصة  
لا بأس بها من شعر الشعراء السود • ساعده على ذلك  
توفر أكثر من دافع كان حرجاً أن يدفهم في هذا الذوق • فكما كان أصلهم وسببهم  
رقصهم وعبوديتهم •• فتروهم ووشهم •• توترهم وقلقهم وراء ابتعاد كثير منهم  
عن سبيل الخزل الوجداني عموماً •• كانت هذه الأسباب مجتمعة وراء من اتجه  
سواء بالخزل الجنسي •

١- فقد كان يرجح معظم هؤلاء الشعراء إلى الأبحار •• ولا سيما زعيم مدرسة  
الصدوقين سحيم " • ومن المعروف عن الأبحار وهم في ذلك كسائر الشعراء  
القطرية ، أنهم سرسوا التعبير عن انفعالهم (٢) والعيشي بطبيعة يميل إلى  
الخزل الدافع الذي يوصل أحياناً إلى المذون كونهم أمّة تهسر على الفلرة ولا يتوزعون  
في التعبير عن انفعالهم (٣)

وكان للشرب مع الحشمة صلوات قبل الإسلام حين ساد هؤلاء على بلاد اليمن ••  
منذ القرن الأول ، وبعد الإسلام حين توجهت قوافل من المسلمين الأوائل بأمر من ••

١- علم النفس الأدبي ٢٢

٢- بين الحشمة والشرب ١١٠ - ١٢٤

٣- المصدر نفسه ١١٠ - ١٢٤

بهم الخزييم الى بلاد العيشة للاحتفاء بهم من شلم كفار قريش \*

والصرب كانت تعرف فيهم طابعهم العيايه الى شدة الانفعال بالأمير

السدي كان وراء رفض الخليفة عثمان سراة الصيد بحيم ، حين كتب الى عبدالله  
ابن ابي ربيعة انه قد ابتاعه له فقال : " لا حاجة لي به فاردده  
فاخذا قري اري اصل الصيد الشاعر ان شبع أن يشهد بفسادهم ، وان يداع  
أن يهدد بهم " (١)

٢ - في رؤيتهم الاجتماعية الناجمة عن كونهم طبقة عبيد مسخرة لتمامهم في  
الظلم بشتى أشكاله ، كما تعاضى الفقر بكل صورته كاهت وراء الدوافع  
النفسية فيير المباشرة في اتجاه بعضهم سبيل الخزل الحسي . ففي أعماق  
كل انسان ذات دنيا هي موطن الخرائز التي تتحكم بتصرفاته وحياته ، ولا تعكس  
بالتوازي والمداسق العقول ، كما أنها لا تمسك قيما أدبية وفلسفية أخلاقية (٢)  
وهي " مشتقة من اعتبار واحد فقط وهو انشائها للحايات الفرزبية (٣)  
الأخذ به من الاعتبار مبدأ اللذة " .

ولكن بجماح هذه الخرائز لا يند من حيثها لاستعدادها  
أو تحويلها الى " ادوات اجتماعية نافعة ولشرق ثقافية خلقة " (٤) ولصعدها  
لا يند من وجود ظروف مساعدة وموانع سواء مما يمنع من داخل الانسان بما يريته  
من الجاهل أو ما يأتي من خاتم الذات من المحيط الخارجي .  
فهل توفرت هذه الظروف لشعراء هذه الطبقة ؟

لقد فتح الشعراء السود عيونهم على الحياة عبيدا ، وخلقوا وفي  
أيديهم قيود المصاع ، وبالتالي طغى راحة الصبيد ، رغم محاولة كثير منهم  
مواجهة المجتمع بقوى جبارة أراد من ورائها اثبات وجوده ، ولكن  
مع ذلك بقى وجوده متذبذبا قلنا . ومع حياة العبودية هذه ، ومع  
تجزؤ من اذلال واحتطيم نفس ، وقد رمادى وهوى ، كان بالأحرى لهؤلاء أن  
يعيشوا على حافة المجتمع ، كطبقة مرتدة بخيرها من أجل خدمتها .  
وبالتالي لم يستأيدوا خلق نوع من الظروف المساعدة على انماء شخصياتهم ومن ثم  
اعلام دوافعها وتصعيد فرائزها والحواس بها . . . . . نفا انطلق صوت الشاعر الحسي

١ - سطر الألكسي البكري ٢٢١ . الشعر والشعراء ٢٦٦/١ البيان والبيان ٢١/١

خزانة الأدب ١٠٢/٢ - الأقاليم ٢٢٠ - ٢٢١

٢ - علم النفس التربوي ٢٧/٠

٣ - المبدأ الفلسفة ٤ ٩٥



فيما حُرِّمَ وفيما سُمِّيَتْ .

والرغم من أن هذه الأسباب مخصصة يخطف تأثيرها بين النساء  
وأخر من هؤلاء الشعراء . إلا أن الصفة العامة ، أو الداليل العام الذي  
نخص به من هذا اللون من الغزل ، هو هذه الصفة العامة التي  
اندلقت على شكل صيغة مشروطة من أعين أعناق هذه الطبقة ، محتملة  
بديل متشعبة بالنقمة والتشفي وتبريد الخضم والليل من عرضة .  
هناك من تبريح أكثر من ذلك الاعتراف ، في مخرج كان المذود فيه .  
الغزل هو الجهاد الأكبر ، لا سيما أعوان هذه الطبقة من الفتيان أو النساء  
من ذوات القوم والسادة ، الذين كانوا أولاً وأخيراً مصدر التلذذ الاجتماعي  
بالصحة اليميم .

ومهما يكن من أمر . . . ومهما تكن الرقعة التي امتدَّ عليها هذا النوع من  
الغزل ، ومهما يكن عدد الشعراء الذين تفسروا من خلاله ، ومحاولين كسر اللسوق  
الملتف حول أعناقهم . فإن أهميته تكمن في أنه تمييز عن السخط القابل . . .  
في أعناقهم ، والحقد الذي يعتدل في قلوبهم ، بل أنسبه الرفيق بكل  
ما يحمل من معاني . . . وفي الواقع الاليم ، وفي الخضم ، وفي الصبغة . . .  
ومن ثم رفض كل ما يبعد عنهم عن إنسانيتهم . . . بهم بشر قهيل كل شعبي . . .  
يريدون أن يحققوا ذواتهم . . . أن يعيشوا بين الناس لا عديم . . . في وسط  
المجتمع لا في زاوية معصية من زواياه .

وإطلاقاً من هذه الأهمية وهذه الدلالة للغزل البنسي . . .  
لا بد من التوقف عند منطوقه الرئيسية وهي معادلة سحيم عند بني الصحراء . . .  
ذلك أن هذا النوع من الغزل لم يكن فنا قائماً بذاته عند غيره من شعراء  
طبقاته ، بل جاء معاكراً بين فنون أخرى ومختطابها . . .

وهذا اللون هو المميز لشعر سحيم في العزلة . . . والمرأة المحشوقة . . .  
بالذات ، لأنه لم يكن للمرأة الأم أو الأخت الدور المميز أو المؤثر في حياتها . . .  
أو حياة غيره من طائفتها . . .

خصاك من الغزل البنسي عند سحيم :

أما الفحش في تصوير العلاقة بين الزميل والمرأة : وسحيم في هذا التصور . . .  
لا يبتدح حربياً في وصف ما ستر من أعضاء المرأة ، وإنما يمار ما خفي منها . . .

كما لا يوجد في هذه في تصوير علاقتهم بها تصويرا علنيا تشويها راحلة اللذذة  
وما قول سحيم التالي الأ تأكيد على ذلك .

وجفت نسبا ذاهُ الرِّيحُ تهاديا	وبنا وسادانا الى عداوة
على وتحوي ربتلها من ورائي	توسد لي كفاً وتثني بمحبتي
ولا ثوب الا بُردُها وردائها	وهبست لنا ربح الشمال بقرة
الى الحول حتى انسهن البُردُ بالوا (١)	فما زال بُردى طيباً من ثيابها

وكان تعلقه به الى اللذة لم يروى من خلال هذا التصوير لتعلقه بفتاته ، وقد أن  
بعضه يومها لا حدود له . لذلك يعود اليه وهو في هذه المرة أكثر . . .  
تصطفاً رجباً واشتياقاً بل جموحاً .

وأشهد عند الله أن قد رأيتها	وعشرين منها اصبعاً من ورائي
اقبلها للباين وأتق . . . بي	بها الريح والشفاف من عن شمالي (٢)

وهو في وصفه لأغصان المرأة لا يقل جرأة وفحشاً عن تصويره لعلاقتهم معها ، ويروق  
لنا أبو عبد دة معمر بن المتى بيتين لسحيم الذي اتهمه مولاه بابتدائه قبل . . .  
له في موضع آخر عن سحيم قال فيه (٣) . فلما اضطررتني نفس الصعداء وقد قال :

يا ذكوة مالك في الحاضر . . .	تذكرها وأنت في البسائر
من كل بهيمة لها كعشب	مثل سلام البكرة المائس (٤)

٢ . . . تصفية الاثر : وهو يعرض . . . رغم برأته في التصوير . . . على تصفية آثار  
لتأكله مع محبته ، وليس ذلك خجلاً أو حرصاً . . . بل  
خوفاً من ردة فعل أهلها اذا ما عرفوا الحقيقة :

وما شية مشي القلاة اصبحت	من الستر يخش أهلها أن تكلم
فقال له يا ويح غيرك أدني	سمعت كلامهم يقار البسما
فلفان ثوبه ونظرت عول . . .	ولم يخش هذا الليل أن يصرم
تفس بأثار الثياب مبيتنا	ولقط رفقاً من جهمان تحام (٥)

١ - ديوان سحيم / ١٩ - ٢٠ . العداوة = مشورة تبتدئ بالرميل . الحقن = جيل من الرمل

وصحوق أي معنى . . . تهاداه الريح : تعلقه من موضع الى موضع .

٢ - الديوان / ٢١ . . . ٢ - انديوان / ٢٤ قال : من التبولولة أي الاستراحة وقت التمشير

٤ - ديوان سحيم / ٢٤ . الكعيب : الفئ . المائر : المنابر .

٥ . . . الم . . . در . . . / ٢٥ .

٣- وصف المعشوقه وواجباتها : فكثيرا ما كان الشاعر العاشق يصف معشوقته  
وواجباتها اللواتي يراقبهن ٠٠٠ ولا بأس عد  
ذاك من التمتع برويتهن ، وحديثهن ، وبالتالي ، بحبهن الذي يهين ماسكهن  
من الام قلبه المعجروح بسببهن :

تبع من من شتى ثلاث وأربع  
وأقبلن من أخص الخيام يُعدنني  
يُعدن مريضا من مريض داءه  
روا من ربي مثل ما قد يريد نري  
ورواحدة حتى كملن ثمانية  
تواهد لم يعرفن خلقا سواها  
ألا إنما بعض السوائد دائيا  
وأخص على أكبادهن المكابيا (١)

ثم يصف مناعتها لهن وراودته اياهن فيقول :

تصارون سراكي وأبقين مذة يبا  
وقلن ألا يا الحبين ما لم يردك  
لعبن بدكداك خبيب كالبه  
وطار من حتى أرسل الحبي دابها  
وحتي استبان الفجر أشقر سادلها  
من المسح في سُحرى بنان مالها  
نُاس فانا قد أطلنا التفاني  
وألقين عن أم الفهم من الراديا  
وحتي بدا الصبح الذي كان تاليا (٢)  
فكان على أعلاه سببا يما يبا

فاذا ما آن وقت المخيب عنا الرحيل ، واستمدت كل واحدة للوداع بعد ان  
قضين وطرمسن :

فأدبرن يخفضن الشخوص كأنما  
وأصبحن صرعى في البودت كأنما  
قتلن قتلا أو أصبن الدواهد (٣)  
شربن مدا ما يُبذ من الناديا

وهو بالاصح ليس يقل من نشوة بعد ذاك اللقاء :

فجزيت نفسي وابتهت في وايتي  
مروجا اذا صام النهار كأنما (٥)  
وقريت حراوج المشية تاريا  
كسوت قذ ودى ناصح اللون تاريا (٤)

٤- نشوة الذكريات : فاذا ما تبدل الستار على وجهين اللقاء عند سحيم وثاب  
لشبهه عن عبيده ، فرق في بحر من الذكريات ٠٠ وتترك

لغياته الصنان في اعادة الصورة التي يريد ما ٠ والمشهد الذي يحبه ويفتله ،  
متشيا بتذوق اللذة ، لذة الذكرى ، ولصحيم من هذا التبيل ص ٠

١- الديوان / ٢٣-٢٤- والتواهد ج تاهد يقال : مهد ثدى المرأة لها ، ودا اذا اشرف وكف  
٢- المصدر نفسه / ٢٦-٢٧- الدكداك : رابية لينة لا تهلج أن تكون كثيبا .  
٣- المصدر نفسه / ٢٨- صرعى : كأنهم من سكارى المشبهين .  
٤- المصدر نفسه / ٢٨- صام النهار = طال . والتتود : عودان الرمال .  
٥- سحيم عند بني الحسحاس / ١٢٣ .

كثيرة تخدم العجوزين ، وتورن ما فيها في أعماقه من عواطف ، وتصويره لبلد ...  
منج لسوسة من بني صهر بن يرب من تكشف عن معدنه ، وتصويره على حقيقته .  
وقد كان من شأن مادته السوسة " اذا لسوا للخزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدة  
المعالبة . طس ابدا المحاسن (١) وهو عين يتذكر هذه اللمسة تجمع به

الصراطيف وكأنيبه في فورة اللقا ،  
كأن الصبيرات يوم لقيت ...  
وهن بنات القوم ان يشعروا بنا  
فكم قد شققنا من ردا مئثر  
اذا شق برد شق بالبرد برقع

وثورة اللذة العارمة المحترمة في الداخل ، والتي لم يستطع كتبتها في اعماقه ولم يكن  
ليطبق تحملها فهي اقوى من أن تحتمل . . . وهو ان حاول جاهدا الصمت أو الكبت  
خائنه ارادته اذا ما مرت لحظة مذسبة ، وانفجر كالبركان الثائر يلفظ ما في جوفه ،  
ثم لا يلبث ان يهدأ شيئا فشيئا مطمئا بالراحة النفسية التي غمرت كياهه وكأنيبه  
تخلص من حمل ثقيل كان مفروضا عليه :

وما في جوفه ليس اكثر من عواطف مكبوتة ، يخالطها حقد على كل شي طالما  
أن كرامته قد اتمهت كالسنان ، واستكرت عواطفه . مهط يكن نوعها . وسجن بين  
أريحة جدران من الرق والذل والفقر والعبودية . . . وهو لذلك يجد في تلك الاعراض  
لذة لا تفوقها لذة أخرى . . . كما يجد فيه سهيلا الى الانتقام ان لم يكن بالفعل فبالشعر .  
ان لم يكن بالحقيقة فبالخيال :

يا رب هجولك في الحاضر  
من كل حمراء جماليسنة  
تذكرها وانت في الصادر  
طيبة القادم والأخضر (٢)

ولا يقتصر خياله على تذكر لقاات الاس . . . بل يمتد به الى المستقبل ليمتطي أن يكون  
راعيا لجمال ابن ايم من ، ولكنها أمنية مشروطة بأن يحاط بمجموعة من الحسنات يستطيع  
أن يعزب لهن عن عواطفه دون حرج ويحذر غريزته دون خيال .

فيا ليتني من غير بلوى تصيبي  
وفي الشرطي لا اباع وانهم  
فأسيد كسلي بزها النوم نوبها  
فلما أبت لا تستغل ضممتها  
أكون لاجال ابن ايم راعيا  
يتولون عنق ياصيف العذاريا  
الى الصدر والملوك يلقي الملائيا  
ترى الحسن معها والملاحه باديا (٤)

(١) الديوان ١٥ /

(٢) المصدر نفسه ١٥ - ١٦ الداهرين = الدواهي

( ) المصدر نفسه ٥٧ / ٥٦ - الضبوق = شرب المشي • الحسيف = الاجير • بزها النوم =  
قلبا على عقلها فسقدا

٥ - التحدى والحناد : (١) وفي هذا اللون تظهر روح السيد الاليتقامية، فيشعر المرء به  
 وكأنه يتحدث باسم الصبيد جميعهم •• بل انه يمثل صرخة الالم المدوية في  
 وجه مجتمع السادة • هذه الصرخة التي تلتق بالتشفي مهط تكن النهاية ،  
 ومهط تحمل بين طياتها من العذاب أو حتى الموت •• وهذا ما يظهر واضحا  
 في قوله التالي حين عذبه قومه وأرادوا قتله •• فضحكت منه امرأة كان  
 بيته ويتبهدت هوى ••

فان تضحكي مني فيا رب ليلة تركتك فيها كالقبا المفسج (٢)

موت معنوى في الحياة ، يردفه موت جسدى ، فلماذا لا يتحدى القوم بسلاح فتاك  
 هو التشهير ، ولماذا لا يتحدى بكل ما اوتي من قوة ، ويمزج من هنك الاعراض •  
 ظالم ان النهاية لن تتغير •• والموت قتلا هو نهاية المطاف :

ان تقتلونى فقد اسخت اعينكم وقد أنهت حراما ما تظنون

وقد ضمتالى الاحشاء جارية عذب مقلها ما تصولون (٣)

وكما امعنوا في التعذيب والقهر ، كلما زاد في عنايه وتحديه •• أكثر صلابة وأكثر  
 اندفاع وثورة وغضا كالا عصار الجارف الذى يجرف بطريقة ما يعترضه ، حتى وهو  
 في اللحظات الاخيرة •• وسيف الموت مسلط فوق رقبة •• كل هذا لا يزيده الا  
 تحديا :

شدوا وثاق الجيد لا يفلتكم ان الحياة من الممات قريب

فلقد تحدر من جبين نياتكم عرق على ظهر الفراش وطيب (٤)

وكما رفع عنتره راية الفرسان ، وحاول ان يفسح - بسيفه - مكانا تحت الشمس لهؤلاء  
 السود •• وكما حاول ابراهيم المهدى بنسبه الطكي ان يسجل كلمة السود في سجل  
 التاريخ ، ويقتحم عتبة البلاط علوة ليصل الى سدة الخلافة •• وكما أراد أبودلامة -  
 " زعيم المتطرفين " وتلريف النداء " أن يعرف المجتمع والبلاط من خلال البسملة  
 التي تخفي وراءها مزيدا من السخرية والتهمك •• كما حاول كل هؤلاء أن يفسحوا  
 - رغبا عن الجميع - مكانا لا تقا لا خوتهم في النسب •• حاول سحيم - عبد بنى  
 الحساس أن يسمع صوتهم للعالم ، ويدافع باسمهم عن حقوقهم وعن انسانيتهم

(١) سحيم ، عبد بنى الحساس / ١٢٥٧  
 (٢) الديوان / ٥٦٧ - مخطوط المصنولين والاشراف / ٩٠  
 (٣) المصدر نفسه / ٥٩٧  
 (٤) مخطوط المصنولين / ٩٠ الديوان / ٦٠

وحيث لم يمر من الظروف ما يساعده على تحقيق فكرته وحلمه بالطرق السليمة ،  
لجأ الى هذا الاسلوب ، اسلوب التجريح ، تجريح الخصم بما يحتز به ، ويحافظ  
ويشار عليه . واسلوب الانتقام والتحدى حين لا يجدى الكلام الطيب ، ولا الملتق  
السليم . وليس مهبط حين ذاك أن يدفع حياته ثمناً لهذا الاسلوب . المهم  
أنه دافع عن طبقتة ، وحاول - رغم كل شيء - اثبات وجودها وفق طريقته الخاصة .

لقد استطاع سحيم أن يثطي بشعره بقعة كبيرة من المساحة الواسعة  
التي كان يحتلها هذا اللون الفزلي ، منذ عهد امرئ القيس من قبل ، حتى عمر  
بن ابي ربيعة من بعده . كما استطاع أن يبرز هذا الفن في أقصى صورته المكشوفة  
فيثطي ما تثار من أبيات عند شعراء طبقتة في هذا اللون ، ويرتقي السى  
الصفوف الاولى ، ويؤكد النظرة الحسية ، في أكثر جوانبها - الى المرأة . هذه  
النظرة التي لا ترى من المرأة سوى جسدها ، ومن جسدها سوى اللذة . الا أنها  
لم تكن وقتها على سحيم وحده ، أو على أصحاب مدرسة الأدب المكشوف فقط ، بل  
كانت تمثل قاسماً مشتركاً بين الشعراء الفزليين منذ عهد الجاهلية ، حين كان  
يقف الشاعر الجاهلي على الأطلال فيبكيها ويبكي ذكرياته من خلالها ، متسللاً  
من خلال ذلك كله الى نظرة نافذة الى محاسن الحبيبة فيصفها عضواً عضواً (١)  
وكثيراً ما يقف عند حدود هذا الجسد الخارجي دون محاولة استكشاف ما في  
الداخل ، وما يعتدل فيه من مشاعر .

الا أن هذا الاتفاق في النظرة الحسية الى المرأة بين اصحاب المدرستين  
من الفزليين ، لا يلغى الفرق الكبير بينهما ، لأن لم يكن في البداية ففي الغاية . .  
فبينما يصف عنترة أو نصيب أو سديف جسد المرأة لا يبرز ما فيه من جمال  
وتناسق والسجام ، فيحدد دون مقاييسهم في عالم الجمال ، ويصبرون عن تلمس  
ثاقب ، وذوق رفيع ، في اختيار الامل ، والأكثر جاذبية ، ويخرجون بالتالي صورة  
فنية تثير مطبع الابداع والالهام ، ترى في الطرف الآخر سحيم يصف هذا الجسد  
ليوقظ ما نام من شهوة ، ويورث ما خمد من لذة ، ويشعل ما انطفئ من جذوة الجنس .

ثم ان يتفق الطرفان في البداية ، فهذا أمر قد لا يثير جدلاً أو اعتراضاً  
إذا ما لصنا أن حرص الشعراء على وصف محاسن المرأة هو من قبيل تذوق الجمال  
بشئ صورته ، في الطبيعة ، وفي الكائنات الحية ، فكيف إذا كان هذا الجسد جسداً

وروحا ينبضان بالحياة والحيوية ؟ • • ولكن أن يختلفان، في الخاية — لا سيما وأنهم كان يعيشون ظروفًا متشابهة ، وآلا ما وآبلا مشاركة ، ويحملون متاعب كانت حصيلتها مشتركة — فهذا أمر يدعو إلى التساؤل والاستفسار • • وهذا التساؤل يقودنا إلى البحث عن طبيعة هذا الاختلاف ، أو طبيعة تلك الفوارق ، هذا إذا ما وضعنا سحيفا في طرف ، وغالبية الشعراء السود في الطرف الآخر • • كما أن طبيعة البحث تقود إلى افتراض طليين اثنين يحملان بين طياتهما تفسيراً أو بعض التفسير لوجود هذه الفوارق •

العامل الأول : يتعلق بالطبيعة البشرية ، والاختلاف الحاصل في الطباع بين أبناء الجنس الواحد • • هذا الاختلاف الذي يخضع لجملة من الظروف والعوامل الوراثية والمكتسبة ، والتي تتحكم في استجابة فرد لأمر معين وعدم استجابة آخر له • والتي تحدد — وفيما بعد — هلامح كل شخصية فتتميزها عن غيرها أو تدينها • • ومن خلال شخصية سحيم، نحرفنا على شخصية متميزة بين الشعراء السود جميعهم ، شخصية لم تستطع تقبل الأمر الواقع كما تقبله آخرون ، ولم ينظر إلى الحياة من منظورهم ، وهي وإن عرفت حقيقة هذه الحياة المتظرة إلا أنها لم تستطع الاستكانة إليها ، وقبولها على ما فيها من أهانة واستخفاف ، بل حاولت الاعتراض فاعترضت باللسان ، وجربت الثورة فثارت كهربكان هادرا اقتلع باندفاعه ما اعترضه ، بغض النظر عن قيمته الأخلاقية ، لأن من طبيعته الحياة البشرية أن تندو وتتطوور وتتغير ، ومحققه ما لديها من إمكانيات تلتصم بالظهور • • • • ولكن قد يحدث في بعض الأحيان أن يلتقي هذا النزوع البشري نحو التوسو والترقي بعض القوى الخارجية التي تحول دون انطلاقه ، وعندئذ سرعان ما تستحيل طاقة البناء المماتة إلى طاقة حيوية هدامة • (١) وهذا ما كان عند سحيم عند ما اعترض المجتمع على إنسانيته ، فلم تتقبل طبيعة تكوينه ما تقبله غيره فكان ما كان من نزوع نحو التحدي • •

العامل الثاني : زمني ، يشير إلى الفترة الزمنية التي عاشها كل من سحيم والشعراء من السود • • وتأثر كل من الطرفين بأحداث تلك الفترات • سحيم — كما حدثتنا الروايات — شاعر مخضرم عاش فترة لا بأس بها في الجاهلية ، استوت شاعريته خلالها وبرزت ، كما أدرك الإسلام • • والحياة الجاهلية بقيمتها

(١) مشكلات فلسفية / مشكلة الإيمان د • زكريا إبراهيم / ٢٣٣

وتقاليدها وأعرافها تختلف اختلافاً بيناً عما جاء به الإسلام، ولكنها — ومما لا شك فيه — أنها أثرت في النفوس تأثيراً كبيراً بحيث لم يستطع مجيء هذا الدين الجديد رغم علو منزلة مبادئه — محو آثار الجاهلية بالسرعة المتوخاة ومن هنا كان انطلاق لسان العهد فيما حرم رغم التهديدات التي اودت بحياته •• ولكن حالة سحيم هذه لا تستطيع تعميمها بحيث وجدنا من الشعراء السود من تشرب التعاليم الجديدة، واستطاع التخلص من آثار الجاهلية كما فعل عبدة بن الطبيب حين ترك لصويرة الجاهلية، وكما فعل خفاف، بحيث اشترك الاثنان في الفتوحات الإسلامية وكان لهما شأن كبير في حمل راية الإسلام ••

وقد نجد في هذا العامل عودة إلى العاقل الأول، حين لم يستطع التخلي عن جاهليته — رغم ادراكه الإسلام — فأطلق لسانه فيها حرمة •• وقصيده الهائبة أكبر دليل على ذلك •• بينما استطاع آخرون التخلص من آثارها مهن ومضى •



## الغزل الصاعى عند الشعراء السود :

كما كان للغزل الوجداني النخري مدرسة لها قوانينها التي تسيروا وقتها •• ولها اتباعها الذين يلتزمون بهذه القوانين قولاً وفعلاً • وكما كان للغزل الجسدي أتباع ومريدون نذروا أنفسهم للمتعة واللذة ، كان للغزل الصاعى تلاميذ برعوا في هذا الفن وأن لم يرعوا في ميدان الحب ، وصفوا المرأة وصفاً جميلاً وصرخوا بصواطفهم نحوها ، ولكن لم يكن لهم تجربة فعلية في هذا الميدان •• كل ذلك بدا واضحاً من خلال مقدمات غزلية كان في الغالب يفتتح الشاعر بها قصائده مهما اختلفت وتنوعت •

قيل في تعريف هذه المدرسة أنها " التي لم تؤت حظ الحب العميق ، ولكنها قلدت أرباب المدرستين ، وأخذت منهما فنشأ غزل يصدر من الشفتين لا عن القلب " (١) كما قيل عن الغزل الصاعى : " هو الذي لم تحبته عاطفة حب عذرى أو حسي • " (٢) ويفهم من هذين التعريفين أن قانون هذه المدرسة يهتم بالشكل أكثر من اهتمامهم بالضمون ، ويهتم بالكلمات أكثر من اهتمامه بالعواطف •• وبالتالي كان رواد هذه المدرسة ممن لم يعرفوا الحب العميق وإنما سمعوا عنه ، أو مروا به مروراً عابراً وشاهدوه بحيورهم لا بقلوبهم وحاولوا تقليداً بطلاله بألسنتهم لا بأفعالهم فلم يكتفوا بنساره ، ولم يتزوقوا حلاوة الوصل ومرارة الفراق والهجران •• وباختصار إن هؤلاء لم يعيشوا تجربة الحب بحلوها ومرها حقيقتها وإنما حاولوا أن يرسموا بخيالهم هذه التجربة ، فأجادوا التقليد وليس لا محلى ، وبالتالي أعطونا صوراً فنية جميلة كانت تنصدر القصائد المختلفة ولكنها ينقصها حرارة العاطفة وعنفها ••

هذه هي مدرسة الغزل الصاعى عموماً •• نظراً هو عند الشعراء السود منها :  
لقد اقتفى عدد لا بأس به من هؤلاء آثار هذه المدرسة •• والتمروا بقوانينها ، لكنهم استطاعوا من هذا الالتزام أن يدرخوا مشكلتهم الأصلية ، وأن يشيروا - ولو من طرف غفي - إلى ألوان القهر الذي لا قوه والحداب الذي ذاقوه في تجربتهم •• حتى تجربتهم الخيالية التي لم يمارسوها ، فحاولوا تصويب الأضغاث المدح طالما بقدمه غزلية بث فيها موهبه التي هي في الوقت نفسه موهوم طبقتة • حتى أننا نشعر من خلال هذه المقدمة الغزلية بعضها من تجربته العامة في الحياة ، فأمدت

(١) الغزل عند شعائهم / ٢٨

(٢) الغزل في العصر الجاهلي / ٢٥٧

بشيء من الحاطنة اكتسبتها صدقا لم يتوزر عدد غيرهم من غير طبقتهم، والسبب وراء كل ذلك هو واحد دائما، هذا السواد الذي يشبههم •• وهذا السبب الذي لحقهم من امهاتهم السوداء •• ينسب اليه التصيب الاصفر هذا الشعر المفلل الا شيب الذي يغطي مامته •• وهذا كاف في قاموس الحب بشكل خاص لان يحرم الشاعر الشعور بلذة الحب، والعيش كما يعيش الآخرون الذين منحهم المجتمع كل شيء •• فاذا ما مدح الفضل بن يحيى بن خالد استهل مدحه بمقدمة غزلية قال فيها :

طرقك مية والمزار شطيب      وتثيبك الهجران وهي قريب  
لله مية خلة لو انهما      تجزي الوداد بودنا وتثيب

ثم يتابع حديثه واصفا لمحاسن مية، واقفا على اطلالها التي امست فقرا يباليا بعد ان كانت في الامس القريب خصيبة ألوفة، وكان غضن الشاب اذ ذاك رطيبا تديبا، والقلب لروبا •• ولكن نبال مية، لقد استكثرت على الشاعر هذا الحب، وحجتها في ذلك هذا اللون الاسود، وهذا الشعر المفلل الببيض، وهذا قمين بأن يمدح الشاعر وأمثاله عن مساندة تجربة الحب وكافية لان تجرده من احساساته كالسان لسه الحق في ان يعيش كما يحلوه أو كما يعيش غيره، وأن يحب وفق مزاجه وهواه :

فلقد عهدت بك الإحلال بنهضة      والد هر غضن والجلاب خصيب  
اذ للشباب عطي من ورق الصبا      ذل واذ غضن الشاب رطيب  
وتقول مية ما لثلك والصبا      واللون اسود حالك غريب  
شاب الخراب وما أراك تشيب      وطلا بك الببيض الحسان هيب  
اعلاقة أسبا بهن وانما      أفنان رأسك نفل وزيب (١)

شعور حزين ذاك الذي ابتاب تصيب وهو يحكي قصته مع مية، وهو بعد في طريقه الى مدح احد اكابر القوم •• وهو الشعور نفسه الذي صاحب رفاقه الشعراء حتى وهم يقدون آيات الولا والطاعة لسادتهم •• هو الشعور ذاته الذي سوطر على تصيب الاصفر في مقطاته الخزلية التي سهقت امداحه في الخلفاء والامراء •

لقد وجب عليه أن يمدح أولي الامر منهم، لكنه في كل مرة يمدحهم فيها يسبق غزله امداحه، وفي كل مرة يشع من هذه المقدمات وهمج الالم، وتشيع منه مرارة الواقع رغم عطف الخليفة الممدوح، ورثم عداليا القصر، وفي مدحه لهارون الرشيد

دليل على ذلك :

خليلي اني ما يزال يشوقني  
فأقسمت لا أنس ليالي منعج  
أمن أجل آياتي ورسم كأنه  
جرى الدمع من عينك حتى كأنه  
تطيرن الحمى والذراعن المتحلل  
ولا بأس إذ منزل الحى ما سل  
بقية وحي أورداء مسلسل  
تحدرد ذرا وجبان مفصل ؟ (١)

وهو ان حاول نسيان الواقع قليلا ، واداعة نداء القلب ، جاء من يذكره ويمطعه من التبادى لانه من الحار على مثله ان يحب ، ومن العقل والحكمة أن يعتمد عن المرأة ، والمرأة البيضاء بالذات . . . اما عواطفه وقلبه وممارسة انسانيته فهذه امور يجب ألا تكون في الحسان لانها فوق تصور المجتمع . . .

فما أيها الزنجي طاك والصبا  
فمظك من اجهوشة لزنج قطعت  
ثم يدخل في لب الموضوع ، فيمدح ويقول :

قصدا امير المؤمنين ودونه  
مهاده مودة من الارض مجهل

والمدرسة الصناعية تضم الى من سبق شعراء وجدوا في المقدمات الشذوية طريقا سهلة ، ووسيلة للولوج في باب المدح ومن ثم التقرب عن هذا السبيل السى السلطة تقربا ليس غاية العادة والمسامرة . فهم ليسوا ممن يتقن هذا الفن . وانما طلبها للعيش حين تقصر ايديهم عن الوصول او طمعا في الحثق من رفق اليهودية حين لا يجدون الى هذا التعر سبيلا الاه . . . وغير من يمثلهم نسبي هذا المجال زبد بن الجون الذي اختلط لنفسه طريق النكامة والتطرف للوصول الى الخاية . . . واذنا ما خلا أولى خطوات هذا الطريق وجد في الخزل ماسهة لا بأس بها لاظهار عواطفه ، ومن ثم الوصول الى الخرض المطلوب والختاية المشودة . وهو حين يدخل على السماس مادحا ينشده قائلا :

قف ، بالديار واما الدهر لم تقف  
وما وقوفك في اطلال منزلة  
على المنازل بين الظهر والجبف  
لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف

ان كنت اصبحت مشغولاً بما كنتها فلا ورك لا تشفيك من شغف  
 دغذا وقل في الذي فاز من مضر بالمكرهات وشر غير مقتصر  
 هذرسالة شيخ من بني اسد يهدو والسلاط الى العباس في الصحف (١)  
 ثم يذهب الى وصف الجارية التي خطت رسالته الى العباس، ويصف بالتالي ردود فعل  
 الجبال الذي نظروه في هذه الجارية، وذلك في حوار ممتع اعتمد اسلوب الحكاية  
 السهل البسيط .

واذا ما دخل على المنصور ما دحا ، تقمص دور المحب الولهان الذي فعل فيه  
 البين ما فعل، فذهب بعقله من هول الصدمة ، وشرق فؤاده وصدعه :  
 ان الخليط اجدوا البين فالتجسوا وزودوك جبالا بئس ما صنعوا  
 والله يعلم ان كادته لبين سم يوم الفراق حصاة للقلب تتصدع (٢)  
 والهدف مشترك بين ابي دلامة والحكوك حين يكون المدح هو السبيل، ولقطة العيش  
 هي الخايبة لان عليها كثيرا ما يبدأ امداحه متنزلا " وكأنه قد برح به الحب والنرام  
 فلم يكن فيه صادقا، وانما هو وسيلة يتوسل بها لقضاء وطر . . " فلم يكن يعنيه حسب  
 او يشغله عيب بقدر ما كانت تمنيه كأس خذرة يذهب بها الهم وينفي طوارق الاحزان .  
 (٣) . ومدحه لحמיד الطوسي من هذا القبيل، مسبق بوصف لحالته التي يريد من  
 خلالها ان يؤمنها بأم خاض تجربة حب حقيقية كانت نتيجتها تشتت شمل الحبيبين  
 بعد ان تحق غراب البين وحدد بالفرقة. فيقول مهيدا ومخاطبا المرأة الحبيبة :

أبيت فما تسعصف	وجمرت فما لتصف
وتحلف لي بالهوى	وتتكث ما تحلف
حمالك منحلصة	وودك مستطسرف
وتهجرتي واثقما	فثق نأنا المدبف
سأعطف من حيث لا	تلين ولا تعطفف
وأسكت لا أشتكى	وأعرف ما تعسرف
تجاوزت أقصى الدنى	فخلقك لا يوصف (٤)

- (١) الاطري ٢٧٨ / ١٠  
 (٢) نهاية الارب ٣٦ / ٤ - ٤٤  
 (٣) ديوان علي / ٢٣  
 (٤) شعر الحكوك / ٨٧ - الديوان / ٥٩

ويتبع ابو دلالة الحديث واصفا لمحاسن محبوبته التي جسدها الخيال ليشكل من هذا الوصف جسرا يعبر به الى الموضوع الاصيل الذي هو المدح . . . ولا تخلو اما ديوحه لابي دلف الحجلي من الفواتح الغزلية التي يتدلرّق فيها الى الحديث عن الشيب والشباب، فيقول في احدها :

وارعوى اللهو في وطنه	زاد وردا لشي عن صدره
ضعكات الشيب في شعره	وأبت الا الوقار لـ
لم أبلغه مدى أشعره	ندمي أنّ الشباب مضى
لم اصح حربا على غيره	وانقضت ايامه سلما

الى ان يصل الى وصف المحاسن فيقول :

لم يرد عقلا على صدره	ودم اهدرت من رشا
وفديني على نفسه (١)	بات يدي لي مناقطه

ورغم ان تجربة الحب المفتعلة التي يتمسك بها شعراء المدرسة الصناعية فقيرة في ندلولاتها العاطفية، الا أن أبيات الرشيد الخساني التي افتتح بها قصيدة هياها لأخيه الممّذب تكشف عن نيش في الحواطف، رغم ضعف تجربة العسب عنده . . . والامر مختلف هنا . . . فهو لا يبتغي جاهها من خليفة أو عطية مسن أمير، وانما مساعدة من اخ هو الممّذب . . . وهي ان دلت على شيء فانها تتمدل على هذه الاحزان التي حدثت على صدره بعد ان فاته الزمن وخط من قدره وراه محكوما بعد ان كان حاكما، يبدأ الرشيد غزله بالوقوف على الادلال وقوفا تقليديا لمن سبقه في هذا المجال سائلا آياها . . . كعادتهم . . . عن مصير من كانوا بالاسس القريب ملء العين والبصر، معددا الابكة ومتحدثا عن الهجر وشعله في نفسه قائلا :

احبابنا ما كان اعظم حركم	عدي ولكن التفرق اعظم
غيتم، فلا والله ما طرق الكرى	جنتي ولكن سحّ بعدكم الدم
ورعدتم اني صبور بعدكم	ميهواتم لا لقيتم ما لقيتم
واذا سئلت بجن اهيم صباية	قلت : الذين هم الذين هم هم
النازلين بمهجتي ومقلتي	وسدل السويدي والسواد الاكرم
لا ذنب لي في البند اعرفه سوى اني	حدثت العهد، كما خنتهم

فَأَقَمْتُ حِينَ ظَلَمْتُمْ وَعَدَلْتُمْ  
وَبَطُولِ نَيْطِ بَعْدِ حَدِيثِهِ عَنِ الْهَجْرِ ، وَعَنِ ذَا الْمِلاحَةِ الَّذِي تَسَبَّهُوا فِيهِ ، عَيْنِ  
كَانَ هُوَ دَائِمَ الْكِرَمِ مَعَهُمْ ، ذَاكِرًا لِأَيَّامِهِمْ ، حَافِظًا لِحُجُودِهِمْ ، لِيُنْتَهِيَ بَعْدَ ذَلِكَ  
إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْحَالَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ، وَالضُّمُّكَ الَّذِي لَقِيَهُ :  
وَنَزَلَتْ دَقِيقُورُ الْفَوَادِ بِبِلْدَةِ      قَلَّ الصَّدِيقُ بِهَا وَقَلَّ الدَّرْمُ  
فِي مَعْشَرٍ خَلَقُوا شَخُوصَ بِهَا ثُمَّ      يَصْدِي بِهَا فَكُرَّ اللَّيْبُ وَبِهِمْ (١)

ومكذا . . . نجد اشعار السود من رواد هذه المدرسة تتراوح بين مقدمات  
غزلية يبيث فيها الشاعر همومه التي كانت تطلق اسم المشترك الأعظم <sup>الذي</sup> يتناوبهم جميعا ،  
وبين مقدمات غزلية تمهد لدخول وتعظيم لأصحاب السلطة طلبا للقامة النيسابورية  
أورغبة في الحثق .

الفصل الثامن  
الشعراء السود بين التجربة الذاتية  
والتجربة الجماعية

إذا ما حاولنا استدراك كنه التجربة لئلا نقاد نجد . . .  
لسان السرب الصحيح يجيبنا على تساؤلنا فيقول : جرب الرجل تجربة اي اختره . . .  
ورجل مجرب : قد بلي ما عنده ، ورجل مجرب قد عرف الامور وجربها ، والمجرب مثل  
المهريس والمجربس الذي قد جرسسته الامور وأكتمته . (١)  
والحياة بما فيها ومن فيها تفسر لنا ما عنده لسان السرب بكلمات . . . وعلاقة  
الانسان بالحياة تكمل هذا التفسير . فان تكون للمرء تجربة يجب ان يعيش مع نفسه  
ووسط مجتمعه ، فان يكون علاقات مع ذاته ومع مجتمعه . . . علاقات متبادلة . . . علاقة  
أشد وعناء . وتتعدد هذه العلاقات كما وكيفا . تقاس تجربته ، وتنوعها ومدى ايجابيتها  
يقاس نجاحها . فلعلاقة الحب بما تربي اليه من عطاء غير محدود ، ومساعدة ومساعدة غير  
مشروطة . . . وتعاطف وتكاتف بقدر غاية تنطوي دفعا لتساؤلها في خضم الحياة ، تعطيه  
الثقة بالنفس تعطيه الامن والامان .  
وهكذا هو المخلوق البشري منذ اللحظة الاولى لولا دقة . . . منذ منادر تمكن تكوينه  
الاولى الى العالم الخارجي ، يبدأ احتكاكه بهذا العالم وتعاظم منه الى ان يقبل رسله  
من النصر ، يولد خلالها الكيفية التي يتعامل بها مع محيطه الداخلي والخارجي .  
فان ان ينجح في هذا التعامل واما ان يفشل . وللمعالمين تأثير مباشر في حياته وفي  
اخلاقه . الا ان هذا التعامل لا يأتي من العدم وانما هو نتيجة موروثات الانسان  
الذاتية مضافة الى موروثاته من العالم الخارجي من محيطه . اما مدى تأثير كل من  
هذين العاملين في طبيعة الانسان فهذا نتركه لعلماء النفس الذين اغتفوا في تحديد  
مدى تأثير كل منهما في الوراثة والبيئة في الانسان ، وأيضا الاسم . وانما  
الذي أكدوه انه اضافة لعائلة الانسان الذاتية من موروثاته ، هناك الجماعة او المجتمع ،  
او على حد تعبيرهم " الفن " التي تقوم بمهمة القاعدة الدينامية لتوازن الشخصية  
(٢) .

١ - لسان السرب الصحيح : مادة جرب / ٤٢٦ - ٤٣٠

٢ - الاسس النفسية لتداع الفري : مصطفى سويف / ١٢٥

فملا حيلة السلوك الشخصي لوفاد غريب على جماعة ، ومقارنة بسلوكه بحد ان يندمج  
 بهذه الجماعة ، فان سلوكه الاول يكشف عن نوع من القلق وعدم الاستقرار ، ثم سم  
 المحاولة للاستقرار • وكلما ازداد اندماجه في الجماعة واقترب من " الفن " شعاع  
 نسبة الاتزان في افعاله • • • ومن ثم فان اى خلل يصيب هذه القاعدة يصيب توازن الشخصية  
 بخلل عميق • • • عندئذ يندفع الشخص في محاولات للتغلب على الصدع الذي أحدث هذا  
 الاختلال (١) وتقسم محاولته بالصنف او الهدوء • تبعا لحقي الصدع ، وبالتالي يكون  
 نشاطه في شكل اعياد او رياح خفيفة • • • يتبعه تعطيل للحواجز او محاولة للتخفيف •  
 وهذا ما حدث فعلا للشعراء السود • • • فمنذ ان فتح الانسان الاسود عينيه على  
 معيوله الخارجي ، وهدت حورينه ، وقيدت يداه • ولما كان الشاعر منهمجها بحساسته  
 الحرف وانفعالاته المتعددة • يحفل آلام وآمال طيبته ، كان لا بد له من ام يحمل مشكلته ،  
 ويحاول ان يخترق بها ذاته الى المجتمع ، وان يجد لها حلا ولم يكن الطريق سهلا  
 او مستهدا بالنسبة اليه من هنا بدأت رحلة حياته بما تحطه من آلام وآهات اكثر مما تحطه  
 من سعادة وبسمات • فالعالم الخارجي الذي خرج اليه لم يعاطه معاطة ودية ولم يسم  
 يبادله معاطة الاغ لاجبه الانسان • على العكس من ذلك ، لقد ضيق عليه الخناق حتى  
 حصره في زاوية ضيقة من عالمه ومدسه من تجاورها • • • بل عذره من ان تسول له نفسه  
 محاولة اجتيازها • • • انه عهد • • • وليس من حق السيد صجارة السادة

لقد وفد الانسان الاسود على مجتمع كانت القيم الاساسية لديه تلقتي عدد نقطتين متناقضتين  
 " فقد كانت الصفات المحمودة عند العرب تلقتي جميعا في صفة واحدة هي الكرم • ويسنون  
 به النسب الحرخين يدفون الرجل باله كريم الاحساب • وكانت الصفات المذمومة عددهم  
 تلقتي جميعا في صفة واحدة هي اللؤم ويسنون به النسب المدخول او النسب الوضيع " (٢) •  
 وذخيرة هذا الانسان الوافد من هذه الصفات الايجابية تكاد تكون معدومة في الحدود  
 للتعريف عليها آنذاك • • • وهي ان وجدت من احد طرفي الوالدين فهي لا تخفي ولا تسم  
 من جسوع • • • وهي في الوقت نفسه غير منترف بها لذلك كانت المشكلة الاساسية للشعراء  
 السود تكمن في هذه النقطة • وهي التي كانت وراء تناسة أكثرهم فكانت وراء • عب عترة  
 اليائس ، رغم فضل ما قدمه للقبيلة حتى ان كلمة ابن السيد ا كانت تلاقيه حتى وهو  
 عائد من أكبر انتصاراته •

١ - الاسس النفسية للاهداع الفني / د • مصطفى سوييف / ١٢٥

٢ - بين الكتب والناس : محمود العقاد / ١٦٨ .. ١٦٩ •



وكانت وراء تجربة تعيب في الميدان نفسه • ثم وراء سقوط خلافة ابن شكنة • • وراء  
وإد بلمونات وآمال أحمد الرشيد السياسية • حتى أنها كانت وراء ثورة سحيم النفسية  
التي اطاحت بقيم المجتمع الاخلاقية كلها • •

ولقد فرضت الحياة عليهم فرضاً • • فاشوهما مرغمين ، وعددت لهم أماكن إقامتهم  
فالتزموا بها على مضض • • وانكفروا على ذواتهم ، وعين ضيق عليهم الخناق حاولوا الدفاع  
عن النفس بتدعيم مواقفهم والقيام بهجوم مناسكس ، وان اختلفت وجهة هذا الهجوم عند  
كل منهم • • وقست عليهم الحياة في حين لم يقتربوا ذنباً يتاقبون عليه • • وان تلبسهم  
ذنب لا حيلة لهم فيه • • وظلمهم مجتمعهم واهدر كرامتهم واصابهم بسهامه الجارحة  
فأذلتهم وحاول تجريد هم من عواطفهم • • من انسانياتهم ولم يرفقهم أكثر من عبيد رهين  
الاشارة • • ومن رقيق تحت الطلب •

ورغم ان حدة هذا الشعور المضاد قد هدأت — بشكل ما — بعد قدوم الاسلام بتعاليمه  
التي تقضي بالمساواة بين البشر بجميع احصائهم والوالتهم والمفاضلة بينهم على اساس  
من التقوى والالتزام بقواعد الدين • • الا ان ردة الفيل عند شعرائهم كانت قويمة •  
ومتنوعة الاشكال والالوان ، ولا سيما أنهم كانوا الصوت الناطق باسم جماعتهم • • والنقل  
المفكر لهم ولكن هذا لا يلغي الطابع الذاتي الذي تلبست بها اشعارهم ، والتي كانت  
رغم ذاتية اكثرهما تعمل شعور كل اسود ، وتطلق باسمه ، وتعمل ازمته الخاصة لتعبر  
عما في داخله من ألم • لقد عبر هؤلاء عن قنباياهم السامة من خلال التسيير عن قنباياهم  
الخاصة التي شغلتهم كفراد يعيشون انسانياتهم ويدافعون عن عواطفهم • • وهذا  
التداخل الحاصل بين قنباياهم الذاتية والجماعية هو سمة تميزت بها اشعار هذه الفئة  
من الشعراء • • حتى لو حاولنا الفصل بين تجربتهم الذاتية والجماعية لكان هذا صعباً  
بل مستحيلاً لان كل تجربة منهما صغرت رقعة المساحة التي تغطتها • • ومهما ارتبطت  
بذاتية صاحبها فاننا لا نستطيع ان نجد ما من مسايتها الانسانية الاجتماعية لان "الفصل  
بين التجارب الذاتية ومسايتها الانسانية الاجتماعية أمر متعذر ، فغالبا ما تكون الموضوعات  
الذاتية او الكونية منافذ يدل منها الشعاع على مجالات انسانية واجتماعية بالشفة المدي (١)  
على ان الشيء المميز الآخر لهذه الفئة من الشعراء ان تجربتها الانسانية الخاصة  
استلحنا ان نلمسها بوضوح من خلال تجربتهم الشعرية لايماننا بان "كل التجارب الادبية  
ذات دلالات اجتماعية من نوع ما " (٢) •

فمن خلال عزلهم بالمرأة لسبب سوء طالعهم في الحب ، ومن خلال عرض تجربتهم في الحب عرضاً لنا تجربتهم في الحياة ، والحكمة التي خرجوا بها من هذه الحياة ومن خلال حراهم ونضالهم من أجل الفوز بمن يحبون شعرباً بصراعهم من أجل الحياة . . . والذي تلمس في الصراع ضد الفقر ، وضد الذل واليهودية " فالتجربة الشعرية تمثل فيها الحياة وألوان الصراع التي تتخلل في النفس أو في الفرد أزمات الأحداث التي تحيط به ، بل إن التجربة لتعبر بحياة تفتح عيوننا على حقائق قد لا تبين عنها حقائق الحياة أو حالات النفس كما تبدو لأكثر الناس " . (١) والحياة بالنسبة للشاعر الأسود ليست إلا صراعاً . وهو صراع مقهور في أغلب الأحيان ، صراع أوجدته طبيعة الظروف التي رافقت وجوده ، هذه الظروف التي كانت نتيجة طبيعة الطبيعة للقضايا الذاتية ذات الصفة الجماعية التي تركزت في أهم قضاياهم وهي :

#### ١ - قضية اللون والنسب :

إن مشكلة اللون والنسب أخذت أبعادها الحقيقية عند الشعراء السود قضية جعلوا رأيتها . . . وجدوا أمكاناتهم الطديسة والمحموية للدفاع عنها وكان لهم التأثير المباشر وغير المباشر على حياتهم وعلى أشعارهم التي كانت في معظم الأحيان صورة لادقة عن هذه الحياة . حتى أن القارئ يسبح صداها في كل رنة قافية من قوافيهم ويرى بصفتها واضحة على كل بيت في قصائدهم يط دعماً البعض إلى اطلاق لفظ "عقدة" (٢) على هذه المشكلة أو القضية . . . ذلك أن العقد تعرف بأنها " مجموعة من الرغبات أو الأفكار المكبوتة غير المدسجة مع التالام النفسي للفرد ، وهي من حيث هي كذلك نتيجة لاحتكاك الانسان ببينة خارجية يمتنع عنها مقومات ضميره اللاشعوري فكرته العليا عن الذات " . (٣)

فلو لم يكن المجتمع الذي ابصر فيه هؤلاء اللون كالمركب على مقوماته شرق النسب وكرامة وعراقة الاصل . . . ولو لم يكن السواد آنذاك مرتبلاً بالعبودية

(١) النقد الادبي الحديث / ٣٨٣

(٢) الدكتور عده بدوي في كتابه " الشعراء السود "

(٣) علم النفس التربوي ، د . أحمد ذكي صالح / ٨١٦

لم يحروا بهذه الفجوة في الحياة بينهم وبين اغوانهم اليهن الاحرار، ولما أحسوا  
بفداحة المصائب الذي ألم بهم دون ذنب ارتكبوه أو ظلم اقترفوه، ولما حصل  
بالتالي — هذا التصدع الذي حاولوا جهدهم رأيه بصور شتى تختلف قوة وضعفها،  
حدة ومدى من شاعر لآخر، ومن زمن لآخر .. ذلك أن " الاحساس باللون كان ناديا  
عند الشعراء السود قبل الاسلام " (١) لان دعاتهم المجتمع الجاهلي كانت تركز على  
العصبية القبلية وما يستتبعها من شرف الاصل وعراقة العنيت، وهذا ما لا يتوفر لديهم،  
ومهما بلغ شأن الشاعر ومهما جادت قريحته من موضوعات الشعر ونوعه فهو عند نقاد  
ذلك العصر: " أشعر أهل جلدته " وكأن السواد أصبح وصية في جباههم  
لا يحوها توفد ذكاه، أو توفد شاعرية بالرغم من أن بعضها منهم كان إماماً سابقاً  
في أفانين كثيرة .

فحين أسهم سعيد بنى الحساس في ارساء أولى دعاتهم مدرسة الادب  
المكشوف، نجد أن خلف هذا الدفق من الاشعار التي تتميز بحدتها وثورتها .. جاء  
عمر بن أبي ربيعة ليسرق دائرة الضوء منه ويترجم دون طابع — على قبة هذه المدرسة  
وما أظن أن هذه الحدة التي اصبحت بهما أشعار سعيد — حتى لكأنها بركان ثائر —  
النتيجة طبيعية للذلم والحرمان اللذين كان يعيش في ذلك مع أهل عشيرته ..  
ونذارة متفحصة لما قاله ضمن هذا الاطار ليهود دليل ساطع على صحة هذا التفسير  
وتحويله الى حقيقة أكيدة .. وهذا ما يميزه عن غيره من الشعراء السود الذين  
دافعوا عن قضيتهم بالصورة التي رأوها مناسبة، أو التي تلاقت وانسجمت مع  
طبيعته .. فعملته حين يتعرض لمشكلة اللون يراه يبحث عن حلول مطلقة عقلانية  
يستطيع بواسطتها أن يمدح الفكرة المتألمة في أعناق المجتمع الجاهلي، بل كما  
يريد أن يزرع أفكاراً جديدة بديلة للأفكار السائدة .. يريد أن يقنع الجميع بأنه لا أهمية  
للمواصفات التقليدية، أو للشكل الخارجي للسان .. المهم هو الجوهر الذي يظهر  
كفاءة الشخص، ومدى قدرته على درء الاغدار عن القبيلة .. ومدى قدرته على عناية  
أعراض نسائها، وبراعة وجوه أطفالها .. قدرته على العناية في سبيل الجماعة .. قدرته  
على اثبات إنسانيته الحققة من خلال خدمة الانسانية كل هذه أمور لم تكن جديدة على

على المجتمع الجاهلي أو فيط بعده . . . لقد كانت تعتبر أساسا من الاسس المتعددة له ، لكنها ليست الا هم ان لم تتوفر لدى الانسان يحمل خلفية لها ثقلا في تاريخ الأسباب . ورغم أن عنزة حمل عراقة هذا السب من دلررف، والده، الا أن ذلك كان بحاجة الى تصديق وتوثيق للاعتراف به خاصة وان أمه زبيبة كانت من الطبقة الأدنى في المجتمع ، وهي الطبقة المقهورة المغلوبة على أمرها . وهو بناء على ذلك ورثت عهودية ورثت سواد مهبط حاول أن يصعقها ببيئته ففعله ، وتصاعده صاعقا نفسه وهو وان كانت أمه سوداء من بنات حاتم الا أنه كان يحاول أن يفتح نفسه والآخريين أن هذا لا يشكل في الأمر غضاضة ، فهو انسان يحمل بين ضلوعه قلبا كبيرا مستعدا دائما للحب ، لكنه مستعد في الوقت نفسه دائما للشدة حين يقتضي الأمر ، وقلبه الرقيق المحب المفتوح للعواطف السامية ، اللامت دائمة وراء حب عيلة لهو القلب السب الجريء الشجاع عند أي اعتداء خارجي يقع على القبيلة :

فان تك أمي غرابية

من أبناء حاتم بها عتبي

فاني لطيف ببيئتي الظبا

وسمر الحوالي اذا جئتني (١)

وهو حين يقول هذا فهو مؤمن به فعلا ، وسيرته على ما تحمله من مبالغات هي الدليل الصادق على قوله . وهي الى جانب ذلك يحمل من الصفات المعنوية السامية ما يبوأ منزلة عالية تجعله في مركز القيادة والريادة دائما ، وهذه اللغة كثيرا ما نسمع صداها يتردد عند غيرهم من الشعراء السود . . . وهذا تبرز شخصية التصيب الأكبر التي كان يحاول من خلالها أن يكون فوق مستوى الأحداث وفوق مستوى الشبهات وهو شخو بهذا فيقول :

وان أك أسود فاطلك لوني

وط لسواد جلدي من دوا

ولكن تعبد الفخشاء عدي

كبعث الأرض عن جوالسط (٢)

وان وجد أن لا ملاصق من دمه بالسواد مهبط بلخ ، يلجأ الى اداة المجتمع القبلي بغيره البالية التي تناول أن تعني جدارا واحدا من الأخلاق يحاول السادة أن يتمسكوا به تحت ستار من النبل وعراقة العصب والعتبة في حين يقترفون مختلف أنواع الآثام . . . وهو في اقترا فهم لها ليد يدون أنفسهم وفحولهم ، وليدفعونها بسواد حالك أشد سوادا من لونه :

(١) العقد الفريد / ٣٣٩ — الديوان / ٣٣٩ — ٣٤٠

(٢) شعر نصيب / ٥٨

يحييون لوني بالسواد وانما فعالهم بالخبيث أسود من جلدى  
 لذلك فهو طمخ في طريقه رغم كل هذه الاعتبارات، ولكن يردده عن سعيه سواد  
 لون أو عودية أم .. مهمته في طومها لا يداولها بتلاول ، ولا يلحق بها عدو ..  
 ولا يلين من فتاتها حاسد :

ما ساعى لوني ولا اسم زبيبة اذا قصرت عن همتي اعدائي  
 فلئن بقيت لا صنعن عجايباً ولا يكمن بلافة الفصحاء

وهو غير طمخ بهذا السواد ، بل طمخ العكس سيكون مجالاً لفخره يوم الداحمان  
 حين لا يفتح نسب ولا يجدى فتيلاً :

لئن يحيوا سواد وفهولي نسب يوم النزال اذا ما فتى النسب

ولكن بعد هذا يتساءل المرء .. هل وصل عترة الى ظيته من خلال مطلقه الجديد  
 على المجتمع الجديد .. هل استطاع أن ينجح شيئاً ما في نفوسهم .. هل تمكن  
 من تحقيق ولو جزء من تلك الآمال التي كان يحلم بتحقيقها .. هل استطاع  
 أخيراً اقتناع والده ومن ثم مجتمعه بجدارته في العمرة ، ثم ان يقنع عملة بجدارته  
 فهي حبهها .. ؟ ..

كتب الأديب التي تناقلت أخبار عترة ، تخبرنا بأنه استطاع - بسداد  
 السيد - ارغام والده على الاعتراف بابوته من خلال جملة واحدة "كروانت جر" ومن خلال  
 حاجة القبيلة في الأزمان كان الدايق سالكا للاعتراف بغيريته ، وفيه عدا ذلك  
 لا .. فلا هو مخول للارتفاع بحبه الى صفوف السادة حين يهتو القلب  
 لحب ابنة عمه مالك بن قراد ، ولا هو حر تطبيق حين تضع الحرب أوزارها فكذا نتبه  
 مستعدة من قوته ، ومن شدة بلاشه في الاعداء آط في السلم فعودة الى جندور  
 زبيبة ، وعودة بالتالي الى اعناق النفس الحزينة ولكنه في كل ذلك يكشف زيف  
 مجتمعه المتذبذب :

ينادوني في السلم يا ابن زبيبة وعند جد الخيل يا ابن الاثايب

ولكنه مع كل ذلك .. لن يسمح لليأس بأن يتسرب الى قلبه ، ولن يضع سيفه جانبا بل سيبقى مسخرا لسائه وسيفه لم يذره نفسه منذ البدء الى أن يأتي من يحمل الراية من بعده ، ويكمل المشوار الذي بدأه ولو اختلفا في الوسيلة .. المهم هي الغاية .. والمهم هو تسجيل موقف في الدفاع عن الحريات المسلوبة وعن الكرامات الضائعة ..

ويأتي سحيم ، ليكمل السير ، ويحمل الراية من بعد عنزة ، فلقد ذاق مثله مرارة اليهودية ، ودفع ضريبتها من نفسه وكرامته ، وهذا يهدو كانيها للتأويل أن يحاول اقتحام حصار السادة مهذا كان الثمن ، ومهبط كانت النتيجة .. وفي هذه الحالة لن يقتحم سحيم بالسيف كما حاول عنزة فهو لم يحط من الصفات الجسدية من الله لحنتره ولكنه اعطى لسانا أشد ضاء من السيف .. وهذا السلاح سيحاول أن يحقق ما لم يستطع المنطق والسيف تحقيقه ، وهو بطبيعته الانفعالية لن يجد أفضل من الثورة لرفض الواقع الالهم .. وهي في البدء ستكون ثورة خافتة ترى الشاعر سن خلالها يتأولها على نفسه صاغرا للامر الواقع .. فحين تتجافى عنه عيون البيض فهي على حق لانها لن ترى في وجهه سوى القبح والبشاعة اللذين زادهما الفقر وأكمل عليهما :

أعد بني الحسحاس بزجي القوافيا

أشارت بمدراها وقالتلترها

وأسود ما يطك اللسان عاريا

رأت قتها رثا وسحق عامة

وكأنه واثق بأنه لو منح صباحة الوجه وجطاله ، لتغير موقف البيض منه ولكن حفظه ولصبيه في اجنذا بهن أوفر :

ولكن ربي شالني بسواد يسا

فلو كنت ورد الونه لعشتقتي

ويستيقظ فجأة من احلامه على صوت الحقل ليعلن انه مهبط كان من امر سواده وعبوديته فهذا لا يشينه ، ويجب ألا يشينه ، لأن كانه — حسب رأيه — لا تقاس بما فعل غيره :

تصر وتبرى باللقاح الخواديسا

فما ضربني ان كابتامي وليدة

وحين لا يجدى صوت الحقل ، ولا يجد فيه شفاء لخليله ، يتحول عنه الى الثورة المحاكسة شيطا فشيئا ، ويرتفع صوته أكثر فأكثر ، عليه بذلك يجد آذانا صاغية تساعد وتساعده طبقتة على التخلص من محنتهما :

يوم الفخار مقام الاصل والورق ،

أشعار عبد بني الحسحاس تترنله

أو أسود اللون اني أبيض الخلق

ان كنت عهدا فلسي حرة كرمنا

فان لم يجد لدعوته استجابة •• بلغ السيل به الزهى ، وانطلق كالبركان الثائر  
لا يقف أمامه شيء ، ولا يخشى فيما يقول سطوة سيداً ورهبته ، وهو على يقين من  
الدعاية الفعّلة التي سينتهي اليها :

شدوا وطاق العبد لا يفلتكم

ان الحياة من الممات قريب

فلقد تحدر من جهنم فئاتكم

عرق على ظهر الفراش وطلب

وبأني الاسلام ليحم الأرض العربية •• ولتعم بقدمه أفكار العدل والمساواة فتتغير  
مفاهيمهم وتثبت قهيم جديدة ترتكز على أساس عمل الانسان وتلقاها ، بعد أن كانت ترتكز  
على ما بينه الطبقي وأصله ومكانته الاجتماعية الناتجة عن هذا الميث • وبانتشار  
هذه المفاهيم خفت حدة هذا الشعور عند السود • لكنها لم تستطع محو اللاتسج  
التي كانت تعكس على مختلف أنواع علاقة تهم مع أنفسهم ومع أسرهم ثم مجتمعهم •  
وسرى آثار ذلك جلية واضحة في حيزهم •• وفي أشعارهم التي ترجمت علاقة هذا  
الحب كما ستراهما في وضعهم الاسرى ، وفي تعاملهم مع المحيط الذي عاشوا فيه .

ورغم خفلة هذا الشعور بالسواد ، للاحظ هذه الاشارات الحزينة للمشكلة

التي لم يرحم ثورق عيشهم رغم انتشار أفكار العدالة الاجتماعية التي جاءت بمجيء  
الاسلام لا سيما في الدور الاسلامي الاول ، حين لم يستطع المجتمع التخلص من تقاليد  
القديمة بسهولة وبفترة وجيزة ، اذا كان لا بد من مرور الوقت الكافي لتنزع هذا الشعور  
من الازمان ، وان كنا نبالغ بقولنا نزعاً لأنه سيحود قويا وعميقا حين تعود المنصرية  
من جديد بشكل وزى مغتطفين حتى لتغدو " في القرنين الاخيرين مبحثا من مباحث  
الكلام " " فيقسمون الاصول البشرية على حسب الاختلاف بينها في اللون والشعر  
وشكل الانف ، ولون العين وتركيب الجمجمة وطول القامة وخصائص الدم وأشباه ذلك  
من الفروق " (١)

وتطالعت في الفترة الزمنية الممتدة بين الحكيم الاموي والحاسي ردود فعل  
لمشكلة السود تتراوح بين اسلوب التقليدي ، وبين اسلوب جديد يعتمد التهكم  
والسخرية من الطبقة الحاكمة •• اسلوب يعتمد أهود لامة للجل من الاشياء ومن  
المجتمع الذي يقرط يشره هؤلاء السادة •

فالنصيبان المرواني والأصغر يعتمدان في دفاعهما على الأسلوب التقليدي القائم على تبيان المخاخر بالصفات والأخلاق الكريمة، التي كان من المفروض أن تكون كافية — حسب رأيهم — لمحو آثار اللون والنسب \* \* \* فالسمعة الطيبة والحمد حسن الفحشاء \* \* \* كما يقول نصيب الأكبر — يعوضان عن سواده الذي لا حيلة له تجاهه :

فإن أك حالكا فالسك أحوى      وما لسواد جلدى من دواء

ولي كرم عن الفحشاء بساء      كبحد الأرض عن جو السطاء (١)

وسواد الفتى ليس بعلمه وخصوصا إذا ما حمل خلفه ذكاه وأدبا ، وخلقاً قويمه :

وليس يزرى السواد يوم بذى اللد      سب ولا بالفتى اللبيب الأديب

إن يكن للسواد في نصيب      فبباض الأخلاق منه نصيبسي (٢)

وكثيراً ما تتردد هذه المعاني عدة ، وكأنه بهذا التكرار يريد أن يقنع المجتمع ببطلان دعوته التي تتركز على الصبغ الطبقى ، ويحاول جاهداً لارساء قواعد جديدة تكون مفار الفخر والجدح :

ليس السواد بناقراً دام لي      هذا اللسان إلى فؤاد ثابت

من كان ترفعه ملابث أصله      فببوت أشعاري جعلن ملابثي

كم بين أسود ناطق ببباضه      طاضي الجملان وبين أببش صامت

إن لي حسدي الرفيع بببأوه      من فضل ذاك وليس بي من شامت (٣)

ورغم هدوء الأسلوب وهدوء النفس الذي تعرض بواسطته النصيب لطلب المشككة إلا أن ذلك لم يطمس معالم التأثير العميق عليه ، والتي بدت في أوجه حياته جميعها فشعوره بهذا اللون المخالف لم يكن بالشعور الحارض الذي ينجبه عنه بكلمة في بيت من الشعر كما يبدو من ظاهر كلامه ، بل لعله كان هو محور شعوره كله وكان باعثه الأول إلى طلب الكرامة الكطل ، وما ضرب قد ولا فضب قط إلا برز شعوره هذا من الأعطق إلى طرف اللسان \* \* \* (٤)

(١) شعر نصيب / ٥٨

(٢) شعر النصيب / ٧١ ، ومن الملاحظ أن البيتين وردا في ديوان سحيم ، وأشير فيه إلى أنه يرويان للنصيب / ٥٤ - ٥٥

(٣) المصدر السابق / ٧٣

(٤) بين الكتب واللائح / ١٧٦ - ١٧٧



لقد ألقى هذا اللون ظلامه على كل شيء في حياته ، حتى تعداد السس  
علاقته بالمرأة البيضاء . هذه العلاقة التي جلبت له المتاعب والهموم . . . حتى  
أنها استدعت تدخل الخليفة في بعض الأحيان كما سئرى . كما تعداد السس  
الاسرية والاجتماعية ، وإنما الذي خففه من حدة شعوره ، رغبته في عدم التصمام  
مع المجتمع . . . وبالتالي فقد بدأ أسلوبه الهادئ مسيطرا على كل شيء في شعره  
وفي تعامله . وقد ساعده ذلك على سرعة الوصول إلى الخلقاء ، لكنه كان ، في الوقت  
نفسه ، سببا في الاستحباب من مجالسهم ، إذ رادته لانه كان يعرف ، في قرارة نفسه  
أن هذا الوصول غير طبيعي وهو لن يثمر في الامر شيئا . فهم خلقاء وسادة  
وهو لم يزل ولن يزال في نظرهم . مهبط أكرم . الحيد . وقصته دخوله على عبد  
الملك بن مروان ربط وضحت هذه النقطة بالذات . . . فقد دخل التصيب مرة على  
الخليفة فتغدى معه . . . وحين يطلب منه الخليفة ما يمكن أن يتبادر عليه يعتذر  
التصيب بعد أن يطلب الاطمن فيقول مخاطبا اياه : توطئي ؟ ولما أمته الخليفة  
قال له التصيب : لوني حائل وشعري مفلل ، وخلقتي مشوشة ولم أبلغ ما بلغت  
من اكرامك اياي بشرف أب أو أم أو عشيرة ، وإنما بلغت بحقلي ولساني ، فاشهدك  
الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه العزلة منك ، فأعفاه (١)

ولم تكن عقدة اللون أخف وطأة على تصيب المرواني منها على زميله الأصغر  
الذي رأى . . . وباختصار . . . أنها كافية لان تكون سببا في عدم ممارسته للحياة الطبيعية  
كغيره من الناس من جهة . . . وزجره هذه النفس عن امور محرمة عليه ، بل هي  
من كلبقة الاحرار . . . لذلك نراه يكتف عواطفه جهورا ويحاول التأقلم مع المجتمع  
العام الذي لن يسمح له بدوره ، افصاح هذه العواطف الا تحت ضغط ثقيل من  
الوان الامانات فيقول مخاطبا نفسه :

أفق عن طلاب البيض ان كنت تعقل  
فيا أيها الزنجي طلك والمها  
فستك من أهبوشة الزنج قطع

(١) الاظني ١/٢١٨ - ٢١٩

(٢) الاظني ٢٢٢/٤٠١

وهو ان حاول تناسي هذه العقدة وآثارها ، جاء من يهزئه بعنفسه  
ليذكره بواقعه ، وبزجر عواطفه عن التماضى :

وتقول مية ما لعنك والصبا      واللون أسود حالك غريب  
شاب الخراب وما أراك تشيب      وطلا بك البيض الحسان عجيب

وإذا كنا قد وجدنا من الشعراء السود من شككت عنده عقدة السواد مشكلة اساسية  
ظهرت آثارها ونتائجها السلبية في جميع أوجه حياته • فحاول بأسلوب  
منطقي مقارعة الحجة بالحجة والدفاع عن قضيتة ، ومحاولة قلب المفاهيم الخاطئة  
والتأصلة في مجتمعه • وجدنا في الطرف الآخر النقيض من ذلك ممن حاول أن  
يخفف من وطأة المشكلة ونتائجها ، مع الليل من الخصم — من كان — بأسلوب  
ساخر مزلي ، وربما كان في هذا الاسلوب احتجاج صاخر على المجتمع وأعرافه ،  
لكنه احتجاج مبطن يتخذ من الضحك وسيلة للوصول الى الحقيقة • • وكان أبو  
دلامة أول من سلك هذا السبيل — هذا الانسان الذي بدأ " لملاقاتة الحياة  
خفيفا من كل شي " ، فهو باسم الولا المرح ، والحياة الصهجة يخرج على القيم  
السائدة في المجتمع ، ويكاد يخرج للوجود نافضا عنه كل القيم السابقة ، وخارجا عما  
تعارف عليه أكثر الناس (١) •

وأبو دلامة حين يتطرق للمشكلة ، فإنه يعتمد هجاء نفسه ، وأسرته ليحصل

مها اسلوبا أو مادة للضحك يصل عن طريقه الى غاية وهو يقول في ذلك :

عجبت من هيبتي يوما وأمههم      أم الدلّامة لما حاجها الجزع  
لا بارك الله فيها من نيهة      حبت تلوم عيالي بعدما حجوا  
وحن مشتبهوا الالوان أوجهنا      سود قباج ، وفي أساطنا شجع

الى أن يصل الى الغاية فيقول على لسان زوجته :

أخرج تهنّ لنا مالا ومزرعة      كما لجيراننا مال ومزدرع  
واخدع خليفتنا عنا بمسألة      ان الخليفة للسؤال يخذع (٢)

وهكذا سجل الشعراء السود احتجاجهم على مجتمهم احتجاجا يتراوح بين تأسر  
مدفع غير مياب بالنتائج ولو أدت الى القتل • • وبين مادي خفت صوته وضجرت  
أعاقه فلم يكن أقل تأثرا وتأثيرا ومنااة وتجربة عن غيره • وبين من تكبلا أسلوب

(١) الشعراء السود / ١٣٧

(٢) نهاية الارب = السفر الرابع / ٣٦ - ٤٧

ظهر واضحا في هذه السخرية من المجتمع عموما ومن نخبته الممثلة في الخلفاء وطبقتهم .. الا أن الجميع عادوا ليتفقوا في الثاية والهدف مهما تنوعت واختلفت سبلهم . على أننا لا نعدم بين هؤلاء من لم يلتفت الى هذه المشكلة صراحة كما خجلا من نظرة الازدراء أو تصالحا . وهما يكن من أمر فقد كانت عقدة اللون وراء سلبيات حياتهم بما فيها من آلام وبؤس . . . وكانت وراء فشل علاقاتهم العاطفية ، وما يستتبعها من العودة الى الذات والاشفاق فيها . كما كانت وراء اندلاع ظاهرة النضب التي بدت في أشعارهم لا سيما هذا النضب الذي تنجر حقا على كل شيء ، وبلا من الخصم . والأهم من هذا وذاك أنها كانت وراء نهاية أكثرهم ، نهاية فيها الكثير من الظلم والقسوة والوحشية والبشاعة . . . ثم كانت أولا وأخيرا — وراء كل تراجع لشاعر أسود كان من المفروض أن يصل الى سدة الشعر .

## ٢ — تجربة الحب :

لا بد الخ إذا قلنا أن الصفتين الأساسيتين اللازمتين لتجربة الحب عند الشعراء السود هما اليأس والفشل . فناريخهم العاطفي وتجاربهم من خلاله يشهدان على ذلك . . . ومسيرتهم الصامتة أحيانا والمتفجرة أحيانا أخرى تنطق بذلك . وقد وجدنا كثيرا منهم من انتهى الى المدرسة الفنية التقليدية في النزل ، حين رأى أنه من الحماقة الدخول في ميدان الحب وهو على ما فيه ، وما يحمله من وزر الارت الذي لحقه من السود . . . فحرب حظه في هذه المقدمات الثولية التي كانت بمثابة جواز مرور له للخروج الى المجتمع من خلال مدح هذا الامير أو ذاك الخليفة ، أو خلف وراءه مقطوعات غزلية ربما حفظت — على ما وصفت به من تقليدية — تجربة الشاعر الخفية التي خشي أو خجل من اشاعتها . . . كما وجدنا البعض الآخر علما بارزا من اعلام المدارس الغزلية التي ساهم في ارساق قواعد هياكله غيره من بعده ويتربع على سدة زعامتها ، ثم صارت بعده ذات كيان مستقل . ورغم تعدد المدارس التي انتسب اليها هؤلاء الشعراء ، والتي كانت ميدانا رحبا فسيحا للتعبير عن أفكارهم ومتطلعاتهم . . . ورغم تعدد الصيغ التي خرج بها غزلهم ، الا أننا نستطيع أن تبين بوضوح أن طابعها مميذا خاصا طبعته به أشعارهم وعبرت عنه ، ألا وهو هذا القهر والحرمان اللذين تعرضوا لهما في كل لحظة من لحظات حياتهم ، وفي كل تطلع من تطلعاتهم . . . لا سيما تطلعاتهم نحو المرأة البيضاء الذي كان يكلفهم كرامتهم أو حياتهم في أكثر الأوقات . فهل وقفوا تجاه هذا كله صامتين . . . ألم

يكن بأيديهم سلاح يستطيعون أن يجابهوا به قوى الظلم ؟ .. ألم يكن باستطاعتهم الدفاع عن أنفسهم في وقت خلت فيه الساحة من محامي الدفاع عن أمثالهم ؟ ..

هم أصحاب حق .. وصاحب الحق يستطيع الدفاع عنه ، ومن يملك حق الدفاع يرد الاتهامات الموجهة اليه بالطريقة التي يراها ملاسبة وأشهر تأثيرا .. وهذا الحق الذي يدعون ملكيته ليس الا الحرية .. هذه التي كانت قبلة أنظارهم ومحور تفكيرهم ، ومنطلق عواطفهم لاسيما عاطفة الحب . فأتت للشاعر الأسود أن يحب ويخرم بفنائه ان لم يكن حرا ، خاصة اذا كانت هذه الفئة تنتمي الى سادة القوم كما حدث مع عنتره . أو كانت تنتمي الى طبقة كان اللبون والنسب الحاصلين الأبيدين المحظرا اختراقها عليه وعلى طبقاته ، كما حدث مع سحيم وكثير منهم ..

لقد أحس الشاعر الأسود أنه جُرِدَ من كل شيء حين جُرِدَ من حريته ، اذ لا معنى لوجوده من دونها . وهو حين يقاتل من أجل استردادها فهو يدافع عن وجوده وعن كيانه ، وما تشكل عاطفة الحب عنده الا جزءا من هذا الكيان فكيف يحفظ هذا الكيان ويحفظ كرامته .. وما هي اسلحته المعتمدة في ثورته ضد العبودية والظلم والقهر ؟ ..

قبل أن نعد الى دراسة ذلك لا بد من أن نضع بعين الاعتبار وحسدة الهدف والغاية عند هؤلاء مع اختلاف الوسيلة الموصلة لذاك الهدف وتلك الغاية . وربما أعطى اختلاف الوسائل شيئا من التسرع الذي أغنى أشعارهم لا سيما منها التي تعبر عن تجربة الحب ..

وتجربة الحب عند عنتره قيمة وغنية بما تحمله من مثل عليا كانت جذيرة بأن توصله سدة الرياسة فيما لو لم يكن عبدا . أما وعنتره عبد ، فهي - برأيه - كفيلة بأنه تخلصه ربح العبودية ، وتعيد اليه حريته وبالتالي تعيد حبيبته ، وهي غنية وقيمة بما تنبئ به في نفسه من عواطف وقدرات تحركه دائما نحو العمل الجاد من أجل الوصول ومن ثم تدفعه الى " استخدام قدرته الفنية المبدعة في صياغة شعر يجسد فيه صورة الرجل المثالي في خلقه وشجاعته وأفعاله . " (١)

فن شبهه الاخلاقية أنه سمح من غير ضعف ، قوى فتاك اذا ما أصابه ظلم ، وهو في كل ذلك ينطلق من نقطة هي دائما المحرك والدافع والمثير والمطمح وهي عبسة

فيخاطبها ويقول :

أثني علي بما علمت فالنسي  
 فماذا ظلمت فان ظلمي باسل  
 سمح مخالفتي اذا لم اظلم  
 مر مذاقته كطعم العلقم

وهو الى ذلك سخي اليد بغير تبذل ، وموفور الشرف والعرض :

فاذا شربت فاني مستهلك  
 واذا صحت فما اقصر عن ندى  
 مالي وعرضي وافر لم يكلم  
 وكما علمت شاملي وتكرمي

ودائما عملة هي بيت القصيد ، فاذا ما افتخر بخصاله وما يتحلى به من اخلاق  
 وشيم فانما يريد أن يثبت جدارته بها وبحبها ، ولم لا . . . فما يتوفر فيه من صفات  
 لا يتوفر في غيره من شباب القبيلة من غنة وكرم الاخلاق ، وكرم ذات اليد ، ثم الأهم  
 من هذا وذاك أنها الأولى والأخيرة في حياته والمترجمة على عرش قلبه :

أغشى فتاة الحي عند حليلها  
 وأغض طرفي ما بدت لي جارتني  
 واذا غزا في الجيش لا أغشاها  
 حتى يوارى جارتني مأواها  
 اني امرؤ سمح الخليفة ما جد  
 لا أتبع النفس اللجوج هواها  
 ولئن سألت بذاك عملة خبرت  
 أن لا أريد من النساء سواها

والبطولة والشجاعة جزء لا يتجزأ من شخصية عنتره التي استوت واشتهرت بفضلها  
 حتى طبحت حياته بطابع اسطوري . . . وهو نفسه يقر بشجاعته التي هي مصدر  
 ثقته بنفسه ، ومصدر فخره أمام عملة ليشريها بأن تستكين الى صوت العقول  
 والمطلق فتعرف قدره ، وترفض الأسس والقيم التي اعتمداها المجتمع الجاهلي في  
 تقييم أمثاله ويخاطبها بقوله :

ملا سألت الخيل يا ابنة مالك  
 اذ لا ازال على رحالة سائح  
 ان كنت جاهلة بما لم تعلمي  
 نود تعاوره الكفاة مكلّم  
 طورا يعرض للطعان وتارة  
 يأوى الى حصد القسي عرمم

وانسان يتخذ من صهوة الحصان مكانا له ، فلا عجب حين نراه عارى الا شاحج  
 متهج السربال ، لم يدمن منذ فترة طويلة بسبب خوضه المعارك الطويلة المتواصلة  
 لباسه الحديد دائما . ولكن الحبيب في ألا تلاقي هذه الصفات اعجابا أو قبولاً  
 عدد من يحسب :

عجبت عملة من فتى متبذل  
 شحت المفارق متهج سرباله  
 عارى الا شاحج شاحب كالمصبل  
 لم يدمن حولا ولم يترجل  
 لا يكتسي الا الحديد اذا اكتسى  
 وقد طال ما لبس الحديد فانما  
 فتضا حكمتعجبا وقالت قولة  
 فعجبت منها كيف زلت عيها  
 صدأ الحديد بجلده لم يغسل  
 لا خير منك كأنها لم تحفل  
 عن ما جد طلق اليدين شردل

وكثيرا ما يختلط الحديث عن الشجاعة بالحديث عن صفاته الخلقية الأخرى كالحفصة والشرف والكرم واللاذثة •• والغاية هي هي في كل مرة •• والهدف علة دائما وقريبا :

يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عد المنعم وهو في محاولاته المتكررة لا يجد أدنى استجابة من علة ولا يجد بدا من الاستعلاف والتودد ربما تقرب به وحقق <sup>عن</sup> طريقه ما لم يستطع تحقيقه في حوار السابق لهما ، وهو رغم كل ما تبديه من جفاء فهو يجهها •• ولا يريد سواها من النساء •• وهو مستعد دائم لا عانتها ومساعدتها في الطمات :

ولئن سألت بذلك علة خبرت أن لا أريد من النساء سواها وأجيبها أما دعت لعظيمة وأعيدها وأكف عط ساهما وحين يشعر جفاء وتباعد ، يخشى أن تلتقط حبال ودما ، ومذا ما لا طاقة لبيته على احتداله :

لا تصرميني يا عميل وراجعي في البصيرة نذرة المتأمل

ومكذا يتدخل اللون مرة أخرى ليوقف حائلا بين الشاعر وبين من يحسبه كما وقف من قبل بينه وبين من يحيش معهم •• وليكون مرة أخرى عاملا قويا ودافعا محركا نحو المطالبة بالحرية •• هذه الحرية التي كانت المحور الذي دارت حوله أغلب أشعاره سواء في الحب والبطولة وفي الفخر ومكارم الاخلاق •• حتى أننا نلاحظ تمازجا خاصا بين عاطفتين كانتا تتجادلانه ، عاطفة الحب لعلة ، وعاطفة شوقه المتمطش للحرية •• وكلتا همتنا — كط لعتنا — مكملتان بعضهن لبعض •• فهو يحسب الحرية ويقدر سها ويقا تل من أجلها ليصل الى حبه •• وهو يحب هذا الحب ويشتاق اليه لانه يجد فيه حرته ، وهل أجل من الحب حين يتطلع ويسمو نحو الحرية؟ ••

فالحرية هدف للسود لأنها وسيلة لحياة أفضل •• وهم جميعا منافسون من أجلها ومقاتلون في سبيلها وان اختلفت الطرق المؤدية الى هذا الهدف •• وتجربة سحيم في هذا المضمار لم تكن بأكثر حظا من تجربة عنتره مع اختلاف فسي وجهة النظر •• فهي صامته عقلانية تعتمد الحوار عند عنتره ، في حين نجد ما تائسرة الدفاعية عند سحيم •• وعند ما يجد بأن جملة من العمومات مفروضة عليه ، وان دائرة الضوء التي فرض عليه أن يتحرك ضمنها محدودة المساحة •• وان عواطفه نحو المرأة لا سيدا البيضاء محكوم عليها بالاعدام •• اذ ذاك لا يرى سبيلا للاحتجاج الا الثورة ، والثورة الخاتبة التي تحطم القيم ، وتثور على الاعراف والتقاليد والنظم التي وضفها

غيرهم •• والشعر عند سحيم هو السلاح الذي يفجر من خلاله هذه الثورة الداخلية المكبوتة فتفجر بالنالي عاطفته ليسجل له تاريخ الشعر تجربة حب ثائرة في كلماتها شهوانية في معانيها ، أليمة في نتائجها •• بل ربط كان هذا الالم المهن السذي يخلف كلماته الشعرية من أبرز السمات لهذه التجربة التي طلى منها الكثير ، ففجرت بدورها مركب النقص الذي كان يعاني منه جراء بشاعة شكله ، وسواد لونه ، الذي يقر ويمتدرف به من خلال قوله :

أتهت نساء الحارثيين غدوة      بوجه براه الله غير جميل

فشبهتني كلها ولست بفوقه      ولا دونه ان كان غير قليل (١)

وشعوره هذا هو الا نتاج لنظرة المجتمع نحوه وأمثاله من الواقدين الغرباء عليه ، والذين حكم عليهم بقساوة ، وحُد دلتهم الاقامة ، ورُسم لهم سهل التعامل وفق أسس لم تراع فيها القيم الانسانية •• فتجاهلت انسانيتهم وتجاهلت عواطفهم ، وتجاهلت رغباتهم وطموحاتهم ، فكانوا بالنالي تائهين بين الوجود والعدم •• بل متأرجحين بين نارين ، نار الاعتراف بما في داخلهم والتصريح به وهم بهذا مهددون •• ونار الكبت والسكوت عما يحتل في الداخل وهم بهذا محرومون بل شهداء المجتمع وخطاياهم •• وربط كانت طاقة بعضهم أنحف من أن تتحمل الكبت والحربان فتشور ، وهذه هي حال سحيم حين تعتربه اشواق طارئة لا تعرف قرارا ولا سكونا فيهنف قائلا :

خليلي هذا البين قد جدَّ جدَّه      فعودا لنا من شرط البين مُقرِّف

وان لم تهوجا خفت من باطن الجوى      وان بحتته فالسيفُ غريان يُنطِيق

أرقاً وتشعبنا ونأيا ومرققة      على حين أبصرت المِشَارِعُ تنسِف (٢)

وهو ان حاول التلميح الى ط به من الهوى كان ثمانون سوفا ينال من جلده التيب دون رحمة أو شفقة :

أبا معبدٍ بشن الغرأضة للفتى      ثمانون لم تترك لحلفكم عهدا

كسوبي غدا قلدار سمرأ كأنها      شياطين لم تترك فؤادا ولا عهدا

فما السجُن إلا بطل بين سكتته      وما السوط إلا جلدة خالطت جلدًا

(١) الشعراء والشعراء ٢٦٩ / ٤ - الحيوان ٢٥٥ / ١

(٢) الديوان ٦٢ /

وما ترتبده هذه الضربات الا حبا بل وتصطفيه مزيدا من التحدى •• فينتفض معلما الثورة، طالما أن النهاية في جميع الاحوال وفق ما يريدون :

أما معبد والله ما حلَّ حبها  
فان تقتلونني تقتلوا ابن وليدة  
ثناون سوطلا بل تزيد بها وجدا  
وان تتركوني تتركوا أسدا وردا  
وغدا يكثر الهاكون منا ومنكم

وعلى طرف التقيض من سحيم يقف ابو الحجاج المرادي • حين كان الاول ينجز عن كبح جماح النفس اللجوج عن الهوى ويفجر ثورته الجنسية عالوية ، يرى الثاني يحاول مجاهدا التصالح مع مجتمعه •• حتى حين تلخ ثورته الحزينة الأوج فهو يفجرها في الداخل ، ثم لا تلبث آثارها أن تتكس على تصرفاته ومواقفه ، فاذا ما أراد ابنته يتزوج ابنة أحد ساداته ، يأمر الصيب بأن يجترأ به من رجليه ، وضربه بحصن ثم ينظر الى شاب من اشراف الحي فيقول له : " زوج هذا ابنة أخيك ، وعلي ما يصلحهما في مالي " (٢) لانه أعلم بقدر نفسه وبموقف المجتمع وسخريته من السود • ولكنه رغم هذا التصالح الذي عقده مع مجتمعه ، لم تكن تجربة الحب لديه أفضل نتيجة وأحسن آخرة • فهو لم يعرف من الحب الا سلبياته ، ومن الحبيب الا التبعاد والجفاء والمقاطعة في حال عدم وجود توازن بين الطرفين •• والقصص المنقولة عن نصيب في هذا الميدان ما هي الا الوجه الآخر لاشعاره في الحب هذا الوجه الذي زاده تجافي عيون البيض عنه ، ألما وحزنا دفيئا • وما نقله صاحب الاغانى عن نصيب قصته مع السجوز التي كان ينزل بها بالبحفة اذا قدم للشام حيث كان يحب ابنتها " الصغراء " وذات مرة وهو نائم عند السجوز وابنتها شعر بفتى جاءها ليلا فرك لها برجله ، فقامت معه فأبطلت ثم عادت وتكررت الحادثة الى أن أصبح نصيب ورأى " أثر محرکه طرقتلها فارتحل وهو يقول :

أراك طموح العين ميالة الهوى  
لهذا وهذا منك ود ملاطف  
فان تحطى ردفين لأك مدهما  
فحبي فرد لست ممن يرادف (٣)

وعلاقته مع المرأة " الحمراء " ليست بأسعد حالا وأكثر حظا •• وما قولها له حين ألح عليها " : اليك عني ، فوالله لكأنك من طوراق الليل " بخض النظر عين نهاية هذه العلاقة ، الا تصبيرا عن تآك العظرة الواضحة التي كان ينظر بها الى السود • والتي هي جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع ككل لهم •• هذا المجتمع الذي وقف مراقبا لتحركاتهم ، محذرا لعواطفهم من التمادى •• وفي موقف الغليظة

(١) الديوان ٦٦ / ٦٧

(٢) الاغانى ٣١٨ / ١

(٣) الاغانى ٣٢٣ / ١



من نصيب حين نهاه وحذره من مشبة الاتصال بالعربيات ، صورة صادقة وصریحة لهذه  
المواقف •• فقد كان نصيب يحب، عربية اسمها أم بكر الخزاعية في دمشق ، وكسان  
يؤورها حين قدومه ويعطيها مبلغا من المال ، ولما علم الخليفة عبد الملك بمسدى  
تعلقه ونسبته بها ، وكان محروفا بخيرته وتعصبه على غزل العبيد بالعربيات ،  
نهاه عن ذلك حتى كف (١) •

لقد تعددت تجاربه العاطفية والنتيجة واحدة تبوء بالفشل الذريع ••  
ولكنه مع ذلك ، لا تتعدى احزانه وثورته ذاته •• لقد عاهد نفسه أن يتحمل  
الكثير بشجاعة وصمت من أجل الوصول الى هدفه المنشود في تحرير أبناء طبقتهم ،  
حين عجز غيره عن التوصل الى هذا الهدف بالثورة والتمرد •• وهو يتقبل - على  
مضن - فشل هذه التجارب حتى التي كان منها معونات طبقتهم كما حدث في  
قصة عبه لامة من بلي مدلسج والتي لم يبق ففهما سوى " عتابيل حزن " (٢)

وتجربة الحب عند عنترة والنصيب وسحيم هي واحدة في الآمال والآلام والنتائج  
وهي واحدة مع تجارب زملائهم من الطبقة نفسها ، وان كانت تختلف عند الآخرين  
من حيث عمق التجربة، حين لم تكن عند خفاف، والسكوك ونصيب الأصغر أو غيرهم من  
الشعراء السود تجربة حب بالمعنى الصحيح ، اذ كان لديهم من أمور الحياة الأخرى  
ط هو أهم وأجدر ، أو ربما عرفوا نفوسهم في هذا المضمار فحبوا أنفسهم مخبة نتائج  
الا أنما - مع ذلك كله - لا نعدم في أشعارهم اشارات ان دللت على شيء فهي  
تدل على شدة القهر الذي تعرضوا له حين كانوا يحاولون ممارسة عواطفهم  
الانسانية ولو بشكل مشروع ، لذلك كان الشاعر منهم سريعا ما يلحسب من ميدان  
الحب ليعيش جسدا من غير عواطف •• وما خلفه لنا هؤلاء من شذرات صغيرة من  
تجاربه العاطفية كانت كافية لأن تعكس ما في داخلهم ، وأن ترسم صورة واضحة  
لعلاقتهم بالمرأة الابيضما المرأة البيضاء ، التي ظلت بالنسبة اليهم حصلا ميمما  
صحب الاقتحام •• وكلما نصيب الأصغر التالية كافية للتخييل تاريخ الحب عند  
الشعراء السود ، رغم ورود هذه الأبيات بشكل عارض في مقدمة غزلية لقصيدة في مدح  
الخليفة هارون الرشيد •• يقول نصيب :

(١) الاظلي ١ / ٣٢٨

(٢) الاظلي ٣٤٨ - ٣٤٩

فيا أيها الزنجي مالك والصبيا  
فمنك من احيوشة الزنج قطعت  
وربما جاءه هذا التأيب من طرف آخر من مية :  
وتقول مية ما لمثلك والصبيا  
شاب الخراب وما أراك تشيب  
أما علي بن جبلة، فرغم قلة تجاربه في الحب، إلا أنه يحرف حق اليقين أن عيون  
البيزنس ستجافى عنه وعن أمثاله لا سيما والمشيب قد غطى ما منه :  
جفا طرب الفتيان وهو طروب  
تجافت عيون البيزنس عنه وربما  
ربما دافع خفاف، عن نفسه أطام المرأة، وحاول اظهارها بمظهر اللامالي ان عيني  
أدارت له ظهرها ولم تتجاوب معه \* \* وهو بهذا الدفاع عن النفس يحاول أن يضم  
صوته الى صوت زملائه ممن سبقه في اظهار المطالب والمزايا التي عوضهم بها  
الله عن نواقص أخرى :

فلئن هزمت الحبل يا بنته مالك  
فتعلمي اني امرؤ ذو مسرة  
والرأى فيك مخطىء ومصيب  
فيما ألم من الخطوب صليب

وهكذا كان الفشل ضريبة السواد \* \* \* وكان الحرمان ضريبة العبودية وكان اليأس من  
حياة عادية يطارسون فيها عواطفهم هو نصيبهم \* \* هذا اليأس الذي كان يقودهم  
في غالب الأحيان الى الاحباط، أو الخروج على قانون المجتمع، والثورة على تقاليد،  
ومحاولة اقتلاعها \* \* من الجذور \* \* وأولى نوع من الهروب من الواقع الأليم الى أشياء  
أخرى ربما الحرفوا فيها عن الطريق القويم \* وفي كل الامور \* \* كانوا يلاتقون النهاية  
المررة \* \* سواء في المعانفهم على ذواتهم في صمت مر \* \* أو في النهاية المفجعة التي  
كانوا يعتنون اليها كما حدث مع سحيم \* \* أو في عشق الفتيات الصغيرات كما  
حدث مع أبي الحجاج الروائي \* \* وفي كل كانت " رقعة الحب التي تحركوا عليها  
ضئيلة " ومظلمة (٣) .

٣ - التجربة الأسريفة :  
=====

الشاعر الأسود الذي رأيناه باكبيا مقهورا مرة ، ثائرا لاقنا مرة أخرى \* محدثا  
لبقا منطقيا مرة \* \* أو ساخرا هازكا غائبا مرة أخرى \* هذا الانسان الذي تعرفنا  
عليه من خلال تجربته الشعرية الخزلية بكل ما تحطه من حلومر \* \* لا بد من أن

(١) الاغانى ٢٢ / ٤١٥

(٢) شعر الحكوك / ٤٤ -

(٣) الشعراء السود / ٢٣٠

تعود معه الى اسرته الصغيرة الى طاله الصغير ، للعيش مع أفراد ه حياتهم ، للتبين  
اللجنة الاولى التي كان من المفروض أن تكون الأكثر تأثيرا في شعره • هذه العودة  
التي حطت معاني التشرد واللفي منذ أن رحل أجدادهم عن بلادهم مهاجرين الى  
بلاد العرب التي ان حلوا عبيدا في مجتمع العرب السادة •• عودة حطت معاني  
التشتت والقلق منذ أن حطت متناقضات العصر الى الوجود •• هذا العالم الصغير  
الذي كان قوامه أما أمة سوداء تؤمر فتطيع، ويطلب منها فتطبي دون أيما اعتراض أو تردد  
أو تخاذل • وأما — كان يمثل في بعض الأحيان — جهوت السيد الذي يأمر فيطاع  
ويطلب فيلبي بأسرع من لمح البصر دون مناقشة أو استفهام • وفي كثير من الأحيان  
عبدا ممتنها من الطائفة نفسها له مثلهم أبسط الحقوق التي تضمن له العيش  
الكفاف ، وعليه كثير من الواجبات التي ترمق كامله وتزرق روحه • وبهذا  
يستطيع أن يميز بين فئتين من هؤلاء الشعراء • الفئة الاولى التي كانت تنسب الى  
أب أبيض وأم سوداء والفئة الثانية التي كانت تنسب الى أبوين سوداوين •• والأم الأمة  
السوداء هي القاسم المشترك بين الفئتين الذي حطهم تبعات اللون وهموم العبودية  
والسرق • الفئة الاولى بما تحمله من متناقضات نتجت عن عدم وجود حد أدنى  
من التوازن الطبقي ، والثانية بما تحمله من ألوان القهر والألم النفسي •• والشعراء  
من الفئتين يحملون الهموم نفسها والآمال والآلام •• وهم يجتمعون مرة أخرى في  
محاولة للدفاع عن النفس في مجتمع السادة •• وهم في غمرة الأحداث لم يشعروا حد يث  
النفس عندما تعود الى الاصل الى الأم والأب والأخوة •• الى الزوجة والأقارب لتنتقل  
الى الأجيال ملخصا غنيا لتاريخ الأسرة السوداء يحمل مأساتها بكل فصولها ،  
وتتناول معظم افرادها ابتداء من القمة التي كانت تمثل الأم ، وانتهاء بالولد •••

الأم : حديث السود عن أسرته في مجله حديث مقتضب ذو شجون • وعلى  
قلة الأبيات التي تحدثوا بها عن هذه الأسرة وعن الأم بشكل خاص ، تمثل لنا  
لب المشكلة وجوهر الواقع الذي يعيشونه •• فهي مصدر السرق والعبودية ، وهي  
بالتالي تمثل مصدر الرق والذل للذين تعرضوا لهما فاذا ما عبرت عتبة العبد  
عبرته بأه زبينة ، لأنها الأقرب تقاولا طالما أن شخصية البطل المتكاملة كانت موجودة  
لديه ، وهو إذ يعلم بذلك ويعلم بأن عيس قاصرة عن النهل منه الا من هذه الزاوية  
فيقول :

ما ساءني لوني ولا اسم زبينة      اذا قصرت عن همتي أخطائي  
فلئن بقيت لا صنعن عجائبا      ولا يكمن بلاغة الفصحاء (١)

لكن القبيلة حين تحاصر من قبل الأعداء ، وتشعر بأنها مهددة ، تبحث عن البطل المنقذ ، فترى مرغمة الصورة الأخرى لعنترة ، صورة البطل الذي يحول الهزيمة الى نصر ساحق :

ينادونني في السلم يا ابن زبيبة      وعند صدام الخيل يا ابن الاطايب  
وليس من شك بأن صورة الأمة السوداء طائلة في ذهنه ، مهما حاول انكارها والابتعاد عنها والتمسك بالصفات الخلقية التي حاول من خلالها طمس واقع الام . . . ومحو صورة العبد من أذهان الناس . . . وط أن يخلو بنفسه ، وتتراعى صورة أمه ، حتى يحسس مرارة الواقع الأليم فيقول عنها :

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها      صبح ترعرع في رسوم المسازل  
الساق منها مثل ساق حمامة      والشعر منها مثل حب الفلفل

وصورة هذه الأمة السوداء التي تشبه الضبع ، لن يكون لها تأثير ايجابي على شخصية الابن ، بل على العكس ، ستكون مصدر التشهير به ، ستكون بمثابة نقطة ضعف تتاولها الخصوم كلما أرادوا التجريح والذليل منه . . . لذلك لا تحس روح التعاطف بين عنترة وأمه والتي كان من المفروض أن تربط بين الأم والأبن في الظروف الطبيعية . . . ولم تكن الصورة التي رسمها أبودلامة لأمه السوداء أفضل مضمونا من الصورة التي رسمها عنترة لأمه زبيبة . . . وكما رأى عنترة فيها صورة تشبه الضبع . . . ترى أبودلامة يرى فيها صورة الخول أو القطرب فيقول :

ها تيك والدتي عجوز ممتة      مثل البلية درعها في المشجب

مهزولة اللحيين من يرما يقل      أمصرت غولا أو خيال القطرب (١)

وربما اختلف الأمر مع نصيب الأكبر ، الذي رأيناه دائما مسالما ، رغم شعوره بالضيق من الظروف المحيطة به والتي كان يحاول كتمانها في صدره . . . فهو يظهر على مسرح الأحداث حين يرى في الظهور حفظا لكرامته ، ويختفي عند ما يحس الخطر يتهدد شخصيته . . . وروحه المسالمة دائما اتدت الى علاقته بأمه ، حيث رأى فيها انسانية ضعيفة لا حول لها ولا قوة . . . ووجد عندها من التشجيع والمساعدة ما لم يجده عند أحد ممن اتصل بهم حين أحس بنبوغه الشعري كما نتطلق يعرضه على اصحاب السراى والمشورة . . . وهي التي امتزجت عليه أن يسرق ناقة تتميز بسرعتها ليطلق بها بعيدا عن ساداته ، ويقصد المدينة ملتقى أهل الشعر يعرض بضاعته عليهم . . .

وان لم يذكر نصيب أمه في شعره الا نادرا .. فانا نلمس اهتمامه بهما  
 فيط نقل عنه من احاديث .. وهو دائم الدفاع عنها حين تتعرض لاذى من أية جهة  
 كانت .. وفيما ينقله صاحب الأغاني من هذا القبيل صورة عاطفية تلمس من خلالهما  
 تلك العاطفة الحزينة اتجاهها .. فقد اجتمعت نسوة يتحادثن بشعره فقالت احدا من :  
 قاتل الله ابن الزانية نصيبا حيث يقول .. ويتأثر نصيب لهذه التهمة التي الصقت  
 بأمه من غير وجه. حق فيقوم اليهن ويقول : اني رأيتكن تتحادثن شيئا عدى عنه علم ،  
 فقلن له : ومن أنت قال : اسمي أولا ، ثم الشدهن من شعره .. وحين تصير  
 النسوة على التعرف على اسمه يقول بحزن بالغ : أنا ابن المظلومة المقدومة بنصيب  
 جرم " نصيب " .. فقم اليه واعتذرن . (١) .. وهو لهذا يضح مسألة تحريرهما  
 نصيب عليه حين يتدلق في رحاب الشعر ويقول مخاطبا اخته ، محدثا ايها عن غايته  
 مه " أرجو أن يحتفل الله عز وجل وأمل ومن كان موقفا من أهل قرابتي (٢) وقد  
 استتلع أخيرا أن يحقق هذا الحلم ولو أن الوقت جاء متأخرا .

ولكنني فاديت أمي بعد ما علا الرأس منها كبرة ومشيب (٣)

وما عدا هؤلاء الثلاثة .. لا نجد في شعر السود الا لمحات خاطفة عن الأم ، وعن  
 تأثيرها عليهم .. ولا شك أن تأثيرها الايجابي على أولادها معدوم .. على ما رأينا ..  
 الا ما وجدنا عند نصيب من ظلال ..

وخلاصة الأمر أن الأم عند هؤلاء لم تأخذ الدور الطبيعي لأي أم .. ولم تأخذ  
 بالتالي دور المرأة القوية التي تقف وراء شهرة الرجل من كان ..  
 الأخت : كبقية أفراد الأسرة السوداء ، لم يكن للأخت فيها ذلك الدور الكبير ،  
 أو الاهتمام الشديد ، الا ما ذكرته المصادر عن تشجيع أمانة لأخيها النصيب ، من بعد  
 أن كانت في أول الأمر تحاول أن تثبط همته .. ورغم صغر حجم هذا الخبر الا اننا  
 نلمس ذلك التأثير الفعال لها في حياته . فقد كانت ممن يؤخذ برأيهم ويعتمد عليه نسي  
 قضايا مصيرية كقضية النصيب .. وطمحن الخبر أن أبا الحجاج أزمع الخروج السى  
 الخليفة عبد العزيز بن مروان لما أحسن استواء عوده في الشعر .. ولما كان مثل هذا  
 القرار يحتاج الى شجاعة وتصميم لما قد يلقاه شاعر أسود في مجتمع شعري كثير من افراده  
 ممن يشهد لهم بالارومة الشعرية الخالصة .. فان امانة .. على ما توفر فيها من مصافحة  
 في الرأي وحسن تبصر في الامور .. كانت اول من لجأ نصيب لمشورته ، والاخذ برأيه فقد  
 أتماها قائلا : " أي أخيه ، اني قد قلت شعرا ، وأنا أريد عبد العزيز ..

(١) الاغاني / ٣٥٠ و ٣٥١

(٢) المصدر نفسه / ٢٠٥ / ١

(٣) شعر نصيب / ٦٥

مروان ، وأرجو أن يستنك الله عز وجل به وأمك ومن كان مرموقا من أهل قرابتي " .  
وأطمة هذه رغم ما شعرت في أخيها من موهبة شعرية . . . إلا أنها خافت مغبة الأمر  
عليه من المجتمع الأبيض الذي خبرته جيدا فقاتلت له بحزن : انا لله وانا اليه راجعون .  
يا ابن آدم اتجمع عليك الخصلتان : السواد ، وأن تكون اضحوكة للناس " . . . لكنهما  
حين ترى استمرار أخيها . . . الى جانب إعجابها بشعره ، لا تلبث أن تعدل عن القول  
السابق فتقول مشجعة : أحسنت والله ، في هذا والله رجاء عظيم ، فأخرج علي  
بركة الله . " (١)

الزوجة عند أبي دلامة وهو أكثر من تحدث عنها — جواز مرور  
للوصول الى الصلطة ، ووسيلة للتكسب وان عكست من الجهة الثانية الوجه السلبي  
للرأة السوداء . . . وهي حين تكون في الوجه الأول صورة ايجابية للتكسب لا بأس  
من أن يرسم لها صورة هزلية مضحكة دلالا أن الغاية محددة ومعروفة . . . وهي شريكته  
في التمثيل حين تمثل دور المرأة الأيم تدخل على الخيزران تبكي فقدا زوجها وتشكو  
مصائبها ، وبالتالي ، تتال اعطياتها ، في الوقت نفسه الذي يمثل فيه أبو دلامة دور الرجل  
الذي نقد زوجته ، وهو يبكي فقدا بين يدي الخليفة المهدي ويبد بحظمه  
مبتشيا من وراء ذلك كله مزيدا من المال فيقول في ذلك :

وكنا كزوج من قطلا في مغارة

لدي حفص عيش ناعم موق رقد

فأتردني ريب الزمان بصرفه  
ولم أر شيئا قط أوحش من فرد (٢)

وهو لا يتورع عن مجائها . . . اذا كان في هذا الهجاء مزيدا من التكسب المادي  
ومن التقرب للبهو الملكي :

النبي شيخ كبير

ليمس في بيتي قديدا

غير مثل الخول عدى

ذات أوصال قديدا

وجهها أسمج من حمو

تطرى في عصيدة

ذات رجل ويد كلتسا

هاهما مثل القديدا (٣)

وقد يبني من وراء تقديم هذه الصورة الهزلية الضاحكة الى الليل من الطبقة الحاكمة  
التي تمثل بالنسبة اليه عقدة السب ولب المشكلة . . . وسيله في هذا ، الصورة  
الهزلية التي لا يتورع فيها عن خداع الخليفة خداعا يترك القارئ غارقا في  
بحر من الضحك من خليفة يفتخر بمسول الكلام :

(١) الاطمي ٣٠٥/١

(٢) الاطمي ٢٦٧/١٠ طبقات الشعراء ٦٢/١

(٣) الاطمي ٢٧٤/١٠

عجبت من صبيتي يوما وأمههم  
لا بارك الله فيها من مبهمة  
و نحن مشتبهوا الألوان أوجهنا  
إذا تشككت إلى الجوع قلت لها  
لا والذي يا أمير المؤمنين قضي  
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله  
شوهاً مشناة في بلدوا نجل  
ذكرتها بكتاب الله حرمتها  
فاخرطمت ثم قالت وهي مغضبة  
اخرج تهنئ لنا مالا ومزرعة  
واخذع خليفتنا عنا بمسألة

أم الدلالة لما حاجها الجزع  
هبت تلوم عيالي بعد ما هجموا  
سود قباح وفي اسطنا شمع  
ما حاج جوعك إلا الرى والشبع  
لك الخلافة نى أسبابها الرقع  
دوني ودون عيالي ثم تضطجع  
وفي الفاصل من اوصافها فدع  
ولم تكن بكتاب الله ترتجع  
أأنت تلوكتاب الله يا كسع  
كما لبيراننا مال ومزرعة  
ان الخليفة للسؤال ينخدع (١)

وتتجلى صورة المرأة السلبية أكثر ط تتجلى عند زوجة النصيب العرواني ، رغم أنه ليس من  
اشارة صريحة في شعره اليها •• وانما هو خبير مفاده أن نصيبا عندما قرر الخروج  
الى عبد العزيز بن مروان أول ط امدطدم برأي •• وقالتي حاولت تشييد صمته قسي  
الخروج متهمه اياه بالكسل وكثرة النوم •• ومحدرة من سوء الحاقبة (٢) •  
الأولاد : ربما وضع الشعراء السود أمانيهم وأحلامهم كلها في الأولاد •• أملا في  
تغيير واقنهم الأليم من خلالهم •• وربط حمل الأولاد كثيرا من صفات الآباء ، فحملوا  
بالتالي فشلهم ، وذالت عقدة اللون والنسب أقوى وأفتك تشدحم الى الأسفل كلما حاولوا  
الارتفاع والتخلص •• وهذا ما حصل مع النصيب العرواني وأبي دلالة ••  
أما ابن أبي فنن فينبر عن ذلك ويقول :

عاش مليء صار مثلي يلبس ما قد خلعت عيني  
فسرني ما رأيت منه وسامعي ما رآه مني (٣)

وبصاب النصيب بالاحباط بعد نشله في تحقيق مبتغاه المتمثل في تخليص بناته  
ما عناه وبعانيه هو بشدة •• الأمر الذي يدفع به الى الخليفة عمر بن عبد العزيز  
ويسأله قضاء حاجته التي تتلخص في قوله : " بنيات نفضت عليهن سوادى تكسدن •  
أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان " • (٤)

(١) نهاية الارب ٢٦٤/٤ - ٤٧ الاغانى ٢٤٩/١٠ - ٢٥٠  
(٢) الاغانى ٢١٠/١ - ٢١١  
(٣) نوات الوفيات ٨٢/١  
(٤) الاغانى ٢٢٤/١

ثم يطلب من الخليفة أن يفرض لهن ، فيجاب الى طلبه • وهو ان ترجم حزنه هكذا الى شعر يصور الحالة التي وصلت اليها بملته فيقول :

كسدن من الفقر في بيتهم  
وقد زاد من سيوادي كسودا (١)

وما أظن هذا الفقر الذي عانت منه بملته نصيب الا نتيجة طبيعية للحياة التي فرضت على السود ، وعلى ابنة زدين الجون ••••• تلك التي لم تكن بأسعد حالا وأفضل مآلا من بملته النصيب • ومن أين ستلقى الحظ وما ورثته من أم سوداء " وأب لثيم موعدها في هذه الحياة ••••• ولماذا اذن يطلب منها ما ليس في المستطاع :

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سوء الى لباتهما وأب لثيم (٢)

الأقارب : حديث السود عن أسرهم الصغيرة يتعدى الاصول الى الفروع . وما حد يثوم عن هذه الفروع الا تنتمه لحد يثوم عن الاصول ••••• فما كان يأمله أبوه الحجاج لباته كان يأمله للأقارب ، و لقومه بشكل عام . رغم أن هذه الآمال كان مصيرها التحطم على صخرة الواقع الأليم ••••• وما ألفه السود من نوعية الحياة كان من الصعب تركه رغم محاولات نصيب لاعتاقهم ••••• وقصته مع ابن خالته سحيم تحمّل غصة بقيت حتى اللحظات الاخيرة من حياته ••••• ودلخص القصة أن نصيبا أعتق فيصا أعتق ابن خاله ليمدعي سحيما ••••• وانه قد مرّ به يوما وهو يزور ويزفن مع السودان ، فلما أنكر عليه ذلك ••••• كان أن لقي جوابا أدعى الى الحزن والالم : " ان كنت قد اعتقتي لاكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبدا ، وان كنت قد اعتقتي لتصل رحمي وتقتضي حقه فهذا والله الذي أقبله هو الذي أريده • " فالصرف نصيب ولسان حاله يقول :

اني أراي لسحيم قائلا  
ان سحيما لم يثبي طائلا

نسيت اهطلي لك الرواحلا  
وضربي الابواب فيك سائلا

عد الملوك استثيب اللائللا  
حتى اذا آست عتقا عاجلا

وليتني منك القفا والكاهلا  
اخلقتا شكسا ولونا حائلا (٣)

وهو رغم قضاء حياته في محاولات متكررة لتخليص أكبر عدد ممكن من أمته وقومه ممن عودية الرق • الا أنه نادرا ما يلقى أن ما ورثه السود عن أبنائه جلدتهم لهو أعمق وأقوى من أن يمكنهم من رؤية سبيل الى الخلاص والتمرد ••••• وهو لذلك يرد بحزن بالسخ :

(١) شعر نصيب / ٨٦

(٢) الاظلي / ٢٥١ / ١٠

(٣) الاظلي / ٣١٧ / ١



على واحدة من بنات جلده وقفت بجانبه وهو يشد لباس فقالت بأبي أنت يا بن عم،  
 ما أنت والله عليّ بخزّي •• " فيقول لهاته والله لمن يخزيك من بني عمنا أكثر مما يزيتك (١)  
 الطوايح العامة للشجر الاسمرى : هذه النماذج القليلة حجما ، والتي خلفها  
 الشجر الأسود ، وتحدثوا من خلالها عن اسرتهم الصغيرة تكاد لا تحطيا ، بمرورها ،  
 صورة جلية ومباشرة لنوعية حياتهم والحلاقات التي تربطهم •• ولكن اذا ما ربطنا  
 بين هذا الحيز الضيق مساحة من اشجارهم ، مع الخط العام لاشجارهم كلها ، واذا  
 ما لاحظنا بدقة الظروف المعيشية العامة لهؤلاء ، وتأثرها الحتمي بالمعيط العام ،  
 نالنا نستطيع أن نلاحظ آثارا عميقة ان لم تلتزم مباشرة فهي كاملة في اعماقهم تتغلغل  
 اللحظة المناسبة للخروج من سجنها . هذه الآثار يمكن أن تلخصها بما يلي :

١- الذاتية : فالشجر الأسود حين تحدثوا عن اسرتهم وأنرادها كان حديثهم  
 هذا يحمل أزمته الخاصة التي عبروا عنها دائما ، ووجدنا آثارها في مختلف  
 موضوعاتهم الشعرية • فحين تحدث عنتره عن أمه ، تحدث عن ازمة اللبس  
 ومضاعفاتها •• وحين انطلق النصيب في البلاد يحمل ما لديه من موهبة  
 شعرية كان يبغى من وراء ذلك ، كله التمرد عن اليهودية ومحاولة ايجاد حدود  
 أدنى من التوازن بين طبقتهم وبين طبقات المجتمع الأخرى • كان يحلم بأن  
 يعتنق نفسه وأخته وأمه " ومن كان مرموقا من أهل قرابته • ثم حين تحدث  
 هؤلاء عن احلامهم وأملهم من خلال أولادهم ، تشوقوا لخلق حياة جديدة  
 لهؤلاء الأولد يخلصونهم بموجبها • ما استطاعوا • من اسرتهم الأسود •• حتى  
 أن حديثهم هنا لا سراة كان في أكثر الأحيان حديثا عن الذات •• وعن  
 همومها ومشكلاتها ومن ثم تطلعاتها •

٢- الطابع الأساوى : وهو طابع الحزن والألم والتشاؤم الذي ساد اشجارهم  
 في هذا المجال • والذي عبروا عنه مباشرة كما عند عنتره والنصيب وابسار  
 أبي فخر ، أو عبروا عنه بشكل غير مباشر من خلال حديثهم الهزلي العابس ،  
 كما عند أبي دلالة • وهم في الاسلوبين استطاعوا أن يدلوا بصفتهم  
 ويدلوا عاداته وتقاليد وأعرافه التي جارت عليهم فخرتهم من حثهم العائلي  
 في حياة حرة كريهة •

التذبذب بين الاستسلام والرفض : بين الواقع الاليم والشد الطمول •• بين الأذعان والاستسلام لهذا الواقع وبين تحديه ومن ثم رفضه •• كان يعيش الشاعر الاسود حين يريد أن يسمع صوته للعالم ••• تنراه يستسلم للواقع حين يكون قدرا أكبر منه وأشد منه قوة فيتأفف منه ويكرهه ويتأوله بلسانه الحياذ حتى لو كان من اقرب المقربين اليه كزوجته أو أمه • لكنه لا يلبث أن يرفض ويتحدى حين يحس في نفسه القدرة على الرفض والتحدى • فمعترة حين يجسد في زبيبة - أمه - أمة سوداء تشبه الضيع ، ويرى نفسه بلا نسب بعد أن تخلى عنه أبوه ، يجسد - في بادىء الامر - الحلب والصرعلا طبيعيا لعهد مثله ، لكنه يرفض الاستكانة والاستسلام للامر الواقع الذي ورثه عن أمه ، حين يرى في نفسه من صفات البطولة والشجاعة ما يدفع قبيلته للاستكانة به في الملمات •• بعد ذلك يرفض العبودية ويبحث عن حرية الضائفة التي يجدها في سيفه المسلول ، وفي شجاعته وبعولته وكرم أخلاقه ، وبالتالي يرفض أن يقف بسب أمه الوضع حاجزا طعنا بينه وبين آتاله •• وتتكرر صورة الرفض هذه عند سحرى لما قد يشعر في نفسه من صفات البطولة في الوقت الذي لا يرى فيه قومه سوى أنه عهد أسود ابن أمة سوداء فيقول :

فان تقتلونى تقتلوا ابن وليدة  
وان تتركونى تتركوا أسدا وردا

ومن خلال هذه التجربة الذاتية برزت شخصية الشاعر الأسود أكثر وضوحا وتبيرا ، حين عبر بصدق وصراحة عما يدور في داخله ، وعما يجرى في اسرته السوداء الصغيرة التي كان حديثه عنها حديثا عن نفسه •• نحدثه عن " الأنا " كان حديثا - في الوقت نفسه - عن " الغير " التي ينضوى تحت لوائها المقهورون والمعذبون من هذه الفئة التي اصطحلا على تسميتها بالفئة السوداء ، فجذور المشكلة واحدة ، وخطوطها واحدة ، ونتائجها - بالتالي - عليه وعلى غيره من أفرادها واحدة ايضا ، وهو حين تحدث عنها كان الاكثر احساسا بمتاعبها وهو الشاعر المرصف الاحساس ، والاكثر قدرة على الدفاع عنها •• والذي لم يجد أفضل من الشمر ليفرغ بين كلماته وقوافيه كل ما لديه من شحنات عاطفية وعقلانية دارت في محاور كثيرة كان أهمها المحاور الثلاثة التي مرنا بهن ، والتي تركزت في عقدة اللون والنسب والحب ، والاسرة • ومن كل محور كانت تتفرع شروخ جزئية اخرى • فقد وجدنا في الحديث عن المشكلة الاولى شكوى ومرارة ، كما وجدنا فيها حديثا عن جذور هذه العقدة ونتائجها المتمثلة في الفقر والحرمان ، في الصراع الطبقي • حتى أننا نستطيع أن نرى من خلالها ملخصا لحياة السود لئهمها المحور الاكثر اهمية ، والأعمق تأثيرا •• والذي

استوعب كل هذه العواطف المتداخلة هذه المجموعات الشعرية التي خلجها هؤلاء .. والتي اثبتت أن الشعر دأب هو المتفلسف في داخل المرء .. لا سيما هذا الانسان المرهف الذي زاد في حدة احساسه شعوره بالظلم لذنب لم يرتكبه .. وللسبب نفسه وجد فيه هؤلاء عزاءهم، كما وجدوا فيه سبيلا للثورة على أنفسهم وعلى أسرتهم أحيانا .. وعلى مجتمعهم الكبير في اكثر الاحيان . المجتمع الذي لم يشأ أن ينظر اليهم إلا نظرة فوقية باعتبارهم طبقة أدنى .. وباعتبارهم رعايا غرباء عنه ... حتى أن هذه النظرة كانت سببا في وقوع نوع من التصادم بين الطبقتين كان يشتد أحيانا الى درجة الثورة والتمرد والعصيان، وكان يضيف أحيانا أخرى الى حد التصالح الظاهري ، مخلفا وراءه في الاحوال كلها عواطف متنوعة متداخلة كانت تتدفق لتثور أو تكتم فتبقى في الأعماق .

وهذه التجربة الذاتية للسود على عقها وغناها ، وسعة المساحة التي احتلتها ، لم تلغ دور التجربة الجماعية لهم ، وان كانت قد عطمت على تصغير مساحتها والتقليل من عقها وأهميتها ودلائلها .. بشكل خاص .. على عالمهم الحقيقي . فالسود كانت لهم تجربتهم الجماعية التي كانت سلبياتها .. وهي الغالبة .. سببا في لجوئهم الى الداخل ، الى ذواتهم .. حتى أننا نستطيع أن نرى فيها الوجه الآخر لتلك الذات .. إذ " ليس في الحياة الخلقية وجود شخصي مطلق على ذاته أو شعور ذاتي معزول تطام عن كل شعور آخر ، بل هناك تداخل أولى بين "الذات" "والآخرين" أو بين قلبي "الأنا" و "الغير" (١) ورغم غنى التجربة الذاتية ودلائلها الروحية والمعنوية ، ورغم أن " الحياة الانسانية في جانب من جوانبها حياة باطنة لا بد لكل ذات من أن تحيا لحسابها الخاص " . (٢) إلا أن في سياق الحياة الاجتماعية التي تعيشها الذات ، والتي هي قائمة على تهادل التأثير بها والتأثير فيها . لا بد من أن تعيش هذه الذات حياتها الاجتماعية مهما كان نوع التبادل القائم بين الاثنين ومهما كانت درجة التأثير أو التأثير بهما . وهذا ما ينطبق على حياة هذه الفئة من الشعراء باعتبارهم يشكلون مجتمعا صغيرا يعيش داخل المجتمع الغريب عنهم في كل شيء . ومن خلال تجربتهم الذاتية استطعنا أن نلمس العلاقة المتبادلة بين السود وعالمهم الاول الصغير ، خاصة ان الشاعر الأسود كان يحمل .. كما قلنا .. أزمته الخاصة .. التي هي في الوقت نفسه أزمة طبقة كلها ..

(١) مشكلات فلسفية / المشكلة الخلقية د . زكريا ابراهيم / ١٠٧

(٢) المصدر نفسه / ٢٣٩

وحتى تكتمل الصورة لا بد أن نطمس العلاقة المتبادلة بين هؤلاء ومجتمعهم الثاني الكبير الذي عاشوا في زاوية منه •• وحاولوا — بشتى الوسائل — أن يرتفعوا إليه متجاوزين مجتمعهم الاول في محاولة للارتقاء الى صاف المواطنين الاصليين • الا أنها محاولة انتهت بهم الى التمزق والتشتت فلا هم قبلوا التأقلم مع عالمهم الاول ولا المجتمع الآخر قبلهم كمواطنين من الدرجة الاولى بل قبلهم بالولاة على اعتبار أنهم رعايا صرح لهم بالاقامة تصريحاً مشروطاً بالالتزام بقوانينه ومعاييره مهبطاً حطمت وتحمل من جور وظلم وتعسف •

وملاحظة مسيرة الشعر الاسود الممتدة منذ العصر الجاهلي حتى العباسي بخطوطها الظاهرة منها والخفية، ثم العلاقة المتبادلة بينه وبين مجتمعه، ومعاملة الشاعر الاسود التي تظهر جلية واضحة في شعره •• تجعلنا نضع في الاعتبار دائماً نقاطاً يصح أن نجعلها مرتكزاً ارتكزت عليه اسس هذه العلاقة، ومن ثم النتائج المترتبة على نوعية العلاقات المتبادلة •

١ — اقتتاد الشعراء السود لاهم صفة من الصفات التي كان يرتكز عليها المجتمع وهي "النسب" فقد كانوا صفر اليمين في هذا المجال •• ومواجهتهم للمجتمع دون أدنى خلفية من هذا الارث حرمتهم من حق تجسدهم بجسيتته لذلك ظلوا رعايا بل بالاحرى لا جئين •• ولم تكن سبل الحياة متوفرة لهم الا عند الناس • ولم يكونوا بالتالي اشخاصاً فاعلين في ذال المجتمع بل متفعلين بحكم الضغوط التي فرضت عليهم ضريبة لجوئهم • ورغم أن بعضاً منهم كان يحمل من جهته أرباباً من شرف النسب •• الا أن هذا لم يغير في الامر شيئاً لاننا رأينا أن هذا الأب هو نفسه الذي حرّمهم حق الانسان أو الاداء بنسبه فشداد أرفم مكرها أمام مصلحته ومصلحة قبيلته على قبول الاعتراف ببهوته لعنترة رغم أن هذا الاعتراف لم يبدل — فعلياً — من نظرة المجتمع اليه، ولم يمكنه بالتالي من العيش كمواطن عادى له حقوق وواجبات المواطنين الآخرين، وهو في أغلب الأحيان ابن زبيقة أو ابن الاطايب فهو لقب له وقت الحاجة الى خدماته كنارس وبطل لا يجارى • والحال هي نفسها مع خفاف •• وخفاف "صحابي شهد فتح مكة مع النبي ومعه لسوء بني سليم وشهد حنيناً والتلائف وهو أحد فرسان قيس وشعرائها" • (١) وهو في الوقت نفسه ابن لأب من أشرف القوم هو عمير بن الحارث بن الشريد •• وهذا كله لم يخلصه من اللقب الذي

اشتهر به وهو لقب " ابن ندبة " ، ولم يمح شعوره بالظلم الذي كان يلحقه  
من جراء ذلك :

كلانا يسوده قومه — على ذلك التسبب المظلم (١)

ومن نسبوا الى امهاتهم كان ابن شكلة •• ابراهيم بن المهدي •• الذي لم تتفحصه  
أهوية الخليفة المهدي، ولا اخوته للرشد، ولا قرابته للأمين والمؤمن والمعتصم  
رجال الحكم في الدولة العباسية • حتى الخلافة التي توصل اليها لم تأت طواعية  
وكفاة له بل جاءته صادقة، وربط وجد فيه رجال السياسة آنذاك وجها يتحدى  
المؤمن حين " جدني تجديد العهد لخلي بن موسى بن جعفر، وتقدم الى الفضل  
بأخذ البيعة على الناس •• دباهاشميون بعضهم الى بعض، وخلعوا المؤمن وعقدوا  
الأمر لإبراهيم بن المهدي • " (٢) وهذا ما أشار اليه أحمد أمين في ضحى الاسلام  
حين أكد على خلع المؤمن من الخلافة " غضبا من فعله ومباينة ابراهيم بن المهدي " (٣)  
ولم يكن لقبه " ابن شكلة " الا امعانا في تجويحه ••

وتسبب السود الى امهاتهم — رغم كون آبائهم من الأحرار •• ومن زعامات  
القوم لم يكن الا صورة من صور الاهانات التي لحقت بهم •• بل أشدها امتهايا لكرامتهم  
واذلالا لنفوسهم • وإذا كان هؤلاء ممن لهم بارتقة أمل في حياة حرة قائمة على اساس  
من العدل وتكافؤ الفرص، لما يحطونه من نسب الأيومن فروسية وبطولة يشهد لهم بها  
فما بالبا بتلك الفلحة المغلوبة على امرها من كان اصحابها عبيد الا بوبين؟ •• وما مر  
معنا من تجاربهم الذاتية الحزينة الا رد فصل طبيخي للوعية الحياة الخائفة التي  
كانوا يحشونها •

٢- كان أكثرهم بعيدا عن دائرة الضوء التي تشمل القصر ومن يلوذ به ، ويمحوم من  
الاقتراب عوامل شتى تعود برمتها الى العامل الأول ، هذا العامل هو نفسه الذي  
مع نصيب من أن يكون نديم الخليفة وسهره حين وجد فيه الخليفة من الشاعرية  
الفذة ، والطبيعة السالمة ما يؤمله لحرفة القديم رغم سواده •• فلقد دخل  
ذات مرة ذات مرة على عبد الملك بن مروان فتغدى عنده • ولما طلب الخليفة  
منه ما يتعاد عليه اجابه نصيب : " تؤمني ؟ ••• لوني حائل ، وشعري

(١) شعر خفاف

(٢) الوزراء والكتاب / ٣١٢

(٣) ضحى الاسلام / ٢٩٤

مفلغل وخلقتي مشومة ، ولم أبلغ من اكراك اياى بشرف أب أو أم ، أو عشيرة • •  
وانما بلغت بحقلي ولساني ، فأشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيدي  
وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك • " (١) وهذه الاخلاقية التي تحلى  
بها نصيب من خلال قصته مع الخليفة لفاجا بها في جو كان الجميع فيه  
يتسابقون الى التلق وكسب ود الطبقة الحاكمة ، حتى ضاعت شخصية الشاعر  
الحربي في كثير من الاحيان في ثلثيا هذا الدوح الذي يقوم في الدرجة الاولى  
على التكسب وتحقيق الأغراض الشخصية • • ولم يكن موقف نصيب هذا تجاه الخليفة  
فقط • • فالحال نفسها مع نسوة قد من اليه لسماح شعره • • وهو يقول لمن  
نقل اليه هذه الرقة : " وما يصلح من بي ، يرين جلدة سوداء وشعرا أبيضين  
ولكن ليس من شعري من وراء ستر " • (٢) والأمر يختلف عند أبي دلالة الذي  
كان دائما قريبا من القصر ومن الخليفة وآله • • الذي وجد في الظرف والفكاهة  
مجالا للمادة والتكسب ، وربط حمل تحت هذه المظاهر حقدا وكرها للمجتمع  
المتمثل بالقصر والحاشية ، خبأه تحت ستار من الهزل والسخرية الدلوانة  
بالفكاهة والمرح • •

وان وجد بين هؤلاء من جاول الاقتراب من دائرة الضوء • • وتهيئة مكان مناسب  
له ضمنها ، لقي المصارضة الحليفة من المجتمع • • فالخروج على قوانينه الموضوعه  
يحاقب عليه عقابا ينتهي في أكثر الاوقات الى القتل والتشيل • • وفي بعض  
الاقوات لمواقف مخزية تبخي التشهير بمصاحبها • • وليس أدل على ذلك من النهاية  
المنجحة لآحد بن علي الرشيد النسائي حين " سمت نفسه الى الخلافة  
فسعى اليها ، وأجابهم قوم فسلوا عليه بها ، وضربت باسمه اللقود " (٣) •  
ولم يدم الأمر طويلا حتى جاءت النهاية المخزية المحزنة حين أخرج من الاسكندرية  
" على جمال وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز ينال منه ، ثم صلب شق • •  
الأثر " (٤) حتى أولئك الذين ابتعدوا عن دائرة الضوء ، وأرادوا أن يمارسوا  
حياتهم بشكلها الطبيعي كأي فرد ، وتطلعتوا من خلال ذلك الى الحرية  
والى الحياة الدشرقة ، الى الحب والطأنينة النفسية • • هؤلاء لم تكن نهايتهم

(١) الاظلي ٢١٩/١ — العقد الفريد ٢١٨/١

(٢) الاظلي ٢٢١/١

(٣) الاظلام ١٦٨/١

(٤) الاظلام ١٦٨/١ — مسجم الإدياء ٥٧/٤ — ٥٨

أسعد حظاً من أولئك •• طالما أنه حكم بالوادي على حريتهم وعلى حبههم وعلى حياتهم ••

٣- كانوا وهم يحبرون عن ذواتهم وعن مجتمعهم يظنون التيار الشعبي بكل بساطته وعفوية وصراحته •• بفقره وضلوكه وتعاسته •• هذا التيار الذي كان يعيش الحياة الخاصة وسط المجتمع الكبير ، ويسلك أكثر من طريق لتأمين سبل الحياة ولو بأبسط صورها •• فقد يحترف بعضهم التكسب صراحة ليضمن صاء الحياة •• في حين يرى البعض الآخر في الكسب غير المشروع سهيلاً للعيش كما فعل نصيب الأصغر حين اختلس مبلغاً من المال وسجن بسببه •• على أننا لا نعدم بينهم من أخلته الزيادة في الاعطيات الواردة من القصر كما حدث مع علي بن جبلة حين كان يلاقي الهروالا كرام من ابي دلف حتى اضطر يوماً الى الانقطاع عنه لما رأى من افراطه في برة فقال :

هجرتك ولم اهجرك من كبريمة

ولكنني لما أتيتك زائراً

فمن الآن لا أتيك الا مسلماً

فان زدني براً تزايدت جفوة

والفقر بآسفة وآلامه ما هو الا الوجه الطبيعي لهذه الفئة الدنيا من

الشعب المحكوم •• ولذلك كان محور أشعارهم التي كانت المتعسف الحقيقي

لتلك المآسي والآلام •• وهم بذلوا في سبيل الخلاص منه كثيراً من جهودهم

وكرامتهم طلباً للحياة أولاً •• وسبيلاً لتحقيق النفس والأهل ثانياً ••

٤- نتيجة لما سبق نستطيع أن نخلص الى تحديد موقفهم من هذا المجتمع وطريقة

التعامل معه •• بعد أن لمسنا موقف المجتمع السلبي منهم ، ونظرتهم

الطبقية اليهم ، والتي نتج عنها تحديد للمطلقة المسموح التجول ضمنها

الناطق المعمر عليهم دخولها •• فاذا شاركوا في قضايا الساعة المطروحة

في مجتمعهم ، واذا ما تقاطعوا وافعلوا بتلك القضايا فلنكن مشاركتهم محصورة

ضمن الاطار الدرسوم لهم في القصر •• وضمن الساعة التي كانت في عداد

املاكهم ولكن وفق شروط ايضاً لا يجوز تجاوزها •• وأبرز ما ضم هذا الاطار

من موضوعات كانت تتجصع وتتخلص في :

١ - المدح :

ان بمدح الانسان شخصا ما يعنى ذلك أن يظهر حسن ثلثه له ، واذلها  
هذا الثناء يتطلب قناعة المادح بمدوحه وصفاته وأخلاقه ، ليستطيع أن  
يعبر من خلال الكلمة الشعرية عن اعجابيه بتلك الصفات ولكن .. عمل  
يقوم المدح دائما على القناعة؟ وهل هو نتيجة طبيعية لحصول هذه  
القناعة في نفس المادح؟ الأمر الطبيعي أن يأتي هذا المدح نتيجة  
لحصول هذه القناعة .. كما حدث مع زهير بن أبي سلمى الذى خلف  
أروع وأصدق ما قيل في المدح من خلال شعره في الحارث بن عوف والهرم بن  
سلان، فقد هزت كيانه محاولتها المسلحة لاصلاح ذات البين بين القبيلتين  
المتحاربتين وايقاف بار الفتنة .. وقد يحدث عكس هذا حين  
ينطلق لسان أحد هم في مدح سلطان أو خليفة ليس فيه ما يمدح سوى انه  
صاحب منصب والفائدة الدرجة من هذا المنصب .. والأمثلة على ذلك  
أكثر من أن تعد ، حتى ضاق الشعر على رحابته بهذا الفن ، فكان  
سببا في شياع شخصية الشاعر المتميزة من خلال ذواتها في ثلثها امدحه .

والرغبة في اظهار المقاب والمدح صفة طبيعية في الانسان عموما ، اذ يبين  
علم النفس الحديث حاجة الانسان الى أن يمدح ويُدَّح ، وان يُعجب ويُعجب به .  
كنوع من الاعجاب المتبادل حين يقوم على أسس نفسية بحيث قبل أن يقوم على  
معالجات أخرى تتعلق بشخصية المدوح أو الشاعر المادح نفسه . وابتداء  
من هذه الفكرة وجدنا الكثير ممن مدحوا غيرهم ثم مدحوا أنفسهم فكان فخرا  
بهذا النفس وبمخاتهم ، حتى غدا الفخر أيضا قائما بذاته ذا ابعاد ..

وإذا ما حاولنا استكشاف كنه هذه العلاقة بين الشعراء السود ومخاتهم ،  
وبالتالي بينهم وبين من تزعم ذلك المجتمع ، ولا سيط أصحاب السلطة وجدنا  
أن طبيعة هذه العلاقة بين الطرفين كانت تقوم على أسس معينة ، وتتصف  
بصفات محددة حتى وجدنا المدح عذم له مذاقه ولامه  
الخاص ، وله مواصفاته الخاصة .. وتجنبة السود في هذا المضمار غيبة  
على ما تتصف به من شمول وجماعية لا ترا تعزل علاقتهم بالمجتمع .. وهي التي  
جانب ذلك تعكس شيئا من ذواتهم التي توحى لهم بتوعية واسلوب التبادل مدح  
الآخرين .. ويتناظر الدافع الذاتى مع ظروف البيئة المحيطيان معا مدحا  
يختلف باختلاف الدافع والظروف ..



١ — فقد وجدنا بين هؤلاء من استطاع من خلال هذا الفن الهروب من واقعه الأليم والحصول على قدر أكبر من الامتيازات في مجتمع كان يقوم برمته على هذه الامتيازات •• فاقترب شيئا فشيئا من دائرة الضوء حين خلد بدويحه شخصا معينا من شخصيات المسرح السياسي • ولا بأس عند ذاك من اقتران اسم الشاعر باسم المدوح حتى أنه ينسب إليه كما نسب نصيب الأكبر إلى عبد العزيز بن مروان الذي فتح له باب القصر على مصراعيه وقربه منه •• وأراد في وقت من الاوقات أن يجعل منه نديما وسميرا له في صحبتته ، وأن يستبد له بالعزيز من دمايته القدامى كأعين بن خريم ، رغم الكائد التي نصبت وحيكته للحيلولة دون وقوع ذلك ، والتي حاولت إبعاد الشاعر عن مدوح آخر أخلص له هو عهد الله بن جعفر الذي أكرم وفادته وأمر له بذلك كثير وكسوة شريفة ، وحين سئل عن فعله هذا مع عبد أسود قال : " أما لئن كان عبدا ان شعره نبي لحر ، ولئن كسبان أسود ان تلامه الأبيات ، وإنما أخذ ما لا يغنى ، وثيابا تهلى ، ورواحل تنضى ، وأعطى مديحا يروى ، وثلاما يبقى • " (١)

ومن جميل ما قاله النصيب في عبد العزيز بن مروان حين دخل إليه في مصر :

لنجد العزيز على قومه	وغيرهم من غامر •
وكذلك أرفأ بالزائرين	من الأم بابتها الزائرة
وكذلك حين ترى المصطفىين	أندى من الليلة الطاهرة (٢)

والابيات التالية في مدح سليمان بن عبد الملك تعتبر من غر الدوح لما فيها من جميل المعاني وصدقها :

أقول لركب قافلين رأيتهم	قفا ذات أوшал ومولاك قسار
قفوا خبروني عن سليمان النبي	لمصروفه من آل ودان طالب
فما جوا فأثلوا بالذي انت أهله	ولو سكتوا أثبت عليك الحقائق (٣)

وومن شارك نصيب في الشهرة من خلال أمدوحه الشاعر علي بن جبلة الطقريب بالبحوك •• وأمدوح علي في أبيه دلف العجلي طوقت شهرتها الآفاق حتى

(١) المقدم الفريد ٢١٨/١

(٢) شعر نصيب / ٩٩ — مجلد الادباء ٢٢٨

(٣) شعر نصيب / ٥٩

كانت بالنسبة اليه سيفاً ذا حدين •• مثلما شوره في حده الاول، كان سبباً فسي قتلته وفي " اخراج لسانه من قناه " (١) في الحد الثاني •• والابيات التي كانت من وراء قتل الحكوك •• وسبباً في نهايته المفجعة الاليمة هي ما قاله في مديح ابي دلف العجلي :

ابن الدنيا أبو دلف	ولت الدنيا على أثره
كل من في الارض من عرب	بين يديه إلى حضره
مستعير منه مكرمة	يكتسبها يوم مفتخرة (٢)

(٢) وقد نجد من بين هؤلاء الشعراء من اتخذ من المدح وسيلة للتكسب الطدى • وأراد من ذلك أن يخلص نفسه وأهله من الفقر والتشرد والحرمان فاتصل بالبيت الحاكم وبالن لقب " مداح الحلقاء " من هؤلاء نجد نصيب الأصغر مولى المهدي ، الذي كانت إحدى اماديجه التي استعطف من خلالها الخليفة سبباً في الابقاء على حياته من بعد تصميم على موته بسبب سرقة لبلخ من المال كان قد أرسله معه المهدي الى اليمن لشراء الابل، ولما دخل على الخليفة المهدي موثقاً بالحد يد قال له من قصيدة يستحذله فيها :

تأوني ثقل من الإقيد موجع	فأرت عيني والخليون هوجع
صوم توالى لو ألم يسيرها	بسلمي لظلت صممه تنصدع (٣)

ثم يختم القصيدة طالباً فيها نجدته مما هو فيه فيقول :

وإني لمواك الذي ان جفوته	اتاك سكيناً خاضعاً يتضرع
--------------------------	--------------------------

وينتهي الموقف، بالحفوة واطلاق سراحه ثم وصله صلة لم تقطع حتى بمسند ولاة المهدي، وانما اكتمل واستمر بمجيء هارون الرشيد ، كما استمرت اماديجه هو فيه مدحاً تلك القصيدة التي يهدوفاً بالنسيب :

خليلي . اني لا يزال يشوقني	قطين الحنى والذراعن الدحمل
----------------------------	----------------------------

الى أن يصل الى مدح الرشيد فيقول :

لئن نال عهد الله قبل خلافة	لأنت من الجهد الذي نلت أفضل
----------------------------	-----------------------------

وما زادك الجهد الذي نلت بسطة	ولكن بتقوى الله انت مسرسل
------------------------------	---------------------------

ورث رسول الله عضواً ومفضلاً	وذا من رسول الله عضو ومنضلاً (٤)
-----------------------------	----------------------------------

(١) نهاية الرب ١٨٦/٢

(٢) المصدر نفسه ٢٢١/٤ — ٢٢٢ — ٢٢٣ — ٢٢٤

(٣) معجم الادباء ٢٢٤/٤

(٤) الاظلي ٤٠٠/٢٢

ومن بعد المهدي والرشيدي وجد في الهراكية بحرا لا يفضب ، وكثرا لا يغنى من العطايات •

٢- كما وجد بعض منهم في سلوك هذا السبيل سجالا للدفاع عن سياسة التهجيم ، وولا • لدولة أحب أن يوقف ااديحه لحكامها • فكان وفيها صادقا مع هذا الولا • ومع نفسه • وفي شخصية سديف بن ميمون نرى الولا • المطلق لبيبي العباس ، والعداوة السافرة للامويين • وفي القصيدة التي اخترت منها الابيات التالية يظهر الولا • والمدح مع تقييده العدا • والهجم • حين يقول سديف ، خاطبا أبا العباس السفاح حين دخل اليه وجانبه بعض من بني امية :

أصبح الطك ثابت الاساس	بالهليل من بني العباس
بالصديور المقدمين قد يما	والرؤوس القوائم الرؤاس
يا أمير الظهريين من الذم	ويا رأس ملتوي كسل رأس
أنت مهدي هاشم ومداها	كم أناس رجوك بعد اياس
لا تقبلن عدا شمس عدا را	واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله	بدار الهوان والاعتباس

٤- ثم اننا نجد بين هؤلاء • وأولئك فريقا منهم متذبذبا بين الالتزام حينما من الزميين لدولة ، ثم العودة عن ذلك الالتزام بالولا • لدولة اخرى • • فكان بذلك متأرجحا بين الالتزام السياسي وبين التمسك الطادي ، وما يتبعه في كثير من الاوقات • فقد اتصل أبو ذؤيبه الراجزي بادي • ذي يد • بمسلمة بن عبد الملك السدي • أوصله للخفاء واحدا بعد الآخر ، وبالرغم من أنهم اغدقوا عليه العطايات • الا أنهم لم يستطيعوا كبح جطح نفسه الطاعة لذلك تركهم " وانقلح الي بني العباس ولقب نفسه بشاعر بني هاشم ومدح الخلفاء • من بني العباس وهجا بني امية " (١) لكن طمعه هذا لم يقف به عند حد معين بل حمله الى أن يقول في الطصور " ارجوزة يخربه فيها بخلع عيسى بن موسى " ويعقد الولاية لابنه محمد المهدي " (٢) وكانت النتيجة أن دفع ثمن ذلك حياته حين طلبه عيسى وأدركه في طريق خراسان فذبحه وسلخ وجهه •••• وهذا التناقض يظهر في الموقف ، والتذبذب في الموادف يظهر جليا واضحا في شعره • حين يمدح بني امية ومنهم هشام بن عبد الملك فيقول :

(١) خزنة الادب ١/١٢٨

(٢) المصدر نفسه ١/١٢٨

وقلت للعيس اعطى وجدى  
قد ادرعن في سير سمد  
الى أمير المؤمنين المجدى  
فمن دعا من أصيد ووجد  
ولا يلبث هذا الولاء أن ينتهي بانتهاج الدولة الاموية ليتجدد بتجدد دولة  
اخرى هي الدولة العباسية فيدخل على السطاح وينشده قائلاً :

حتى اذا ما الاوصياء عسكروا  
ومن بني العباس بنح أفسر  
أقبل بالناس الهوى المستبهر  
وبتهجة لهذا التذبذب في الولاء وصف بأنه قليل الوفاء (٢)

وبصورة عامة ، ورغم ما تقدم من أطماع الشعراء السود ، فاننا لا نعدم بينهم  
من لم يرف في نفسه صدى لهذا الفن ، ولم ير - بالتالي - فيه حلاً لمشكلاته . . .  
فابتعد عنه قدر المستطاع ، لانه كان يحس في قراره نفسه أن مشكلة وجوده الانساني  
والاعتراف به على قدر من المساواة والعدل الاجتماعي ، قضية أكبر واعقد من ان تحل بهذه  
البساطة ، وأعد من أن تنتهي عند الحدود التي تبدأ لحظة الدخول في باب  
القصر . . . لذلك لم يشغل نفسها بدخ هذا أو التقرب من ذلك . . .

الهجاء : اذا كان الدخ عند الشعراء السود يمثل بعضاً من علاقتهم الاجتماعية  
بكل اعتباراتها . . . فان الهجاء ، وهو النقيض اللغوي للدخ ، على ما فيه من تقصد  
وتعريض وهجوم ، فانه يمثل الحلاقة السلبية التي تعامل الطرفان على أساسهما .  
فهذا المجتمع يرفضه مبادئ العدل والمساواة وسيادتهما على المجتمع ، يخش الظلم عن  
اللون والشكل والانتقام ، كرس نفوسهم حقداً وكرماً كما ينتظران اللحظة المناسبة  
للظهور ، متخذين أشكالاً ومظاهر متعددة كانت تتغير <sup>بتغير</sup> طهيحة كل منهم . . . واطهيحة  
الظروف التي تحيط به . والتي كانت واحدة في كثير من الأحيان . وما الهجاء عند هؤلاء  
الا القلب المناسب الذي سبكت فيه انتقاداتهم واحتجاجاتهم التي وجهت للمجتمع  
والتي كانت السبيل المفتوح لهم للتفويض عما في داخلهم . ولذلك ترى هذا الفن

(١) خزنة الادب ١/١٢٨ الاظاني ٢٠/٢٦٦ وسمدت الابل = جدت في السير

(٢) الاظاني ٢٠/٢٨٦ - المستبهر = وردت ايضاً المستبهر

(٣) خزنة الادب ١/١٢٨

الشعري يختلف في كثير من مواصفاته مما هو عليه عند الشعراء الآخرين ، وهو يختلف على الأقل في الغاية والهدف . وهذا كما أن يحطيه طابع النضال والرفض السليبي ، ضد مجتمع يعينه يمثل قبيح ومبادئ تلحق بهم الهوان والذل والتشرد والفقر . . . وما الى هنالك من ألوان العبودية . . . لذلك نراه يركز على أسس معينة نستطيع اجمالها فيط يأتي :

١ - الهجاء عند السود في مجله بتعبير عن عميق سخطهم على مجتمعهم . . . وربما كان في كثير من الاحيان انتقام منه ، وتنجيرا للضيق المكبوت في داخلهم . حتى أنه تحول عدد بعض منهم - ممن لم تتاوله هذه الدراسة - الى سلاح لتناك في وجه المجتمع الذي رفض وجودهم الانساني .

٢ - وكما كان في هجائهم اداة لمجتمعهم ، كان ليه ايضا اداة لفسهم المتشمل في السواد واليهودية . . . حتى اننا كنا نحس في ادائهم هذه الآلام الدفينة التي تكافئت وكهنت الى ان تفجرت قنبلة تلايرت شتايهاها حتى لمست نارها اقرب المقربين اليهم . . . فقد مرت بنا صورة زبيبة التي تشبه الضبع في بشاعة شكلها وسوادها ، ثم صورة اسرة الصيب . . . واهي دلالة . . . ثم صورة سحيم التي تشبه الكلب أو هي دونه . . .

٣ - وقد يتخذ الهجاء عندهم ملحنى شخصيا عندما يهجو الشاعر الاسود خصما له ، كما حدث عند خفاف بن ندبة الذي ترك وراءه مجموعة من الاشعار لتسدور برمتها حول هجاء الحباس بن مرداس واظهار مثالبه ومن هذه الابيات قوله :

أرى الحباس يلقن كل يوم  
وفي مكان آخر يقول له :

أعباس أما كرهت العيروب  
فقد ذقت من عضها ما كفى (١)

٤ - او يتجه اتجاها سيا سياء كأن يناصر الشاعر منهم هزبا معينيا ضد حزب آخر فيعتبر هذا الهجاء سلاطا هائلا في وجه المناوئين . . . وقد رأينا في شعير سديف بن ميمون خير مثال على ذلك . فقد كان سديف هذا شديد العصبيته لهي الحباس ضد بني امية . . . ولذلك سلط هجاءه عليهم ، وكان يحفظها طابع الحنف اليدوي الذي يودي بحياة البقية الباقية منهم متحلة بسليمان ابن عبد الملك وابنيه فهو حين يراهم في البيت الحباسي مقربين من صاحبهم

تسوه الصورة فيعرض الخليفة عليهم قائلا له :

لا يخرقك ما ترى من رجال      ان تحت الضلوع داءً وديسا  
تدع السيف وارفع السوط حتى      لا ترى فوق وجهها أمويبا

وفي الطرف الآخر يقف ابو الحلاء السدي الذي تذبذب في موقفه بين  
الولاء لحزبي الامويين والحاسيين وفق الحاجة • وما قاله في مجمل  
بني امية طاحا • في الوقت نفسه • خصومهم :

ان الخيل من البرية ماشم      وبنو امية اذال الاشرا  
وبنو امية عودهم من خرؤع      ولهاشم في المجد عود نشار  
أما الدعة الى الجنان فهاشم      وبنو امية من دعة اللشار

وهو في مجمل هذا ينال من ايدان بني امية فيعتد بذلك الاسس السلامية  
الاولى لتقييم الانسان عموما ••

ومجمل القول في هذا الفن عند شعراء هذه الثقة فانه الى جانب النايمة  
التي يضعها الشاعر منهم نصب عينيه في الليل من الحدو وتجريحه • فهو يعامل  
كثيرا ما كان يؤلمهم ويحذبهم ويرهق كاهلهم • ولا أدل على ذلك من شاعر  
تذمب به الظروف وتشاء به الاقدار الى أن تكون اءه أو أحد أفراد أسرته القريبين  
هي مجمل الليل والتجريح من قبلهم • الام • التي كانت سببا في حياته • أو أحد  
أفراد الاسرة الآخرين ليس بأمر طبيعي فيط لولم يكونوا مصدر هذا العذاب •• او  
حتى الاقل يشاركون في تحمل جزء من مسؤولية الحياة المظلمة التي طشوها وبعيد شوها  
هم وأهلهم •• ونينا لولم يكن الأمر كذلك •• فهل كانت هذه الام سهلة التناول  
بهذا الشكل الأليم ؟ •••

### الفصل الثالث عشر

#### خصائص الاسلوب عند الشعراء السود

كثير من الققاد يرى " أن خير تعريف للأدب لا يعطى الا بتربيته المعلومات الصالحة عن أصوله النفسية " (١) وحين يبحث ورد زو ثامن كيفية توخي الشاعر لمطية الخلق فيتساءل : " ما الذى تعنيه كلمة شاعر؟ من هو الشاعر ؟ ولحن يتوجه بشعره ؟ .. وأى لغة ترجى منه ؟ " ثم لا يلبث أن يجيب على أسئلته قائلا : " الشاعر انسان يتحدث الى اناسي ، الا انسه انسان وهب قسطا من الحساسية الحية أكثر من بنائر الناس ، وحساسية أشد ورقة أعظم ، ومعرفة بطبيعة الانسان أشمل " (٢) فان ذلك يشير الى وجود رابطة بين الاديب وأدبه وبين الفنان ونفسه . والشاعر عموما سرآة تحكس أوضاع الذات كما تحكس أوضاع المجتمع .. ويقدر ما يكون الانعكاس قويا ، بقدر ما يستطیع أن ينقل اليها صورة أكثر دقة ووضوحا .

على أننا نجد في الطرف الآخر آراء تناقض ما سبق .. فلم يكن الاديب عدما " محض نسخة عن الحياة " لانه قد يجسد " حلم الاديب لا واقع حياته أو قد يكون القناع أو النقيض الذى يختفي وراء شخصه الحقيقي ، أو قد يكون صورة من الحياة التي يريد الأديب أن يهرب منها " (٣)

والإيمان المطلق بأحد هذين الرأيين تجني على الادب والأديب . فالأديب بطبيعة تكوينه .. وكونه نتاج انساني لا يدخل ضمن التعريفات الجاهزة وكفى .. فهو لا يستطيع الا ان يتأثر بدرجات متفاوتة لما في داخل الكاتب متأثرا بعاملين اثنين .. الحامل الوراثي ، والحامل المكتسب من الخارج ومن المحيط .. وحين يحيش الصراع الداخلى قويا في أعناق الأديب لا بد .. أعتقد .. من أن يؤثر في اتجاهه وان يدير القطعة الادبية لا سيما الشعرية الوجهة التي يريد بها .. والشاعر .. بشكل خاص .. وفي اغلب الاحيان " يحترق في تجربته عطا في نفسه من صراع داخلى سواء أكان تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو أم عن موقف انساني عام تمثله .. وهذا تكن التجربة عاطفة شعورية ، فانها لا تعرف قنلا عن الفكر الذى يصحبها ، وينظمها ، ويساعد على تأمل الشاعر فيها " (٤) فأين يقف الشاعر الأسود من هذين الرأيين ؟ ..

(١) ملاحج النقد الادبي = ديفد ديتشر / ٥٢٤

(٢) المصدر نفسه / ٥٢٥

(٣) المصدر نفسه / ٥٠١ - ٥٠٢

(٤) النقد الادبي الحديث / محمد غنيمي حلال ٢٨٢ - ٢٨٤

وما هو سبيله للإفصاح عن الصراع الداخلي والخارجي الذي لمسناه في تجربته الذاتية والجماعية ؟ ... هذه التجربة التي دفنته واخوته دفعا لان يحيشوا بتناقض مجتمعهم والصراع الناتج عن هذا التناقض بأشد صورته . والتي وجهت أشعارهم في هذا المضمار ، فكانت في أكثرها صدى لدفولتهم المعذبة ، ولشبابهم المهان ... ولكهولتهم المسحوقة ... رأينا فيها الفقر الذي قتل طموحاتهم وأدمى آملهم ، ورأينا فيها الآلام التي فتكت بأجسادهم وبأرواحهم . كما رأينا فيها الدواء المسكن لهذه الآلام لان الشفاء والبرء كانا مستحيلين . لم تكن أشعارهم مجرد اطلاق جميل للوحات ترسم الجدل ... ولم تكن مجرد لغة تحمل المعاني المعجمية بحرفيتها ... كما أنها لم تكن عبارة عن قوالب جامدة غايتها المحافظة على الحدود المتعارف عليها من الأزل للشعر ... أشعارهم كانت تضح بالحركة ، فعالة ومفعلة ... كانت ملونة تتأثر بالضوء الخارجي وتضيف إليه ألوانا من ذاتها ، وباختصار كانت " جميع ما يحتشد من روابط ونشاط مستعدة من جميع انواع المفهومات والتطورات وصور الفكر والتقاليد البلاغية وأشياء أخرى " (١) وهم في ذلك كله مؤمنون — عند قصد أو غير قصد — بالتزام الشاعر و " وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا قوميه الوطنية والانسانية ، وفيما يحاؤون من الآم ويهتفون من آمل " (٢) ولكثرتهم ربما اختلفوا عن غيرهم من البطريريين في طريقة الاداء التي سميت اصطلاحا الاسلوب فعرف بأنه " طريقة الانشاء أو طريقة اختيار اللفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الايضاح والتأثير " وهو باختصار طريقة التفكير والتصوير والتعبير " (٣)

واللفظ والمعنى هما الركبان الاساسيان في اى عمل شعري . يضاف اليهما الخيال الذي يصوره الشاعر افعاله وعوداته ... ثم الوزن والقافية ولا بد أن تتوفر هذه العناصر مجتمعة في العمل الادبي لا سيما الشعري ... أما مدى اعتقاد الشاعر أو الكاتب على اى منها واهتمامه بها على حساب غيرها من العناصر ... فهذه حريته شرط ألا يخل بالعمل الفني ككل ...

وقد شغل الادباء بمسألتي اللفظ والمعنى كثيرا وكانوا بين مؤيد لاحدهما والمعتصمين ومعارضين ... " ولم يكف يخرج النقد العربي عن هذه الحدود في علاجه مسألة اللفظ والمعنى فقد طالجهما على اساس المقابلة بين كل منهما " (٤) نعتهم من

- (١) ملاحج النقد الادبي / ٥٠٥  
 (٢) النقد الادبي الحديث / ٤٨٤  
 (٣) الاسلوب / احمد الشايب ٤٤ — ٤٥  
 (٤) النقد الادبي الحديث / ٢٥٣



رجوع جانب المعنى مفضلاً شأن اللفظ ، وآخرون اهتموا باللفظ على حساب المعنى ،  
" ايدينا منهم بأن الاولين استخرفوا المعاني وأتوا على معظمها " (١) لكننا  
مع ذلك لا نعدم من وزن بين الحصريين وساوى بينهما ، الى أن جاء من " نثار الى  
الالفاظ من جهة دلالتها على معانيها في نظم الكلام " (٢) فاذا كان الحاصل  
الادبي يقوم على دعوتين اساسيتين هما فكرة الادب وصورته فان هذا لا اثر له ان لم  
تتضم اليهما دعامة اخرى هي " الملائقة والتناسب بين الصياغة والمضمون من جهة  
وما يتصل بالعمل الادبي وجوه من ناحية الشكل والموضوع وقارئ الادب والمستمع اليه  
من جهة اخرى " (٣)

ومهما تعددت الآراء في هذا المجال •• وتعددت الأساليب •• فان للشعراء  
السود اهتمامهم الخاصة في هذا الجانب •• حتى أن اشعارهم وسمت بعضهم خاص ،  
واستلذت أن تضي على الشعر العربي بريقاً من نوع خاص ليس بذاك البريق السمذي  
يختلف الابصار منذ اللحظة الاولى •• لكنه ذاك البريق الهادي الذي يهبط اللثام  
عن الليل الطويل الذي عاشته دليقة كان حذلوقها من الحياة زاوية معتمة تعيش فيهم ،  
ولا يسمح لها بتجاوزها الا بجواز مرور •• وهي وان تجاوزتها فهو تجاوز مشروط  
ومحدود •• لذلك نستطيع أن نجمل القول في اساليبهم وخصائصها فنرى خدولتهم  
العريضة تكمن في :

١- الاهتمام بالمضمون وبدلالة الالفاظ : فالسود كما رأيناهم اصحاب قضيية  
حتى في عيني علاقتهم مع المرأة •• هذه العلاقة التي كانت تذكرهم بواقفهم  
كلما حاولوا تجاوزه بشئ الوسائل •• والتي كانت تنقف حجرة عثرة أطم اشباع  
عواطفهم •• والشاعر منهم حين كان يريد أن يذوره في قرارة نفسه ، كأن يبين  
حقيقة شعوره ، لا يحتاج لتأنيق لفظي ليترجم احساسه الداخلية •• بل يترك لشعوره  
العنان في أن يدلي طيه ، يشاء من الالفاظ المعبرة التي تحمل دابع الأسساة  
التي يعيشونها •• فالتأنيق عندهم مرفوض لانه يذهب بحدة الشعور •• وحدة  
الشعور هو الدابع اليميز للسان المظلوم •• واهتمام السود بالمضمون الشعري  
لم يفقد المظلوم حيويتها ودلالتها التأثري •• بل على العكس زاد من فاعليتها  
في نفس القارئ ، وزاد من قوة تأثيرها في ضميره لدرجة أنها كانت تلبس شخصية

(١) النقد الادبي الحديث / ٢٦٢

(٢) المصدر نفسه / ٢٥٢

(٣) البيان العربي = بدوى دليانه / ٥٦

الشاعر في كل حالاته الشعرية - فهي مادة من غير ضعف •• بسيطة من غير اسناد  
حزينة طورا وشاكية طورا آخر ، متأقلمة مع الجور غما عنها في أكثر الأحيان ، كما عند  
النصيب على وجه الخصوص لكنها لا تلبث أن يشتد ساعدها وتزداد قوة حتى الثورة ،  
وإدفاعها حتى البركان عند سحيم لرفضه الواقع المفروض عليه •• والذي لم يجد  
مجالا أرحب من الكلمة ليحطها رفضه لذاك الواقع •• وليحطها بتحديسه  
وتصديه فيقول :

شدوا وثاق العبد لا يفلتكم      ان الحياة من المطات قريب  
فلقد تحدر من جبين فتاتكم      عرق على ظهر الفراش وطيب  
وهي في كثير من الأحيان متذبذبة بين هذا وذاك      ووفقا للموضوع المطروق •••  
ولكنها في شتى الاحوال لا تفقد معاني الاحتجاج والثورة في كل موضوع وعند كل  
مناسبة •• حتى وهم يبتون المرأة أشواقهم ••

٢- السهولة والوضوح : وهاتان الصفتان ملازمتان للشعر " الأسود " بصورة عامة ••  
وهي نتيجة طبيعية للاهتمام بالمضمون أكثر من زخارف الشكل •• وحرصهم على إيصال  
المعنى المطلوب الى غيرهم ، طمعا في المشاركة فرض عليهم تمسكا بلغة سهلة بعيدة  
عن الغرابة وهذا بطوهم شعرهم بالروح " الشعبية " حتى جعلهم الدكتور عبدة  
بدوى " القادة في هذا المجال وهو لم ير أن " المقصود بالشعبية هذا التبسيط  
الشديد لبعض مظاهر الحياة ، أو الالفاظ السريع للصور من أجل تسلية الخاصة  
" بل رأى فيها تلك " الطبقة الكادحة التي كانت منقسمة في الحياة كأشد ط يكون  
الانغماس والتي كانت مضطرة الى أن تبذل الكثير من المجهود لتناول لقمة العيش  
ولقمة الحرية " (١) ••

وتتطور الالفاظ عند بعضهم لتتدرج ، فتتحول عند عنبرة لتأخذ شكلا مغايرا  
يتميز بالجزالة والقوة عند انتشار شجاعته وبنار اسانيته •• وعند تبصاف الفاظه  
في شعره الفروسي أو الرصفي أو الخزلي بالقوة لا تقصد منها الوحشي من الكلام  
" إذ ليس يعني الجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنهجية الابداء ،  
بل يعني الجزل أن يكون قويا على عذوبته في الفم ولذاته في السمع ، والقوة  
عند الشعراء السود هي " صفة نفسية تتبع أول أمرها من نفس الأديب الذي يجب  
أن يكون نفسه متأثرا منفصلا اذا شاء من قرائه ، حماسه وانفصالا " (٢)

(١) الشعراء السعود / ٢٧٦

(٢) الاسلوب / ١٩٤

وبشكل عام نجد الكلمة عند الشعراء السود سهلة طيبة مرنة •• تتلبس حالة الشاعر النفسية، كما تتلبس الموضوع المطروح من قبله على أكل وجهه •• هذه المفردات — بصورة عامة — وفي الغزل على وجه الخصوص، رقيقة سهلة من غير سفاف •

٣ — الواقعية : الواقعية كذهب من المذاهب الأدبية كالكلاسيكية والرومانتيكية والوجودية تتجلى أهم مظاهرها في " ربط الأدب بالواقع، أو بالنهاية في صورة من صورته " • (١)

وإذا كان كتاب الواقعية " لا يقتصر على نقل الواقع، بل إن لهم أصالتهم في الاختيار من هذا الواقع لغاية اجتماعية إنسانية " (٢) فإن الشعراء السود للظروف المختلفة التي أحاطت بوجودهم من ظروف حياتية وتاريخية ونفسية واجتماعية " تزعموا مدرسة الواقعية العربية، وكانوا من روادها الأوائل " •• فلم يروا من الحياة إلا جانبها المظلم بل لم يعيشوا حياتهم إلا في ذلك الجانب المغموم، وإن كان بعضهم قد حاول الخروج من هذه الزاوية إلى مسرح الحياة الطبيعي، ولكن كانت تقابل محاولاته بالفشل والاحباط المعنوي أو الطادي •• حتى أنها قد تصل إلى التصفيات الجسدية لسبب ظاهر أو غيره •• والطموحات السياسية كانت — بالطبع — من الأمور المنطوق مزاولتها وإلا فالقتل والتهميل هو نهاية العطف كما وجدنا عند أحمد الرشيد الخسائي، وإذا ما خفف العقاب لاعتبارات متعددة — وهذا نادر — فقتل معنوي مسروق بتهديد ووعد ونهاية لا تحمد عقباهما •• الأمر الذي دفع الخليفة إبراهيم المهدي إلى اعتزال الحياة السياسية بعد خلافة دامت سنتين إلا خمسة وعشرين يوماً، أعقبها استناد وإهدار دمه من قبل الأمون ثم سجن لمدة ستة أشهر •

وعلى صعيد الشعر والمقدرة الشعرية فقد كان قصارى ما يوجه من مدح للشاعر الأسود على إجادته فن من الفنون الشعرية قولهم : " إنه أشعر أهل جلدتسه " وهذا الحكم على ما فيه من قسوة معنوية ونسبية على الشاعر •• وعلى ما فيه من تجسّن ومجافاة للواقع وللحقيقة، فيه من الغرور والعنجهية لقائله ما يفسر لنا ذلك البعد الشاسع بين الحياتين " البيضاء والسوداء " •

(١) النقد الأدبي الحديث / ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه / ٢٩٢

وعلى الرغم من أن الشعراء السود تمكنوا من تصوير الواقع بكل جزئياته ،  
 وحددوا أبعاده ، ولم ينسوا بالطبع ذلك المكان الصغير الضيق الذي اقتطع لهم ••  
 وعلى الرغم من الصورة القاتمة التي رسموها لهذا الواقع من خلال نظرتهم ومن خلال  
 حياتهم •• وعلى الرغم من أنهم لم يعتمدوا كثيرا عن ذاك الواقع بكل أبعاده بل  
 تحدثوا عنه بشكل أو بآخر حديثا مفصلا أو موجزا ، سميدا أو مفرحا •• إلا أننا لسنا  
 نرفيهم ذاك الأديب الملتزم بالمعنى الاصطلاحي الأدبي لهذه الكلمة •• وإذا  
 رأينا هذا الأديب الذي فهم من الالتزام " وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفرن  
 في قضايا قومه الوطنية والانسانية ، وفيما يمانون من آلام وما يبغون من أمل " (١)  
 فإننا نحس بأن التزامه كان عفويا لا يصدر عن نظرة شاملة مدروسة تعطي الموقف  
 وضوحا وصلابة وتدفع نحو عمل مثمر وجاد في سبيل التمرد •• وقصارى جهنم  
 الشاعر في هذا الميدان هي محاولة يائسة لتحقيق نوع من التوازن بينه وبين الشاعر  
 الأبيض الحر •• وبين الإنسان الأبيض عموما ، معتادا اظهار بعض الصفات  
 الخلقية والقيم الجديدة التي يراها كقيلة بتحقيق هذا التوازن •

لقد رأينا الشاعر الأسود مقهورا ومظلوما، لكننا لم نره متكبرا طريقا علمية  
 للخلاص من ذاك القهر والظلم •• ولم نره ثائرا ثورة عاتية مظمة كالتي رأيناها فسي  
 ثورة الزنج رغم نتائجها •• وقصارى ثورتهم تراها عند سحيم ثورة كلامية مقزعة نالت  
 — رغم كل شيء — من مكانة السيد الأبيض الحر الذي رأى فيه سحيم عنوان الظلم  
 المحيق به •• ولذلك لم يستطيعوا ترجمة أحلامهم الى حقيقة واقعة ••

رغم كل هذا •• فقد اقترب من الواقع، وعاشوه بكل تفاصيله وبكل  
 كياناتهم •• ووصفوا جزئياته البسيطة •• كل ذلك نقلوه بشعر كلماته أقرب الى  
 الحديث العادي •• فلم يحطوه غرابية وتعقيدا •• ولم يشطحوا بخيالهم بعيدا ،  
 ولم يحملوا كلماتهم ومخاطبتهم تكلفا ولا تعميقا •

٤ — الأبيات والخطب والرواية : جودة الأبيات كانت وما زالت من الصفات المحمودة التي  
 يوصف بها شاعر •• بل ربما أكسبت شعره مزيدا من الإعجاب، وأضفت عليه رونقا وجمالا  
 ولم يكن الشعراء السود ممن اكتسبوا فضل هذه المزية لمعيين أساسيين لا حرفة لهم  
 بهذا، وهما اللون والسجعة وما يتبعها من عيوب النطق واللغة والكلمة •• ففضلا

عن ندرة ما حدثتنا عنه كتب الادب من جودة الانشاد وحسن الالقاء بالنسبة لشاعر من هؤلاء ، فقد حدثتنا في الجانب الآخر عن رفض بعضهم أن يكون في مصاف الشعراء النديم للخلفاء . . . كما حدثتنا عن احتلا عنهم عن الانشاد مباشرة أمام الجمع ، حين فضل نصيب أن ينشد نسوة جئن ليسمعن شعره من وراء ستر معتذرا عن ذلك بلونه الأسود الحائل . . . وشعره الابيض المفلل . . . كما أشارت في جوانب أخرى السبب عيوب النطق لدى كثير منهم ممن كان يحايي من لكاة أو عجة أو لثغة . . . فسحيم حين كان ينشد كان يقول : أحسبك لاله ، ويريد أحسبت . . . ثم يجيب الخليفة عمر حين سمع منه رغبته في تقديم الاسلام على الشيب في قصيدته الياثية المشهورة بقوله : ما سمرت ، يريد : ما سمرت . . . وعين يخرج الأمر عن الجد وينتجه نحو الهزل والعبث ليرى أبا علي السدي موضع هذا الهزل والعبث بسبب اللفظة واللكنة اللتين كان يحايي منهما . . . ولا يزال نذكر قصته الحائثة المضحكة مع حماد الراوية ولفظه لكلمات تظهر فيها لكاة واضحة بارزة فتثير الضحك . . .

وان كانت المصادر قد ركزت على الجانب السلبي للشعراء السود ، ولا سيما ما يتعلق منه بالانشادهم وعيوب النطق واللفظ عندهم . . . فقد صمتت عن الحديث عن رواية أشعارهم . . . ولم تحدثنا عن واحد منهم كان له فيما بعد رواية حفظ شعره ونقله لمن بعده . . . رغم أن العرب كانت تتميز بهذه الظاهرة حين كان لكل شاعر منهم راو يروى شعره . . . ومن كانت حياته عرضة لحجة من الظروف الصعبة وسقط مجتمعه ثقاليده وأعرافه الخاصة . . . كان حتما سيتعرض لما تعرض له الشاعر الأسود . . . فلم ير من يروى شعره رغم الاعتراف بشاعريته . . .

#### الخيال والصورة عند السود :

الخيال عنصر من عناصر الأدب الرئيسية . . . وهو عند الشايب " لازم في كثير من الأحيان للتعبير عن العاطفة . " (١) ثم يجعله مصدرا لجمال الاسلوب لا سيما الخيال المصور " الذي يدرك ما في المعاني من عمق ، ما يتصل بها من اسرار جميلة ادراكا حادا رائعا . " (٢) . . . والخيال عند الأديب عموما عنصر مساعد لا يسر

(١) الاسلوب / ١٢

(٢) المصدر نفسه / ١٩٩

صورته الذهنية التي عجز الواقع والوجود • وهو الذي ذلك صفة جمالية تضيفي على الفكرة القابضة في رأس الأديب والشاعر هالة وبريقا يحطيهما الى جانب الجمال ، وضوحا وعلوية •• على أن الخيال يكتسب صفة علمية أكثر منها جمالية أو ذوقية عند الشاعر إذ يجعله " تكثيف للواقع وتحويله الى خلاصة مركزة • " (١) وهو التعريف الأكثر ملاءمة لخيال الشعراء السود ، الذين وجدناهم يحرصون على أن تكون أشعارهم وسيلة للوصول الى عرض وجهة نظرهم ومدى فهمهم ووضعهم الاجتماعي ، أكثر منها غاية لا يراز صورة جميلة أعجب بها الشاعر فأحسب تأطيرها بادان جميل بديع يضاهيها جمالا وروعة ، وتقديمها على طبق من فضة ، لذلك نشطحات الخيال عندهم قليلة ، لان مرارة الواقع كالت تشدهم أكثر •• وتفسر بالفظهم من الحديث العادي ، وتنتزع صورته من مسرح الحياة ومن عالمها الحسي ••

وفي الأحوال كلها •• ومهما كان دور الخيال كبيرا أم صغيرا في الصورة الأدبية بشكل عام ، فهو مصدرها الأول والأخير ، " وهو وحده مجال الجمال " (٢) وتبقى أيضا الصورة هي " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة " " فط التجربة الشعرية كلها الا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الاساسي • " (٣) •

وحتى تستطيع الصورة الفنية أن تأخذ دورها في نقل التجربة الشعرية بشكل مثير ومحرك وفعال ، خاصة اذا كان الشاعر اجتماعيا في الدرجة الاولى كما هو حاصل عند الشعراء السود •• عندئذ •• يجب أن تتوفر في هذه الصورة عناصر معينة من لون وحركة وصوت يضيف عليها الشاعر من روحه واحساسه وعواطفه ما يخرجها أحسن اخراج - نتق من القلوب أفضل موقع •• وعلى ضوء ما تقدم نستطيع أن نحدد بعض الطامح البارزة للصورة الفنية عند الشعراء السود كما يلي :

١- الصورة عند الشاعر الاسود عموما أبعد ما تكون عن شطحات الخيال •• وأقرب مما تكون من الواقع الحسي الطموس •• شعياته كلها تدور حول تأمين سبيل معقول الى الحياة • وان اختلفت السبل عندهم فهي تعود لتقترب في كونهما ترجمة لارادتهم في الحياة • لا سيما الحياة الطرمة العزيزة كما حصل عند عنزة ونصيب الأكر وخفاف وابراهيم المهدي وغيرهم ••• وهم لهذا السبب لم تكن لديهم

(١) واقعية بلا ضفاف = روجيه جارودي / ١٦٨

(٢) النقد الادبي الحديث ٤٤١

(٣) المصدر نفسه / ٤٤٢

الذخرف المساعدة لتأمل الوجود والكون والحياة •• بل كان أكثر ما يحييهم وجودهم •• وما يتصل بهذا الوجود ••

٢- واهتمامها بالمحسوس من الوجود ، أضفى على صورهم مادية بحتة •• وهذه السمعة أبرز ما تكون واضحة أشد الموضوع في الخزل المكشوف ، لا سيما عند سحيم • نال الصورة الفارقة في اللذة هي أول ما تظالعا في شعره •• والابيات التالية التي نحسس برياح الجن تصف بها قوة لذي الدليل الواضح على ذلك حين يقول فسي صورة مادية متكاملة الجوانب :

وبنتا وسادانا الى عجانة	وحقق تهاداه الرياح تهاديا
توسد لي كفا وتثني بمصمم	على وتحوي رجليها من ورائيا
وهبت لنا ريح الشطل بقفرة	ولا ثوب الا بردها ورائيا
وأشهد عند الله أن قد رأيتها	وعشرين منها اصبعا من ورائيا

حتى في وصفهم لمحاسن المرأة •• فقد أعلنوا وصفا حسيا لا عنائيا •• ولم يهتموا بها في داخلها • وهذه صفة نستطيع أن نحسبها عامة في وصف المحاسن فسي الشعر العربي في تلك الفترة •• حين أخذ العربي من الطبيعة ومظاهرها وجوه تشابه مع المرأة ثم عقد صورة التشبيه على ذلك ،

٣- تتمايز الخيال مع عناصر الصوت والحركة واللون في الصورة براه واضحا جليا عند شعراء هذه الفتحة - والصورة التالية للتصويب ، والتي جسدت فيها مشاعره في تركيبة حسية موحية " وهو يصور لنا فراق محبوبته دليل على ذلك ••

كأن القلب ليلة قيل يفدى	بليلي العاصرية أو يسراج
قذارة غرها شرك نها تسمت	تجاذبه وقد علق الجراج
لها فرخان قد تركا بوكسر	فحشهما تصفتة الرياح
إذا سمعا هبوب الريح نصل	وقد أودى بها القدر المتاج
فلا في الليل نالت ما ترجمى	ولا في الصبح كان لها بسراج

وهذه الصورة التفصيلية " لم يصنعها خيال الشاعر الا ليتحدث عن مشاعره وهو يتوقع فراق محبوبته ، وهي صورة حسية مشحونة بألوان من الشاعر • " (١)

وتعود العناصر السابقة من صوت وحركة ولون ، لتتضافر ثانية وتتألف عند سحيم في صورته التي يبين فيها جمال الهبات الصيريات وغيرهن ، ••• فيناغم بين حركسة الأغلاق الطويلة الجميلة ، وهبة الريح التي حركت ما أذكى تلك الروائح ، ثم لسبون الوجه الأبيض البراق الذي بدا مشرقا كالدينار ••• وصوت الدر والياقوت الذي حلى الصدر فزاد في جماله واشراقه :

وجيد كجيد الريم ليس يحاثل

لأن الثريا طلقت فوق لحرها

وتعاقب الألوان وتنازجها مع بعضها البعض عند عترة يكسب الصورة مزيدا من الجاذبية

والجمال والوضوح ••• فسواد أمه لم يطعه من محبة بيض الظبا وسمر العوالي :

فان تك أمي غرابية

فاني لطيف ببيض الذلبي

وسمر العوالي اذا جئتني

واستعمال اللونين الأبيض والأسود على ما يحلان من تقاض في اللون أكثر عند السود

بشكل عام ••• فليسا اذا وضعا في الاعتبار رموزهما المتعددة ••• فالاسود دليل

القهر والحرمان والعبودية والذل ••• والأبيض دليل حرية وبحبوحة عيش •••

وكرامة وأصالة ••• والاهم من هذا وذاك انه اللون المحرم بالنسبة لهؤلاء

المجموعة فيط يدخل في نطاق تعاطفهم مع المرأة ••• وقد رأينا من قبل شوق الشاعر

الأسود الى المرأة البيضاء ، والشهوة التي كانت تشمركيانه عندما كان يلقاها •••

أو حتى حين يتحدث عنها •••

وإذا كان هناك من صفة أساسية في صورة الشاعر الأسود ••• فهي التحامها

بتجربته الشعرية ومخاناتها لما احتلته هذه التجربة ••• وظهورها بظلمة

العفوية والبساطة من جهة ••• والقهر والحرمان والشكوى من جهة أخرى ••• وهذه

الصفة أكثر ما تكون جلاء ووضوحا في الخزل، لا سيما الخزل الحفيف الوجداني

الذي يمثل أكثر ما يمثل تجربة عترة ••• وفي بعض تجربة النصيب ••• ثم في التجربة

الذاتية وما اعتورها من آلام ••• حيث رأوا في تصويرهم لواقعهم الذي يعيشونه

نوط من الخدمة الاجتماعية لطبقتهم المشهورة ••• ونوط من اللترام للدفاع عنها دفاعا

يقارع الحجة بحجة، لهم في تصويرهم لتلك الحياة ووصفهم الدقيق لها، جهد وعمل

يكفي بنظرهم وعلى قدر استطلاعهم ••• لاداء هذه الرسالة •••



العاطفة عند السود :

إذا عرفت النقاد الأدب وقالوا : " بأنه الكلام الذي يعبر عن العقل والعاطفة (١) و " بأنه من الفنون الجميلة التي تعتمد على الجمال في التعبير عن عواطف الانسان وأتكاره وعن شخصيته الفنية " (٢) • • كانت العاطفة إحدى الركائز الأساسية لصناعة الشعر الذي هو فرع من فروع الأدب ، وأحدى عناصره الرئيسية •

وقد يستدل بكلمة الانفعال على العاطفة أو بالأحرى على قوة أو شدة العاطفة فيقولون : " الانفعال قوة وجدانية تسيطر على النفس وتضجها بتغييرات جمالية ذاتية وأخرى عقلية بالغة " (٣) • • وهذا الانفعال بسيطرته على النفس يشع علمسي الأتكار والخيلة فيتخللها بحس وروية حتى ينفذ الى الاعناق ليترك بينهما رابطا شعوريا غير مرئي يكسب الشكل والمضمون روعة وجاذبية أيا كان شكلها هذه الروعة أو نوع تلك الجاذبية •

وقد قسم النقاد الانفعالات الأدبية الى قسمين رئيسيين : " قسم ايجابي أو ايجابي ، وقسم سلبي أو ايجابي " (٤) وليس ذلك وحسب بل يختلف الانفعال قوة وضعفا • • عذرا وسلطوية • • ليس بين شاعر وآخر نقلا وإنما عند الشاعر نفسه حين ينتقل بين موضوع وآخر من موضوعات الشعر •

والتجربة بتوعيتها عند السود • • ماذا أكسبتهم؟ • • وبأى طابع طبعته أشعارهم؟ • • بل كيف تنوعت عواطفهم وانفعالاتهم بين موضوع وآخر • • ؟

لا شك أن الشاعر منهم كانت له انفعالاته الخاصة التي تزداد وتقلص لا اعتبارات كثيرة • • ولكن • • بسبب توحيد الظروف التي أحاطت بهم ، والتي خضعوا لها • • واعتادوا بها لتشابك المشكلات التي اعترضت مسيرتهم ، تقاربت انفعالاتهم وتشابهت دوافعهم ، وإن اختلفت ردود فعلهم بها لشخصياتهم وميزات كل شخصية على حدة •

ومهما اختلف هذا الانفعال بين زيادة أو نقصان • وبين برودة أو غليان ، إلا أنه

(١) الاسلوب / ١٦

(٢) المصدر نفسه / ٧٢

(٣) الاسلوب / ٧٢

(٤) المصدر نفسه / ٧٢

لا بد من وجوده في العنصر لاضفاء جو من السحر والجازبية عليه •• وهي التي تساهم  
بالتالي في اجتذاب القارئ وتعاطفه مع العنصر ومع الكاتب •• " فليس يكاف، أن تكون  
القوائد جميلة ، بل ينبغي أن يكون لها سحر فتجذب شعور السامع أيها شامت •• " (١)  
وطا أحسب أن جمال أشعار السود كرامة الا في الخاية التي صدحت من أجلها •• فالذي  
أطلق شعور عنزة العبد من عقاله والذي دفعه الى الاستهسال، عواطف حب ومهيام  
ربحت بين قلبه وقلب ابنة عمه علة •• والذي أطلق انفصال سحيم ولم يستطع كبح  
جراحه عواطف انتقام وتعد •• والذي أرتب، حقد سديف، المتعصب لبني هاشم  
والقالي لبني أمية الفعالات تعضبوكره تديم ذي جذور •• والذي أبرز حب، نصيب لبنايه  
وزاد رغبته في فك أسرا أكبر عدد ممكن من أسرته هي ولا شك عواطف الانسانية سامية  
كالت تتوق الى المثل المتثلة في المساواة ، وفي تكافؤ الفرص بين ابنا الانسانية جمعاء

و نحن اذ سرنا مع أشعار السود ، استطعنا أن نتدرج بتدرج مع تدرج  
انفجالاتهم وعواطفهم في مختلف مراحل سيرها ، وفي مختلف موهوماتها ، لا سيما  
الفرزية منها ، فنحن بقوتها وصدقتها ، وعمقها وانسانيتها عدد عنزة وعد نصيب  
الأكبر ، وتشعر بهيجاتها وتحديدها وعنادها مع سحيم عدد بني الحساس •• وللمن  
يغرب عن البنا - ونحن نتحدث عن الطموحات السياسية والاجتماعية لبعضهم متخلصة  
في ابراهيم المهدي وأحمد الرشيد الخساني - بأسس العاطفة ، وسهرها أغوار النفس -  
وإذا لمحت في بعض عواطفهم بريقا خادعا ، وكلاما ممسولا ، تدفع اليه حاجمة  
وناقية ، ظهر أبودلالة بسخريته اللاذعة ، ومواقفه المضحكة ليعلن عن نفسه  
وليظهر عواطفه الى الحاكم •

وبصورة طامة ، استتاع الشاعر الأسود - من خلال عرضه لمشكلاته الرئيسية  
أن يشدنا بحرف لثقف في صفه ضد الظلم بكافة أشكاله ، كما استتاع من خلال  
عواطفه في امور الحب ، وانفجالاته في امور المجتمع ومشكلاته أن يجذب اهتمامنا  
ويشد عواطفنا ، ويفتح عيوننا على الظلم الانساني ، لينطلق اللسان في محاولة لمن  
أجل الدفاع عن قضيتهم وادانة مجتمعتهم •



— الخاتمة —

وضعت هذه الدراسة عن فئة من شعراء العربية الذين شكلوا — لظروف حياتهم الخاصة والتميزة — مجموعة من الشعراء تستحق الدراسة .. هذه الدراسة التيسيرية فصلت فيها حياتهم ، و ظروفهم المعيشية ، وأشعارهم ، لأخرج من خلال ذلك كله الى بعض النتائج التي تلخص فيما يلي :

١ — ان لشعراء السود كانوا من الشعراء القليلين — لا سيما في العقول الذي تناولته — وربما كانت الظروف التي عاشوها هي التي أمحلت وأجدبت قرائحهم ، وأن تكون الظروف نفسها من وراء فقدان كثير من اشعارهم .. وقد يتساءل البعض ، ولماذا التركيز على اللون الخزلي دالما اهم مقلون فيه ؟ .. وجوابي أن العبارة ليست بالكثرة .. فكم من أبيات قليلة لسحيم مثلا كانت سببا في تحليق صاحبها في عالم الشعر ، كما كانت سببا في بناء مكانة شعرية له لا يضاهيها بدار آخر ، فضلا عن الدور السذي لعبته المرأة ، لا سيما المرأة العبيبة في حياة الشاعر الاسود ..

٢ — ان اشعارهم الخزلية ظب عليها طابعان اثنان :

أ — طابع التشاؤم واليأس لا سيما في الخزل الوجداني ..

ب — طابع الحنف والتعبد ، لا سيما في الخزل الجنسي ..

فكان الطابع الاول — فيط يحدد — من وراء تعاستهم وعدم شعورهم بالاستقرار .. كما كان الطابع الثاني من وراء النهاية المفجعة التي لا تقاها بعين شعرائهم كسحيم والرشيدي وغيرهم ، لكنه يبقى الطابع الاكثراهمية . فعين لم يستطع الشاعر الاسود الدفاع عن نفسه وعن أسرته وعن حبه اطم تقاليد المجتمع القبلي ، ثارت ثورته الحاصفة التي اجتاحتها القبيلة فهتكت اعراضها ، وشهوت بنسائنها ، لا يردعها في ذلك رادع ، ولا الخوف من النهاية المفجعة ..

٣ — لم يكن للمرأة الام والزوجة والاخت والخالة والعممة والجددة ، الدور الايجابي في حياة هذه الفئة من الشعراء ، بل ربما لعبت دورا سلبيها فلم يبرعت في امره صورة صورة لضبح ترعرع في رسوم المنزل ، ولم يبرأ هو دلاسة فيهما سوى انهما " عجوز حدة مهزولة اللحيين ، تشبه الخول أو خيال القدر ب " وقد تسبب هذا في تداعي بنمان الاسرة السوداء التي غاب عنها دور الام الرئيسية المطلوبة الحامية المرشدة ، وذلك لظروف خارجة عن ارادتها ..

٤- أما دور المرأة الحبيبة فقد كان ثلاثيا .. كان سلبيا في الوجه الاو لمعه حين لم تكن من اقامة علاقة وليدة ومستقرة معها ، متأثرة في ذلك بأوضاع الحياة القليلة ، فلم تسعد هم في وصل ولم تفرح قلوبهم بقرب ، بل زادت فسي جفائهما حتى تركت في نفوسهم جروحا لم تندمل بل أشارت كوامن قلوبهم ، فيبرز الجانب الايجابي حين كانت سببا في الهامهم هذا الانتاج الشعري الجميل الذي كشف عن جزء هام من حياتهم ..

٥- لم يتفرد الشعراء السود خلال رحلتهم الشعرية الخلزفة بأمر رئيسية عن غيرهم من الشعراء من كانوا صريحين النسب ..  
 ان فقد بكوا الاطلال وغادروا اهلها الراسخين ، ووصفوا رحلتهم ، كما وصفوا حبيباتهم وصفا دقيقا لكنه وصف قريبا في كثير من جزئياته من وصف امرئ القيس والاعشى وجميل .. ولم تختلف نذرتهم للمرأة ولعنايين جدلها كما كانت عليه عند اولئك ... (١)

ب- وفي النزل الوجداني ، لم تكن تجربتهم عميقة ومستقرة ، كما كانت عند اصحاب المدرسة الحذرية حين لم يمتلكوا مظاهر هذا الاستقرار واسبابه .. الا ان هذا لم يطع من وجود تجربة غنية لهم في هذا الضمار ، كشفت عن اليأس القاتل والفشل الذريع الذي لا تشوه في حياتهم لا سيما في ميدان الحب .  
 رغم ان سحيم كان الشاعر المتفرد في مدرسة النزل الجنسي للشعراء السود ، الا انه استطاع ان يبرز في هذا الميدان .. وان يتقوى من اسس هذه المدرسة وان يترك صورا جسيمة بقدره تشرب في مجانبها من الفجر والفجر ، بقدره تشرب في اهدافها من الثورة والتعد والنصيان ، ولا هم الشعراء السود .. وهذه هي آثارهم ..  
 ان حاولت جهود اذليهم ما قصده من الكشف عن ثروة شعرية مخبئة وعن شعراء فرضت عليهم الاقامة الجبرية لذنب لم يقرنوه .. وبدأت فتحت ابواب المستقبل القريب بالفرصة للكشف عن مزيد من هذه الثروة الضائعة بين محطرات الزمن ..

(١) راجع الصفحات: ١٢٦ - ١٤٠ - ١٤١ ... ثم الجدول الذي عقدت فيه مقابلة سيديا بين الشعراء في اوصافهم للمرأة .



- ١١١ الفراق والهجر  
 ١١٢ شاهد التحمل والارتحال  
 ١٢٠ الطيف  
 مواطن الجمال في وجه المرأة  
 ١٢٥١ الوجه والنون  
 ١٢٦ الخند  
 ١٢٦ العيون والنظرات  
 ١٢٨ الثغر والاسنان والريق  
 ١٣٠ الجيد واللحمر  
 ١٣١ الشعر  
 ١٣٢ الخصر والارداق  
 ١٣٣ الاصابع والمعصم والذراعان  
 ١٣٣ السمساق  
 ١٣٣ أوصاف طامسة  
 الرجل المعقود للمرأة  
 ١٣٦ طيب الرائحة  
 ١٣٧ الابتسامسة  
 ١٣٧ الحياء  
 ١٣٨ المشيطة  
 ١٣٨ الأثر الفنسي  
 ١٤٧\_١٤٩ الفزل الوجداني عند الشعراء السود  
 ١٤٤ عقدة اللون  
 ١٤٥ الحبب الطبقبي  
 ١٤٥ الفخر

### خصائص الفزل الوجداني

- ١٤٧ قصر قصائد بعبدها على الفزل  
 ١٤٨ قصر الحب على فتاة بخينهما  
 ١٤٨ الاذعان والخضوع في الحب  
 ١٤٩ التذلل للحبيب  
 ١٤٩ الشكوى من العذال  
 ١٤٩ الاستمانة بالرسول

١٥٥ - ١٦٥	الغزل الجنسي المشوق ، عند الشعراء السود
١٥٥	طبيعته
١٥٦	نشأته ، حججه ، شعراؤه
١٥٨	خصائص الغزل الجنسي عند سحبيم
١٥٨	الفحش
١٥٩	تعقيد الأثر
١٦٤	وصف ، المشوقة وصاحباتها
١٦٥	نشوة الذكريات
١٦٢	التعدي والعباد
١٦٦ - ١٧١	الغزل الصلبي عند الشعراء السود
١٧٢ - ٢١١	الفصل الثاني : الشعراء السود بين التجربة الذاتية والجماعية
١٧٥	قضية اللون والنسب
١٨٤	تجربة الحبيب
١٩١	التجربة الأسرية
١٩٨	الطابع العامة للشعر الأسرى
١٩٨	الذاتية
١٩٨	الطابع الأساوى
٢٠١	التذبذب بين الاستسلام والرفض
	موضوعات التجربة الجماعية
٢٠٥	الصمدح
٢٠٦	الهجاء
٢١٢ - ٢٢٣	الفصل الثالث : خصائص أسلوب عند الشعراء السود
٢١٤	الاهتمام بالمضمون
٢١٥	السهولة والوضوح
٢١٦	الواقعية
٢١٧	الاشارة والعلف والرواية
٢١٨	الخيال والصورة
٢٢٢	الحاطفة

- فهرس المصادر والمراجع -

- ١- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة
  - ٢- الأسميات بمصر - القاهرة •
  - الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك - تحقيق وشرح : أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون - دار المعارف، ١٩٦٤ •
  - أسعد طي - بيروت - التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر
  - ٣- أسطورة الصحراء
  - ٤- الأسلوب
  - ٥- الأصول الفنية للأدب
  - ٦- الاعلام
  - ٧- الأغاني
  - ٨- الهداية والنهاية
  - ٩- البيان والتبيين
  - ١٠- البيان العربي
  - ١١- بين الحبشة والعرب
  - ١٢- بين الكتب والناس
  - ١٣- تاج العروس
  - ١٤- تاريخ بغداد
  - ١٥- تاريخ الطبری
  - ١٦- تطور النزل بين الجاهلية والاسلام
  - ١٧- التفسير النفسي للأدب
- مصطفى سوف - الطبعة الثالثة - دار المعارف
- عبد الحميد حسين •
- خير الدين الزركلي طبعة ثانية •
- لأبي الفرج الأصفهاني دار الثقافة - بيروت ١٩٥٧ - أشرف طي مراجعته وطبعه عبد الله العليلى - موسى سليمان - أحمد أبو سعید
- لأبي الفداء الحافظ بن الكثير الدمشقي طبعة ١ - ١٩٦٦ •
- لأبي عثمان مروان الجاحظ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٨ •
- بدوى طهانة - الطبعة ٥، ١٩٧٢ - دار العودة - بيروت •
- عبدالمجيد عابدين - القاهرة - دار الفكر العربي
- عباس محمود الحقاد - الطبعة ١، ١٩٦٦ •
- دار اکتاب العربي - بيروت •
- محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي التريدي الحنفي - الطبعة الأولى
- المطبعة الخيرية بمصر •
- أحمد بن علي الخطيب البغدادي بمصر، ١٣٤١ هـ
- لأبي جعفر بن جرير الطبری - دار المعارف بمصر ١٩٦٠ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم •
- ١٩٥٩ م - مطبعة جامعة دمشق •
- عز الدين اسماعيل - دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م القاهرة •



- ١٨ - جمهرة اللغات  
لائي بكري محمد بن الحسن بن دريد الأزدي  
الطبعة الأولى •  
طه حسين - دار الكاتب العربي، ١٩٦٨  
- القاهرة
- ١٩ - حديث الأتيماء  
٢٠ - حياة الشمر في الكوفة الى  
نهاية القرن الثاني للهجرة •  
٢١ - الحميران
- ٢٢ - خزنة الأدب ولب لباب لسان  
المغرب •
- ٢٣ - دراسة النسي في الأدب  
الشمسي  
٢٤ - ديوان سحر
- ٢٥ - ديوان علي بن جبلة
- ٢٦ - ديوان طترة •
- ٢٧ - ديوان المعاني
- ٢٨ - رسائل الجاحظ
- ٢٩ - زهر الآداب وثمر الألباب
- ٣٠ - الزمعة
- ٣١ - سحرهم عهد بني الحساس
- ٣٢ - سمط اللآلي •
- ٣٣ - الشعراء السود
- لائي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ • تحقيق  
عبد السلام محمد هارون طبعة ثانية للقاهرة •  
مكتبة مصطفى الباهي الحلبي ١٩٥٨ •  
عبد القادر بن عمر الهشادى - تحقيق وشرح :  
عبد السلام محمد هارون • القاهرة - دار الكاتب  
العربي - ١٩٦٧ •  
مصطفى عبد الوارث - دار المعارف بمصر، القاهرة •  
تحقيق عبد العزيز مهني - دار القوس للطباعة  
والنشر، ١٩٦٥ •  
جمع وتحقيق زكي ذكار الناني - مطبعة دار  
الساعة ١٩٧١ م ساعدت جامعة بغداد على  
نشره •  
محمد سعيد مولوى - تحقيق - المكتب الاسلامي  
لائي هلال العسكري - مصر ١٣٥٢ هـ •  
لائي عثمان عمرو بن الجاحظ - مجموعة الرسائل  
جمعها ونشرها : حسن السدوي - الطبعة  
الأولى - المكتبة التجارية •  
لائي اسحاق الحصرى القيرواني - تفصيل ونهض  
وشرح زكي مبارك - المطبعة الرحمانية بمصر •  
ابن داود الأصفهاني (لائي بكر محمد بن أبي سلمان  
- الطبعة الأولى - مطبعة الآباء السوعيين -  
بيروت ١٩٣٢ - ١٩٥١ •  
محمد خير الحلواني - مكتبة دار الشرق - بيروت  
عبد الله بن عبد العزيز الهكري - تحقيق عبد العزيز  
مهني - ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م •  
عمدة بدوى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ م،  
القاهرة •

٢٤ - شعر خفاف بن لدية

٢٥ - شعر عمدة بن الطبيب

٢٦ - شعر طيب بن جهلة

٢٧ - شعر نصيب ابن رباح

٢٨ - ضحى الاسلام

٢٩ - طبقات الشعراء

٤٠ - طبقات فحول الشعراء

٤١ - طوق الحمامة

٤٢ - العصر العباسي الاول

٤٣ - المقد الفريد

٤٤ - علم النفس التهوى

٤٥ - علم النفس الفرويدى

٤٦ - النزل في العصر الجاهلي

٤٧ - النزل منذ نشأته حتى صدر

الدولة العباسية :

٤٨ - فارس بنى عيسى

٤٩ - الفروسية في الشعر

الجاهلي

٥٠ - فن الشعر

٥١ - الفن وذاهبه في الشعر

النسبي

نورى حمودى القيسي - جمع وتحقيق •

يحيى الجبورى - جمع وتحقيق مساعدت جامعة

بنداد على نشره ١٩٧١ م - ١٣٩١ هـ •

حسين بطوان - تحقيق وتقديم - القاهرة - دار

المعارف بمصر - ١٩٧٢ -

داود سلوم جمع وتحقيق - مطبعة الارشاد ببنداد

١٩٦٧ م •

أحمد أمين ط ١٠ - بيروت - دار الكاتب

العربي •

ابن المعتز - تحقيق عبدالستار أحمد قنراج

محمد بن سلام الجمحي - قرأه وشرحه محمد محمد

شاكرو - مطبعة المدني - القاهرة •

ابن عزم الأندلسي - تحقيق كامل العبري -

مقدمة ابراهيم الابهاري مطبعة الاستقامة ١٩٦٤ •

شوقي ضيف - الطبعة الرابعة - دار المعارف

بمصر - القاهرة -

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

ضبط : أحمد أمين ، أمين الزين ، ابراهيم الابهاري •

أحمد زكي صالح - الطبعة العاشرة - مكتبة

النهضة المصرية •

كالن س هول - تمديد حأم الكيال ، الطبعة

الأولى - مطبعة العامي ببنداد ، ١٩٦٨ ،

أحمد محمد الحوشي - الطبعة الثانية مطبعة

النهضة العربية - القاهرة •

مجموعة من الأدباء •

حسن عبدالله القرشي الطبعة الثانية ،

دار المعارف بمصر ، القاهرة •

نورى حمودى القيسي - الطبعة الأولى

مكتبة النهضة ببنداد ، ١٩٦٤ •

هوراس - ترجمة : لهنس عوض بالمؤسسة

المصرية للترجمة والتأليف والنشر •

شوقي ضيف - ط ٧ القاهرة دار المعارف ١٩٦٩ •

- محمد بن شاعر أحمد الكتيبي — تحقيق وضبط محمد  
 محي الدين عبد الحميد — مكتبة النهضة المصرية  
 مجد الدين محمد بن يحقوب الفيروز آبادي الشيرازي  
 المطبعة الرحمانية بمصر •  
 لآبي النحاس محمد بن يزيد المرند — مطبعة  
 الاستقامة — القاهرة •  
 ابن منظور — دار صادر — بيروت  
 لآبي الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي المعروف  
 بابن سيده — المطبعة الأولى • المطبعة  
 الأميرية ببولاق — ١٣١٦ •  
 لآبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي  
 الشافعي • دار الأندلس للطباعة والنشر : بيروت  
 عبد الرحمن جلال الدين السهوتي — شرح وضبط :  
 محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد الهجاوي ،  
 محمد أبو الفضل إبراهيم ، المطبعة الأولى بدار  
 آيباء الكتاب العربي •  
 زكريا إبراهيم — المطبعة الأولى بمكتبة مصر ١٩٥٩ ،  
 زكريا إبراهيم — المطبعة الأولى بدار مصر للطباعة  
 ١٩٦٩ •  
 لآبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج  
 القاري ، البغدادي ، ضبطه ووشى حواشيه :  
 أحمد مرسي مشالي ، أحمد يوسف نجاتي —  
 طبعة ١ ، مكتبة الانجلو مصرية •  
 لآبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني  
 تحقيق : علي محمد الهجاوي • القاهرة — دار نهضة  
 مصر ١٩٦٥ •  
 باتوت الحموي تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ،  
 المطبعة الأخيرة •  
 المرزباني تحقيق : عبد الستار أحمد فراج  
 ديفد ديتش ترجمة : محمد يوسف نجم مراجعة  
 الدكتور احسان عباس دار صادر بيروت  
 ١٩٦٧ •

- ٥٢ — فوات الوفيات  
 ٥٣ — القاموس المحيط  
 ٥٤ — الكامل في الأدب  
 ٥٥ — لسان العرب المحيط  
 ٥٦ — المخصص  
 ٥٧ — مرصع الذهب ومعادن  
 الجواهر •  
 ٥٨ — المزهر  
 ٥٩ — مشكلة الاسنان  
 ٦٠ — المشكلة الخلقة  
 ٦١ — مصارع العشاق  
 ٦٢ — الموشح  
 ٦٣ — معجم الأديباء  
 ٦٤ — معجم الشعراء  
 ٦٥ — معارج القصد الأدبي

- ٦٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر  
والقاهرة
- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تترى  
بردى الاتاكي - المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والنشر •
- ٦٧ - النقد الأدبي الحديث
- ٦٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب
- محمد غنيمي هلال - دار العودة لبنان ١٩٧٤ ،  
شهاب الدين أحمد بن محمد الوهاب النويري -  
نسخة مصورة من طبعة دار الكتب - المؤسسة  
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنقاعة  
والنشر •
- ٦٩ - نوادر المخطوطات
- ٧٠ - واقعة بلاضفاف
- ٧١ - الوزراء والكتاب
- ٧٢ - وثائق الأمان
- لائي جعفر محمد بن - هيب الهندادى - تحقيق :  
محمد السلام محمد هارون الطبعة الأولى ١٩٥٤ •  
روحيه جارودى - ترجمة : حليم طومسون - مراجع  
فؤاد - دارة الكاتب العربي ، القاهرة •  
لائي محمد الله محمد بن عبدوس الجهشياري  
- حقه ووضع فهرسه : مصطفى السقا ، ابراهيم  
الابيارى - عبد الحفيظ شلبي • الطبعة الأولى  
مطبعة الحلبي - القاهرة •  
لائي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن  
أبي بكر بن خلكان د • تحقيق احسان عباس  
- دار صادر - بيروت •

=====

